عبد البديع صقر

الوصايا الخالدة

الناشر: مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية - بعابدين
القاهرة - ت: ٩٢٧٤٧٠

الطبعـة الرابعة

١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م

دار التراث العربى للطباعة
ت ٩٣٦١٤٥

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثالثة

نحمد الله تبارك وتعالى . ونصلي ونسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين ، وبعد .

فإن التاريخ هو معمل التجارب البشرية بخيرها وشرها . وحلوها ومرها ، وإن وصايا الحكماء والعقلاء هي خلاصة هذه التجارب كأنها ثمار الأشجار . أو لآلىء البحار .

وفي أحيان كثيرة تأتي الآية الكريمة . أو الكلمة الحكيمة ، كالدواء الشافي . الذي يرد الناس الى الأصل المعتمد . أو يجمعهم على كلمة سواء .

وما زالت الأقوال المأثورة . والأمثال الجارية . تملأ أحاديث الناس في مجالسهم فتزينها . أو تتردد في مكاتباتهم ورسائلهم فتكون منها كواسطة العقد أو الدلالة على الفضل وسعة الاطلاع .

وقد خطر لي أن أجمع جملة من الوصايا الجيدة . يضمها كتاب واحد . فراجعت مع زميلي مصطفى جبر . عدداً من كتب الأقدمين . وجمعنا ما تيسر من هذا التراث المجيد . وما أغناه بالحكمة . وتوجناها ببعض الوصايا الإلهية من القرآن الكريم . والوصايا النبوية من كلام خاتم المرسلين عليه الصلاة والسلام . ثم رتبنا الكلام على أبواب أربعة .

الباب الأول : وفيه بعض وصايا القرآن الكريم والنبي صلى الله عليه وسلم .

والباب الثاني : وفيه من وصايا الخلفاء الراشدين .

والباب الثالث : وفيه وصايا من حكماء الجاهلية .

والباب الرابع : وفيه وصايا متفرقة للمتقدمين والمتأخرين .

وسوف يلاحظ القارىء أن هذه الوصايا تصور الظروف التاريخية والاجتماعية التى كانت سائدة فى ذلك الوقت ؛ فأنت تجد فى كلام الرسول صلى الله عليه وسلم ، الإيجاز البديع والبلاغة التى لا تجارى ، مع التقيد بروح القرآن الكريم وحدوده ، بل ومعانيه ؛ وتجد فى كلام أبى بكر رضى الله عنه ، شخصية الخليفة الورع الحريص على أثر لا يضيع ، وتركة لا تبدد ؛ وفى كلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، روح الاستقرار النفسى ، ووضع الأسس للدولة الجديدة الظافرة ، مع الورع والحزم ؛ وفى كلام عثمان بن عفان رضى الله عنه ، ريح الفتنة التى اشتعلت والخلافات التى دبت ؛ وفى كلام على بن أبى طالب رضى الله عنه ، معانى الأسى على الفضائل المضيعة ، والحرص على جمع الكلمة ، ومجاهدة الأطماع ؛ مع زهد حقيقى ، وثقة بالله بالغة .

وهكذا تلمس فى باقى الوصايا ، آثار العصور ، كأنك تعيش بينهم .

ثم شرحنا من الكلمات والمعانى ما يحتاج للشرح والتعليق وعزونا المقالات الى مصادرها المعروفة ، فجاء الكتاب على هذه الصورة التى يراها القارىء الكريم .

وحسبك أيها الأخ القارىء، أن تقرأ منها سطوراً قليلة ، فتتأثر بها ، وتسأل الله النفع والهداية ، فيبارك الله لك فى العلم القليل ، بالعمل الصالح ، فكم من حامل فقه ليس بفقيه ، وكم من حامل فقه إلى من هو أفقه منه ؛ والعبرة بما وقر فى القلب وصدقه العمل ، وكانت معه النية الصالحة . وقد كانت طبعته الأولى بقطر والثانية بالمكتب الإسلامى ببيروت والثالثة وهذه الرابعة بالقاهرة .

نسأل الله أن ينفع به ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

عبد البديع صقر

الباب الأول

من هدى القرآن ٠٠ والنبوة



بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى فى سورة الأنعام (١٥١ — ١٥٣) :

من هدى القرآن

(قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ ما حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً ، وَبِالوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً ، ولاتَقْتُلُوا أَوْلادَكُم مِن إمْلَاق ، نَحْنُ نرزقُكُم وإِيَّاهُم ، وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ ما ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ، ولا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إلاَّ بالْحَقِّ ، ذٰلِكُمْ وصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُم تَعْقِلُونَ ١٥١ . وَلاَ تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إلا بالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حتىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ، وَأَوْفُوا الكَيلَ والْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ، لانُكَلِّفُ نَفْساً إلا وُسْعَهَا ، وإِذَا قُلْتُمْ فاعْدِلُوا ولَو كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ،وبِعَهْدِ الله أَوْفُوا ذٰلِكُم وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ١٥٢. وأَنَّ هٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فاتَّبِعُوهُ ، وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ، ذٰلِكُم وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُم تَتَّقُون ١٥٣) .

وقال تعالى فى سورة الرعد (١٨ — ٢٨) :

(لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِم الْحُسْنَىٰ ، والَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَو أَنَّ لَهُمْ ما فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ومِثْلَهُ مَعَهُ لافتَدَوْا بِهِ ، أُولٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الحِسَابِ ومَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ المِهَادُ ١٨ . أَفَمَن يَعلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ ، إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الأَلْبَاب ١٩ . الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ الله ولاَ يَنْقُضُونَ المِيثَاقَ ٢٠ . والَّذِين يَصلونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ ويَخْشَوْنَ رَبَّهُم ويَخَافُونَ سُوءَ الحِسَابِ ٢١ . والَّذِينَ صَبَرُوا

ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِم وأَقَامُوا الصَّلاةَ وأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُم سِرًّا وَعَلانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُم عُقْبَى الدَّار ٢٢ . جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا ومَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِم وأَزْوَاجِهِم وذُرِّيَّاتِهِمْ، والملائكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيهِم مِنْ كُلِّ بَابٍ ٢٣ . سَلامٌ عَلَيكُم بِمَا صَبَرْتُم فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّار ٢٤. والَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُون مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ٢٥ . اللهُ يَبْسُطُ الرِّزقَ لِمَنْ يَشَاءُ ويَقْدِرُ ، وفَرِحُوا بالحَيَاةِ الدُّنْيَا ومَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا فى الآخِرَةِ إلا مَتَاعٌ ٢٦ . ويَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيهِ آيَةٌ مِن رَبِّه ، قُلْ إِنَّ اللهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ ويَهْدِى إِلَيهِ مَنْ أَنَابَ ٢٧ . الَّذِينَ آمَنُوا وتَطْمَئِنُّ قُلُوبهُم بِذِكْرِ اللهِ ، أَلا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ٢٨) .

وقال تعالى فى سورة الاسراء (٢٣ — ٣٩) :

(وقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إلا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَينِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُما أَو كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً ٢٣ . واخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ، وقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيراً ٢٤ . رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فى نُفُوسِكُمْ ، إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُوراً ٢٥ . وآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ والمِسْكِينَ وابْنَ السَّبِيلِ ولاتُبَذِّرْ تَبْذِيراً ٢٦ . إِنَّ المُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ، وكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً ٢٧ . وإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنهُمُ ابْتِغَاءَ رَحمَةٍ مِن رَبِّك تَرْجُوهَا فَقُل لَهُمْ قَولاً مَيْسُوراً ٢٨ . ولاتَجْعَل يَدَكَ مَغْلُولَةً إلى عُنُقِكَ، ولا تَبسُطْهَا كُلَّ البَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً ٢٩. إِنَّ رَبَّكَ يَبسُط الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ ويَقدِرُ ، إِنَّه كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً ٣٠ . ولا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُم خَشْيَةَ إِمْلَاق ، نَحْنُ نَرْزُقُهم وإِيَّاكُم ،

إنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْأً كَبِيراً ٣١ . ولاتَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وسَاءَ سَبِيلاً ٣٢ . ولا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ . ومَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً فَلا يُسْرِفْ فِي ٱلْقَتْلِ . إِنَّه كَانَ مَنْصُوراً ٣٣ . ولاتَقْرَبُوا مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ، وأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً ٣٤ . وأَوْفُوا ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بالقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ . ذٰلِكَ خَيْرٌ وأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ٣٥ . ولاتَقْفُ ما لَيسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ . إِنَّ السَّمْعَ والْبَصَرَ وٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُولٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً ٣٦ . ولاتَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً . إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الأَرْضَ . ولَنْ تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولاً ٣٧ . كُلُّ ذٰلكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهاً ٣٨ . ذٰلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ، ولا تَجْعَلْ مَعَ اللهِ إِلٰهاً آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُوماً مَدْحُوراً ٣٩) .

وقال تعالى فى سورة المؤمنون (١ — ١١) :

(قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ١ . الَّذِينَ هُمْ فِى صَلاتِهِم خَاشِعُون ٢ . والَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ٣ . والَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاة فَاعِلُونَ ٤ . والَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِم حَافِظُونَ ٥ . إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُم فَإِنَّهُم غَيرُ مَلُومِينَ ٦ . فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذٰلِكَ فَأُولٰئِكَ هُمْ العَادُونَ ٧ . والَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِم وعَهْدِهِم رَاعُونَ ٨ . والَّذِينَ هُم عَلَىٰ صَلَوَاتِهِم يُحَافِظُونَ ٩ . أُولٰئِكَ هُمُ ٱلْوَارِثُونَ ١٠ . الَّذِينَ يَرِثُونَ الفِرْدَوسَ هُم فِيهَا خَالِدُونَ ١١).

وفى سورة الفرقان قال تعالى (٦٣ — ٧٧) :

(وَعِبَادُ الرَّحْمٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلى الأَرْضِ هَوْناً وإِذَا خَاطَبَهُم ٱلْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاماً ٦٣ . والَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِم سُجَّداً وقِياماً ٦٤ .

والَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً ٦٥. إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا ومُقَاماً ٦٦ . والَّذِينَ إِذَا أَنْفَقوا لَمْ يُسْرِفُوا ولَم يَقْتُرُوا وكَان بَيْنَ ذٰلِكَ قَوَاماً ٦٧ . والَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلٰهاً آخَرَ ، ولايَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إلا بالْحَقِّ ولايَزْنُونَ ، ومَنْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ يَلْقَ أَثَاماً ٦٨ . يُضَاعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَومَ ٱلْقِيَامَةِ ويَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً ٦٩ . إِلَّا مَنْ تَابَ وآمَنَ وعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُولٰئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ، وكَانَ اللهُ غَفُوراً رَحِيماً ٧٠ . ومَنْ تَابَ وعَمِلَ صالحاً فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلى اللهِ مَتَاباً ٧١ . والَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ ، وإِذَا مَرُّوا باللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً ٧٢ . والَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بآيَاتِ رَبِّهِم لَم يَخِرُّوا عَلَيها صُمًّا وعُمْيَاناً ٧٣ . والَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْواجِنَا وذُرِّيَّاتِنا قُرَّةَ أَعْيُنٍ واجْعَلْنَا لِلمُتَّقِينَ إِمَاماً ٧٤ . أُولٰئِكَ يُجْزَوْنَ الغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا ويُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلاماً ٧٥ . خَالِدِينَ فِيهَا ، حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا ومُقَاماً ٧٦ قُلْ مايَعْبَؤُا بِكُم رَبِّي لَولا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبتُم فَسَوفَ يَكُونُ لِزَاماً ٧٧).

وقال تعالى فى سورة الشورى (٣٦ — ٤٣) :

(فَمَا أُوتِيتُم مِنْ شَيءٍ فَمتَاعُ ٱلْحَيَاةِ الدُّنْيا ، ومَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ وأَبْقَى لِلذِينَ آمَنُوا وعَلىٰ رَبِّهِمْ يَتَوكَّلُونَ ٣٦ . والَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْم وٱلْفَوَاحِشَ وإِذَا ما غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُون ٣٧ . والذين استَجَابُوا لِربِّهِم ، وأَقاموا الصَّلاةَ ، وأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُم ، ومِمَّا رَزَقْناهُم يُنْفِقونَ ٣٨ . والَّذِينَ إذا أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْيُ هم يَنْتَصِرونَ ٣٩ . وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ، فَمَنْ عَفا وأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ على الله ، إِنَّهُ لايُحِبُّ الظَّالِمِينَ ٤٠ . وَلَمَن انتَصَرَ بَعْدَ ظُلمه فأُولَئِكَ ما عليْهِم مِنْ سبِيلٍ ٤١ . إِنَّمَا السَّبِيلُ

عَلى الَّذينَ يَظْلمونَ الناسَ ويَبْغُونَ في الأَرْضِ بِغيرِ الْحقِّ ، أولئكَ لَهُمْ عذابٌ أَليمٌ ٤٢ . وَلَمَنْ صَبَرَ وغَفَرَ إنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ ٤٣) .

سورة العصر :

والْعَصْرِ (١) إنَّ الإنسانَ لفى خسر (٢) إلا الَّذِينَ آمنوا وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ وَتَوَاصَوْا بالحقِّ وتواصَوْا بِالصَّبْرِ (٣) .

سورة الهمزة :

ويْلٌ لِكلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ (١) الَّذى جَمَعَ مالاً وعدَّدَهُ (٢) يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ (٣) كَلاَّ لَيُنْبَذَنَّ في الْحطَمَةِ (٤) وَمَا أدْرَاكَ مَا الْحطَمَةُ (٥) نَارُ اللهِ المُوقَدَةُ (٦) الَّتِي تَطَّلِعُ عَلى الأَفْئِدَةِ (٧) إنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ (٨) فى عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ (٩) .

سورة الماعون :

أرَأَيْتَ الَّذى يُكَذِّبُ بِالدِّينِ (١) فَذَلِكَ الَّذي يَدُعُّ الْيَتِيمَ (٢) وَلا يَحُضُّ عَلىٰ طَعَامِ المِسْكِينِ (٣) فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ (٤) الَّذينَ هُمْ عَنْ صَلاَتِهِمْ سَاهُونَ (٥) الَّذِينَ هُمْ يُراؤُونَ (٦) ويَمْنعونَ الماعُونَ (٧) .

***

من هدى النبوة

السنة هى ما جاء بسند صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قول أو عمل أو اقرار .

وقد أكد القرآن الكريم منزلتها بقوله :

(ومَا آتَاكُم الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ومَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فانتَهوا، واتّقُوا الله)(١).

وقوله تعالى (مَنْ يطعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ) (٢).

وقوله تعالى (ومَا يَنْطقُ عَنِ الْهَوَىٰ . إنْ هُوَ إلا وَحْيٌ يُوحَىٰ)(٣) .

والسنة المطهرة مليئة بالوصايا الخالدة ، والهداية الراشدة ،وقد اقتصرنا على إيراد بعض الأحاديث الصحيحة فى هذه الرسالة ، وما هى إلا قطرة من بحر هداه صلى الله عليه وسلم .

الاعتصام بالكتاب والسنة

عن العرباض بن سارية ، قال :

صلىَّ بِنَا رَسُول الله صلى الله عليه وسلم ذَات يوم ، ثم أَقْبَلَ عَلَينَا بِوَجْهِهِ فَوَعَظَنَا فوعظنا مَوْعِظَة بَلِيغَة ،ذَرفَتْ مِنْهَا الْعُيونُ ، وَوَجِلَتْ منها القُلُوب ، فقال رجل : يارسول الله ، كأَن هذه موعظة مودِّع فأَوصِنَا ، فقال :

« أُوصِيكُم بِتَقْوَى الله ، والسَّمع والطَّاعة ، وإن كان عَبداً حَبَشيًّا ، فإنَّه من يَعِشْ مِنْكُم بَعْدِى فَسَيَرَىٰ اختلافاً كثيراً ؛ فَعَلَيكُم بِسُنَّتِى وسُنَّة الْخُلَفَاء الرَّاشِدِين المَهْدِيِّين ،تَمَسَّكُوا بِهَا وعَضُّوا عَلَيهَا بالنَّواجذ،

(١) الحشر : ٧
(٢) النساء : ٨٠
(٣) النجم : ٣ ، ٤

وإيَّاكم ومحْدَثاتِ الأُمور ، فَإِنَّ كلَّ مُحْدَثَة بِدْعَة ، وكُلَّ بِدْعةٍ ضَلالَة » .

وعن أنس ، قال : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« يابُنَيَّ ، إن قَدَرْتَ أن تُصبح وتُمْسِى وليس فِي قلبك غِشٌّ لأَحَد فافْعَل ».

ثُمْ قَال « يابُنَيَّ ، وذلك من سُنَّتِي ، ومَنْ أَحَبَّ سُنَّتِي فقد أَحبَّنِى ، ومَنْ أَحَبَّنِي كان معى فى ٱلْجَنَّة » .

الصـــلاة

عن أبي الدرداء ، قال : أوصانى خليلى قال :

« لاتُشْرِك بالله شيئاً ، وإنْ قُطِّعْتَ وحُرِّقتَ . ولا تَتْرُك صلاةً مَكْتُوبَة مَتَعَمِّداً ، فمَنْ تَرَكَهَا مُتَعَمِّداً ، فقد بَرِئَتْ مِنه الذِّمَّة . ولا تَشْرَب ٱلْخَمْر فإنَّها مِفتَاح كُلِّ شَرّ » .

وعن على رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم :

قَال « ياعَلِيّ : ثَلاثٌ لاتؤَخِّرها : الصَّلاةُ إذا أَتَتْ ، والجنازة إذا حَضَرَتْ ، والأَيِّمُ (١) إذا وجَدْتَ لَهَا كُفْؤاً »

ذكر الموت

عن عبدالله بن عمر ، قال : أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبى ، فقال :

« كُنْ فى الدُّنْيا كأَنَّكَ غَرِيبٌ أَو عابِرُ سَبِيل » .

---

(١) هى التى لازوج لها ، بكرا كانت أو ثيباً ، مطلقة كانت أو متوفى عنها زوجها .

. وكان ابن عمر يقول :

« إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح . وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء ، وخذ من صحتك لمرضك . ومن حياتك لموتك » .

وعن جابر ، قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل موته بثلاثة أيام يقول :

« لايموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله تعالى » .

فضل التسبيح

وعن سعد بن أبي وقاص قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

« أيعجز أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة ؟ » فسأله سائل من جلسائه : كيف يكسب أحدنا ألف حسنة ؟ . قال : ـ « يسبح مائة تسبيحة فيكتب له ألف حسنة أو يحط عنه ألف خطيئة » .

الاستغفار والتوبة

عن أبي ذر رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يروى عن الله تبارك وتعالى أنه قال :

« ياعبادي . إني حرمت الظلم على نفسي . وجعلته بينكم محرماً ، فلا تظالموا .. ياعبادى . كلكم ضال إلا من هديته ، فاستهدونى أهدكم . ياعبادى . كلكم جائع إلا من أطعمته ، فاستطعمونى أطعمكم. ياعبادى كلكم عار إلا من كسوته ، فاستكسونى أكسكم . ياعبادى ، إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً . فاستغفرونى أغفر لكم . ياعبادى . إنكم لن تبلغوا ضرى فتضرونى . ولن تبلغوا

نَفْعِي فَتنفَعُونى . ياعبادى ، لو أنَّ أوَّلَكم وآخِرَكم ، وإنْسَكُم وجِنَّكُم كانوا على أتقى قلب رجُل واحِد مِنْكُم ، مازاد ذلكَ فى مُلْكِى شيئاً . ياعبادى ، لو أن أوَّلكم وآخِركُم ، وإنْسَكُم وجِنَّكُم ، كانوا على أفْجر قَلْب رجُل واحِدٍ منكُم ، مانقصَ ذلك من ملكى شيئاً . ياعِبَادى ، لَو أنَّ أوَّلكم وآخِركُم ، وإنْسَكُم وجِنَّكُم قاموا فى صَعِيد واحِدٍ ، فسألونى فأعطَيتُ كلَّ إنسان مسألته ، مانقص ذلك مِمَّا عندى إلا كما يَنقُصُ المِخْيَطُ إذا أُدخِلَ البحر . ياعبادى إنَّمَا هى أعمالكم أحصيها عليكم ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إيَّاها . فمن وجَدَ خَيراً فَلْيَحمد الله . ومَنْ وَجَد غير ذلك فلا يلومَنَّ إلاَّ نفسه » .

الدعاء

عن أم سلمة ، أن النبى صلى الله عليه وسلم كان إذا خرج من بيته قال :

« بسم الله ، تَوَكَّلْتُ على الله ، اللَّهُمَّ إنَّا نَعوذُ بِكَ مِنْ أن نَزِلَّ أو نضِلَّ، أو نَظْلِم أو نُظْلَم ، أو نَجْهَل أو يُجْهَل عَلَينا » .

وعن أبى سعيد الخدرى ، قال : قال رجل : هموم لزمتنى وديون يارسول الله ؛ قال صلى الله عليه وسلم :

« أفَلا أُعَلِّمكَ كَلاماً إذا قُلته أذْهَبَ الله هَمَّك ، وقَضى عنك دَيْنَك»؟

قال : قلت : بلى . قال :

« قُل إذا أَصْبَحْتَ وإذا أَمْسَيتَ : اللَّهُم إنى أعُوذ بِكَ مِنَ الهَمِّ والحزنِ ، وأعُوذُ بِكَ مِنَ العَجزِ والكَسَل ، وأعُوذُ بِكَ مِن غَلَبَة الدَّين وقَهْر الرِّجال » . قال : فَفَعَلْتُ ذلِكَ فأذْهَبَ الله هَمِّى ، وقَضَى عَنِّى دَيْنى .

عنّ أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« تعوَّذوا بالله من جَهد (١) البَلاء ، ودَرَك (٢) الشقاء ، وسوء القضاء وشماتة الأَعداء » .

عشر كلمـــات

عن معاذ ، قال : أوصانى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعشر كلمات ، قال :

« لاتُشْرِك بالله شيئاً وإن قُتلت وحرِّقتَ ؛ ولاتَعُقّن والدَيك وإن أمراك أن تخرج من أهلك ومالك ؛ولا تَتْرُكَنَّ صلاةً مكتوبة متعمِّداً ، فإنَّ مَنْ تَرَكَ صلاة مكتوبة متعمِّداً فقد برئت منه ذمة الله ؛ ولاتشربنَّ خمراً فإنَّه رأس كُل فاحشة ؛ وإيَّاك والمعصية ، فإن بالمعصية حل سخَطُ الله ؛ وإيَّاكَ والفرار من الزَّحف وإن هلك الناس ؛ وإذا أصاب الناس مَوْتٌ (٣) وأنت فيهم ، فاثبُت ؛ وأَنْفِق على عِيَالك من طَوْلك ؛ ولا ترفع عنهم عصاك أدباً ؛ وأَخِفْهم فى الله » .

الجهـــاد

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إنْتَدبَ الله لمن خرج فى سَبِيله لا يُخْرِجهُ إلا إيمَانٌ بى وتَصْدِيق بِرُسُلى ، أن أُرجِعهُ بما نالَ من أجرٍ وغَنِيمَة أو أُدخِلهُ الجَنَّة » .

---

(١) جهد البلاء : المصائب تصيب الإنسان ويعجز عن دفعها .
(٢) بفتح الراء أو سكونها أى من الإدراك لما يلحق الإنسان من تبعته .
(٣) أى طاعون أو وباء .

وعن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لغَدوَةٌ فى سَبيلِ الله أو رَوحَةٌ خَيرٌ من الدُّنيَا وما فيها »

وعن زيد بن خالد ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« من جَهَّزَ غازِياً فى سبِيلِ الله ،فقدْ غزَا ، ومَنْ خلَف غَازِياً في أهلهِ ، فقد غزَا » .

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« اَلْقَتْل فِي سَبِيل الله يُكَفِّر كلَّ شَىء إلاَّ الدَّيْن »

وعن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لايَلِجُ النَارَ مَنْ بَكَىٰ مِنْ خَشْيَة الله حَتىٰ يَعُودَ اللَّبَنُ فِي الضَّرع ، ولا يَجْتمعُ على عَبْد غُبَارٌ فى سَبِيلِ الله ودُخانُ جَهَنَّم . ولا يَجْتَمِعُ الشُّحُّ والإيمَان فى قَلْبِ عَبْدٍ أبَداً » .

آداب « اللقـــاء »

عن البراء بن عازب ، قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم :

« مَا مِنْ مُسْلِمَينِ يَلْتَقِيَان فَيَتَصَافَحَان ، إلا غُفِرَ لَهُمَا قَبْلَ أنْ يَتَفَرَّقا » .

وعن معاوية ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« مَنْ سَرَّهُ أنْ يَتَمَثَّلَ لَهُ الرِّجال قِيَاماً (١) فَلْيَتَبَوَّأْ مقْعَدَهُ مِنَ النَّار » .

(١) أى يقوموا له كلما أقبل عليهم .

اللســـان

وعن بلال بن الحارث ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّم بالكَلِمَة من الخَيرِ ما يَعْلَم مَبلَغَها يَكْتُبُ الله لَه بِهَا رضوانَهُ إلى يوم يَلْقَاه.وإن الرَّجُل لَيتَكَلم بالكَلِمَة من الشَّر ما يَعلَم مَبْلَغها يكْتُب الله بِهَا عَلَيهِ سَخطَه إلى يَوْمِ يلقَاه » .

أخلاق المؤمنين

عن أسماء بنت يزيد قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« مَنْ ذَبَّ (١) عنْ لَحِم أخيهِ بالمغِيبَةِ كانَ حَقًّا عَلَى الله أَنْ يُعْتِقهُ من النَّار » .

وعن أبي ذر ، قال : قلت يارسول الله أوصني ، قال :

« أُوصيكَ بِتَقْوَىٰ الله ، فإنَّه أَزْيَن لأَمرِكَ كُلِّه » قلت : زدني ، قال : « عَليكَ بِتلاوَة القُرآن وذِكر الله عزَّ وجَلَّ ، فإنَّه ذِكْرٌ لك في السَّماء ، ونُورٌ لَكَ في الأَرض » . قلت : زِدني . قال : « عَلَيكَ بِطُول الصَّمْت ، فإنَّه مَطْرَدَةٌ لِلشَّيطَان وعَونٌ لَكَ على أَمْر دِينك » . قلت : زدني قال : « إيَّاك وكَثْرَة الضَّحك ، فإنَّه يُميتُ الْقَلْب ، ويَذْهب بِنُورِ الوجْه » . قُلت : زِدني . قال : « قُل الحَقَّ وإنْ كانَ مُرًّا » قلت : زِدني . قال : « لاتَخَفْ في الله لَومَة لائِم » . قلت : زدني . قال : « لِيَحجزك عن النَّاس ماتَعْلَمُ عن نفسك » .

---

(١) أي دافع عن سمعته وعرضه .

وروى البخارى والترمذى وابن ماجة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« مَنْ أَصْبَحَ آمِناً فى سربه ، مُعَافىً فى بَدَنِه ، لَه قُوت يومِه ، فكأَنَّمَا حِيزَت لَه الدُّنْيَا بِحَذَافِيرها » .

الغيبـــــة

وعن أبى سعيد وجابر ، قالا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« الغِيْبَة أَشَدُّ مِنَ الزِّنا » . قالوا : يا رسول الله وكَيف الغيبة أشد من الزِّنا ؟ قال : « إن الرجُل يزنى فَيَتُوبَ ، فَيَتوب الله عَلَيه ، وإنَّ صاحب الغيبة لا يُغْفَر لَهُ حَتَّى يَغْفِرها له صاحِبه » .

العصبية

عن عبادة بن كثير الشامى من أهل فلسطين ، عن امرأة منهم يقال لها فسيلة ، أنها قالت :

سَمِعْتُ أَبى يقول : سأَلتُ رَسُول الله صلى الله عَلَيهِ وسلم ، فقُلْتُ : « يارَسُول الله ، أَمِنَ ٱلْعَصَبِيَّة أن يُحِبَّ الرَّجُلُ قَومَهُ » قال « لا ، ولكن مِنَ ٱلْعَصَبِيَّة أَن يَنْصُرَ الرَّجُلُ قَومَهُ على الظُّلْم » .

الاخلاص

وعن ثوبان عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال :

« لأَعْلَمَنَّ أقواماً مِنْ أُمَّتِى يأْتُونَ يَومَ ٱلْقِيَامَةِ بأَعْمَال أَمْثَال جِبَال تِهَامَة ، بيضَاء ، فَيَجْعَلهَا الله هبَاءً مَنْثوراً » قال ثوبان ، يارسول الله صِفْهم لَنَا ، جَلِّهِم لنا ، لانَكُون مِنْهُم ونحْنُ لانَعْلَم . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« أمَا هُم إخوانكُمْ ، ومِنْ جِلْدَتِكُم ، ويَأْخُذُونَ مِن اللَّيل كمَا تَأْخُذُون ، ولٰكِنَّهُم قوم إذا خَلَوا بِمَحَارِم الله انْتَهَكُوها » .

وعن عائشة وابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال :

« مازَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِى بالجَارِ حَتَّىٰ ظَنَنْتُ أنَّه سَيُوَرِّثُهُ » .

بر الوالدين والرحم

وعن أبى هريرة ، قال : قال رجل :

يارسول الله ، مَنْ أَحَقُّ النَّاس بِحُسْن صحَابَتِى ؟ قال : « **أُمُّك** » . قال : ثُمَّ مَنْ ؟ قال : « **أُمُّك** » . قال : ثُمَّ مَنْ ؟ قَال :« **أُمُّك** » قَال :ثُمَّ مَنْ ؟ قَال : « أَبُوك » .

وفى رواية ، قال :

« أُمَّك ، ثمَّ أُمَّك ، ثمَّ أُمَّكَ ، ثمَّ أَبَاكَ ، ثُمَّ أَدْناكَ أَدْناكَ » .

وعن عبدالله بن عمرو ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« مِنَ ٱلْكَبَائِرِ شَتْمُ الرَّجُل وَالِدَيْه » . قالوا : يارسول الله ، وهَلْ يَشتُمُ الرَّجُلُ والِدَيْه ؟ قال : « نَعَم ، يَسُبُّ أَبا الرَّجُل ، فَيَسُبُّ أَباه ، ويَسُبُّ أُمَّه ، فَيَسُب أُمَّه » .

وعن ابن عمر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إنَّ مِنْ أَبَرِّ البِرِّ صِلَة الرَّجُل أَهْلَ وِدِّ أَبِيْه بَعْد أَنْ يُوَلِّيَ » .

وعن أنس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَط لَه فى رِزْقِه ويُنسَأَ لَهُ فى أَثرِه ؛ فَلْيَصِل رحْمَه »

وعن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« مَا مِنْ وَلَدٍ بَارٍّ يَنْظُرُ إلى وَالِدَيْهِ نَظْرَة رَحْمَةٍ إلا كَتَبَ الله لَه بِكُلِّ نَظْرَةٍ حَجَّةً مَبْرُورَة » (١) .

قالوا : وإن نَظَرَ كلَّ يَوم مائة مرة ؟ قال :

« نَعَمْ ، الله أَكْبَرُ وأَطْيَب » .

الرحمة والتعاون

عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« السَّاعِي على الأَرْمَلَة والمسْكِين كالسَّاعِي في سبِيل الله » ، وأحسبه قال : « كالقَائِم لايَفتُر كالصَّائِم لايفْطِر »

وعن سهل بن سعد ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« أَنَا وكَافِلُ ٱلْيَتِيم لَهُ ولِغَيرِه ، في ٱلْجَنَّة هكَذَا » وأشار بالسبابة وٱلْوسطى وفَرَّج بينهما شيئاً .

وعن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال :

« ٱلمؤمن لِلمُؤمِن كالبُنْيَان يَشُدُّ بَعْضهُ بَعْضا » ثم شَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِه .

وعن أنس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« مَنْ أَغَاثَ مَلْهُوفاً كَتَبَ الله لَهُ ثَلاثَة وسَبْعِين مَغْفِرَة : وَاحِدَة فِيهَا صلاحُ أَمْرِه كُلِّه ، وٱثنَتَان وسبْعُون لَه دَرَجات يَومَ ٱلْقِيَامَة » .

---

(١) أي ثواب حجة ـ لكن هذا الثواب لايسقط عنه فريضة الحج ٥

الحب فى الله

عن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إنَّ الله يَقُولُ يومَ ٱلْقِيَامَةِ : أَيْنَ ٱلمتَحَابُّونَ بِجَلالى ؟ اليَوم أُظِلُّهم فى ظِلِّى يومَ لا ظِلَّ إلا ظِلِّى ».

وعن عمر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إنَّ مِنْ عِبَاد الله لأُناساً ماهُم بِأَنْبِيَاء ولا شُهَدَاء ، يَغْبِطُهُم الأَنْبِيَاءُ والشهَدَاءُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ بِمَكَانِهِم مِنَ الله قَالوا : يارسول الله ؟ تُخْبِرَنا مَنْ هُم ؟ قال :

« هُم قَومٌ تَحَابُّوا بِرُوح الله على غَيْرِ أَرْحام بَيْنَهُم ولا أَمْوَالٍ يَتَعَاطَوْنَهَا ، فَوَ الله إنَّ وُجُوهَهم لَنُورٌ ، وإنَّهُم لَعَلَىٰ نُور ، لايَخَافونَ إذَا خافَ النَّاس ، ولا يَحْزَنُونَ إذا حَزِنَ النَّاس » . وقرأ هذه الآية :

« أَلاَ إنَّ أَوْلِيَاء الله لاخَوف عَلَيهِمْ ولا هُمْ يَحْزَنُون) (١)

الخصومة

عن أبى أيوب الأنصارى ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لايَحِلُّ لِلرَّجُل أَنْ يَهْجُر أَخَاهُ فَوقَ ثَلاث لَيَالٍ ، يَلْتَقِيَانِ فَيعْرِضُ هٰذَا ويُعْرِض هذَا ، وخَيرُهُمَا الذى يَبْدأ بالسَّلام » .

---

(١) سورة يونس (الآية : ٦٢) — والولاية أمر ظنى لايجوز الجزم به من جانب العباد — لأن شرطيها — الإيمان والتقوى — لايعلمهما إلا الله تعالى .

وعن أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ، قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« لَيْسَ ٱلْكَذَّابُ الَّذِى يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ ويَقُول خَيراً ويُنْمِى خَيراً » .

وزاد مسلم ، قالت : ولم أسمعه – تعنى النبي صلى الله عليه وسلم – يُرَخِّصُ فى شيء مِمَّا يقول النَّاس كذبٌ إلا فى ثلاث : الحرب ، والإصلاح بَينَ النَّاس ، وحديث الرَّجل امرأته ، وحديث المرأة زوجها (١) .

وعن ابن عمر قال: صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر فنادى بصوت رفيع فقال :

« يامَعشَرَ مَنْ أَسْلَمَ بِلِسَانِه ولَمْ يُفْضِ الإِيْمَان إِلى قَلْبِه ؛ لاتُؤذُوا ٱلمسْلِمِين ولا تُعيِّروهُمْ ، ولا تَتَّبِعوا عَورَاتِهم ؛ فإِنَّه مَنْ يتبع عَوْرَةَ أَخِيهِ المسْلِم يتَّبع الله عَورَته ؛ ومَن يتَّبع الله عَوْرَته يَفْضَحْه ولَوْ فى جوف رحله » .

التأنى والاقتصاد

عن عبدالله بن سرجس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« السَّمتُ الحَسَنُ (٢) والتُّؤَدة والاقتِصاد (٣) جُزْءٌ من أَرْبَع وعِشْرِينَ جزءاً مِنَ النُّبُوة » .

---

(١) أى مثل قول كل منهما للآخر « إنى أحبك ولا أحب غيرك » .

(٢) السمت الحسن : السيرة المرضية والطريقة المستحسنة .

(٣) الاقتصاد : التوسط فى الأحوال والتحرز من طرفى الإفراط والتفريط .

وعن مصعب بن سعد ، عن أبيه ، قال الأعمش : لا أعلمه إلا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« التُؤدة فى كُلِّ شَىء خَيرٌ إلا فى عَمَلِ الآخرَة » .

الحياء وحسن الخلق

عن عمران بن حصين ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« الْحَيَاءُ لا يَأْتى الأَّ بِخير » وفى رِوَايَةٍ - « الحَيَاءُ خَيرٌ كُلّه » .

وعن عبدالله بن عمرو ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إنَّ من أَحَبِّكم إلىَّ أَحْسَنَكم أَخْلاقاً » .

وعن أبى ذر ، قال : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« اتَّقِ الله حَيْثُمَا كُنْت ، وأَتْبِع السَّيِّئة الحَسَنَة تَمْحُهَا ، وخَالِق النَّاس بِخُلُقٍ حَسَن » .

وعن ابن عمر ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« إنَّ اَلْحَيَاء والإيمَان قُرَناءُ جميعاً ، فإذَا رُفِع أَحَدُهما رُفِعَ الآخَرَ » .

الغضب والكبر

عن أبى هريرة ، أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم : أوصنى .قال :

« لاتَغْضَبْ » فردَّد ذلكَ مِرَاراً قال : « لاتَغْضَبْ »

عن ابن مسعود ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لايَدْخل النَّارَ أَحَدٌ فى قَلْبِه مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إيْمَان ، ولا يَدْخُل الجَنَّةَ أَحَدٌ فى قَلْبِهِ مِثْقَال حَبَّة مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ كِبْرٍ » .

الظلم

عن ابن عمر ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوم القيَامَة » .

وعن أبي موسى ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إنَّ اللهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِم حَتَّىٰ إذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ » .

ثم قرأ :

(وكذلك أَخْذُ ربِّكَ إذا أخذ القُرَىٰ وهى ظالِمَة) (١) .

وعن على ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إيَّاك ودَعْوَةَ ٱلْمَظْلوم ، فَإنَّمَا يَسْأَلُ الله تَعَالَىٰ حَقَّهُ ، وإنَّ الله لا يَمْنَعُ ذَا حَقٍّ حَقَّهُ » .

الأمر بالمعروف

عن أبي سعيد الخدرى ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« مَنْ رَأَىٰ مِنْكُم مُنْكَراً فَلْيُغَيِّرْهُ بِيدِهِ ، فإنْ لَم يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانه ، فَإنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبه ، وذٰلِكَ أَضْعَف الإيْمَان » .

عن أبي بكر الصديق ، قال :

يا أيها النَّاس ، إنكم تَقْرَؤُون هذه الآية :

(يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيكُم أَنْفُسَكُم ، لا يَضُرُّكُم مَن ضَلَّ إذَا ٱهْتَدَيْتُم) (٢) .

---

(١) هود : ١٠٢

(١) المائدة : ١٠٥

فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« إنَّ النَّاس إِذَا رَأَوْا مُنْكَراً فَلَم يُغَيِّرُوهُ ، يُوشِكُ أَن يَعُمَّهُمُ اللهُ بِعِقَابه » . رواه ابْن مَاجَة وَالترْمذى .

وَفى رِوَايَةِ أَبِى دَاوُد : « إِذَا رَأَوْا الظَّالِم فَلَم يأْخُذُوا عَلىٰ يَدَيْه أَوْشَكَ أَن يَعُمَّهُمُ الله بِعِقَابٍ » .

وفى رواية أخرى له :

« مَا مِنْ قَوم يُعْمَلُ فِيهِم بالمَعَاصِى ثمَّ يَقْدِرُونَ على أن يُغَيِّرُوا ثُمَّ لايُغَيِّرُونَ إلا يُوشِك أَنْ يَعُمَّهُم الله بِعِقَابٍ »

الدنيا

عن ابن عباس قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« نِعْمَتَان مَغْبُونٌ فِيهِمَا كثِيرٌ مِنَ النَّاس : الصِّحَّة والفَرَاغُ » .

عن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« حُجِبَت النَّارُ بِالشَّهوَاتِ ، وحُجِبَت الجَنَّةُ بالمكَارِهِ »

عن عمرو بن عوف ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« فَوَالله مَا ٱلفَقْرُ أَخْشَىٰ عَلَيكُم ، ولٰكنَ أَخْشَى عليكم أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُم الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَت على مَنْ كانَ قَبْلَكُم ، فَتَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوها ، وتُهْلِكَكُم كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ » .

عن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« مَنْ يأْخُذ عَنِّى هٰؤلاءِ ٱلكَلِمَات فَيَعْمَل بِهِنَّ أَوْ يُعَلِّم مَنْ يَعْمَلُ بهِنَّ ؟ » قلت : أنا يارَسُوْلَ الله ، فأَخَذَ بِيدى فَعَدَّ خَمْساً فقال :

« اتَّقِ ٱلْمَحَارِم تَكُنْ أعْبَدَ النَّاس ، وارْضَ بِمَا قَسَمَ اللهُ لَكَ تَكُن أَغْنَىٰ النَّاس ، وأَحْسِنْ إلى جَارِكَ تَكُن مُؤمِناً ، وأَحِبَّ لِلنَّاس ماتُحِبُّ لِنَفْسكَ تَكُنْ مُسْلِماً ، ولا تُكْثِر الضَّحِكَ ، فإنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ ٱلْقَلْبَ » .

طلب الدنيا

عن ابن مسعود ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« يا أَيُّهَا النَّاسُ ، لَيسَ مِنْ شَيءٍ يُقَرِّبُكُم إلى ٱلْجَنَّةِ ويُبَاعِدكُمْ مِنَ النَّار إلا قدْ أَمَرْتُكُم بِهِ ، وليس شيءٌ يُقربُكُم مِنَ النَّار ويُباعِدكُم عنِ ٱلْجنَّة إلا نهيتُكُم عنه ، وإنَّ الرُّوحَ الأَمِين أَلْقَىٰ في رَوْعِي (١) أنَّ نفْساً لنْ تَمُوت حتَّىٰ تسْتكْمِل رِزْقها ، ألا فاتَّقُوا الله ، وأَجْمِلُوا (٢) فى الطَّلب ، ولا يَحْمِلَنَّكُم اسْتِبْطَاء الرِّزْق أنْ تَطْلُبُوهْ بِمَعَاصِي الله ، فَإِنَّهُ لايُدْرَك ماعِنْدَ الله إلا بِطَاعَته » .

عن أنس ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« مَنْ كانَتْ نِيَّتهُ طَلَبَ الآخرة جعَلَ الله غِنَاه فى قلبه ، وجَمَعَ لَه شَمْلَهُ ، وأَتَتْهُ الدُّنْيَا وهى رَاغِمَة ، ومَنْ كَانَت نِيَّته طَلَبَ الدُّنْيَا جعلَ الله ٱلْفَقْرَ بَيْنَ عَيْنَيهِ ، وشَتَّتَ عَلَيْه أَمْرهُ ، ولا يَأْتيه مِنْهَا إلا ما كُتِبَ لَه » .

---

(١) الروع : القلب أو النفس ، والمعنى أنه أوحى إلى وحياً خفياً .

(٢) أى أحسنوا .

الريـــاء

عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

قَال الله تَعَالى (أَنَا أَغْنى الشُّركاءِ عن الشِّرْك ، مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيْهِ مَعى غَيْرِى تركْتُه وَشِرْكَهُ)

فى رِوَايَةٍ : « فأَنا مِنْهُ بَرِئٌ ، هو والَّذى عَمِلَهُ » .

عن شداد بن أوس ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« مَنْ صَلىَّ يُرَائِى فَقَدْ أَشْرَك ، ومَنْ صامَ يُرَائِى فَقَد أَشْرَكَ ، ومَنْ تَصَدَّقَ يُرَائِى فَقَدْ أَشْرَكَ » (١) .

***

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بنى الحارث بن كعب — بعه ولى وفدهم — عمرو بن حزم الأنصارى ليفقههم فى الدين ويعلمهم السنة ، ومعالم الإسلام ، ويأخذ منهم صدقاتهم ، وكتب له كتاباً عهد إليه فيه ، وأمره فيه بأمره :

« بِسم الله الرحمٰن الرَّحِيم . هذَا بَيَانٌ مِنَ الله ورسوله (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنوا أَوْفُوا بِالعُقُود)(٢). عَقْدٌ مِنْ مُحَمَّد النَّبِى رسُول الله لعمرو بن حزم ، حين بَعَثَهُ إلى اليَمَن ، أَمَرَهُ بِتَقْوَىٰ الله فى أَمْرِه كله ف (إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقوا والَّذِينَ هُم مُحْسِنُونَ) (٣)وأَمَره أَنْ يأْخُذَ الحَق كما أَمَر به الله،وأَنْ يُبَشِّر النَّاس بالخَيْر ويأمرهم به ، وَيُعَلِّم النَّاس القُرْآنَ ، ويُفَقِّهُهم فى الدِّين ، ويَنْهَى النَّاس فَلاَ يَمَسُّ أَحَدٌ القُرآن إلاَّ وهُوَ طَاهِرٌ وَيُخْبِرَ

---

(١) لكن إعلان الصدقة مع الحذر من الرياء لا بأس به .

(٢) المائدة : ١ — (٣) النحل : ١٢٨

النّاسَ بالّذى لَهُمْ وبالّذى عَليْهم ، ويلينَ للنّاس فى الحق ، ويَشْتَدَ عَلَيْهِمْ فى الظلم ، فإن الله عزّ وَجَلّ كَرِه الظُّلمَ وَنَهى عَنْهُ وَقَال :

(أَلاَ لَعْنَةُ الله عَلىٰ الظّالِمينَ)(١)ويُبَشِّرَ النّاس بالجنّة وبعَملها،ويُنْذِرَ بالنّار وبعَمَلِهَا ، ويَسْتَألِفَ النّاس حَتّىٰ يَتَفَقّهُوا فى الدِّين ، ويعلِّم النّاس مَعَالم الحَجِّ وسُنَّتَه وفَريضَتَه ، وما أَمَرَ الله بِهِ فى الحَجِّ الأَكْبَر ، والحَج الأَصْغَر وهُوَ الْعُمْرَة ، ويَنْهىٰ النّاس أَنْ يُصَلِّىَ أَحَد فى ثوبٍ واحدٍ صَغير ، إلا أن يَكُون ثَوباً واحداً يثنى طَرَفَيْه على عاتِقَيه ، ويَنْهَى النّاس أن يحْتَبى (٢) أحدٌ فى ثوب واحدٍ يفضى بفرجِه إلى السّمَاء ، ويَنْهَى أن لا يَعْقُصَ (٣) أَحَدٌ شعر رأْسِه إذا عَفَا (٤) فى قَفَاهُ ، ويَنهىَ — إذا كانَ بَينَ النّاس هَيْجٌ (٥) — عن الدعاءِ إلى الْقَبَائِل والعَشَائر ، وليَكُن دُعاؤُهُم إلى الله وحده لا شَرِيكَ لَه ، فَمَن لَم يَدْعُ إلى الله وَدَعا إلى الْقَبَائِل والْعَشَائر فَليُقَطّعُوا بالسَّيفِ حتىٰ يكُون دُعاؤُهُمْ إلى الله وحده لاشريك له ، ويأمر الناس بإسْباغ الوضُوء : وُجُوهَهُمْ وأَيدِيَهُم إلى المرافقِ ، وأَرْجُلَهُم إلى الكعبين ، ويمسحونَ برُؤُوسِهم كما أَمَرَهم الله عزّ وجل ، وأمره بالصلاة لوقتها ، وإتمام الرُّكوع والخشوع ، ويُغلِّس (٦) بالفجر ، ويُهجِّر (٧) بالهَاجِرَة حين تَميلُ الشّمْس ، وصلاة العَصْرِ والشّمسُ فى الأَرْض مُدْبِرَة ، والمغرب حينَ يُقَبل اللّيل ، لاتُؤَخّر حتى

---

(١) هود : ١٨

(٢) يجمع ظهره وساقيه بثوب أو غيره وقد يحتبى بيديه .

(٣) يضفره ويفتله .
(٤) كثر وطال .

(٥) ثوران .
(٦) يبكر فى صلاة الفجر .

(٧) فى رواية « يهجر الظهر » يبكر إلى صلاته .

تبدو النجوم فى السَّمَاء . والعشاء أوَّل الليل . ويأمر بالسَّعْى إلى الجمعة إذا نُودِىَ لها . والغسل عند الرواح إليها . وأَمَرَهُ أن يأخذ من المغانم خُمسَ الله وما كُتِبَ على المؤمنين فى الصَّدَقَةِ . من العقار عُشر ماسَقَتِ العَين (١) وما سَقَت السَّماءُ . وعلى ما سقى الغَرْب (٢) نصف العُشْر . وفى كل عَشْر من الإبِل شَاتَان . وفى كل عشرين مِنَ الإبِل أَرْبَع شِيَاهٍ . وفى كلِّ أربَعين من الْبَقَر بَقَرة . وفى كل ثلاثين من البَقَر تَبِيعٌ (٣) : جذع أو جذعة . وفى كل أربعين من الغنم سَائِمَةً وحدها شاة . فإنَّها فَرِيْضَةُ الله التى افترضَ الله عز وجل على المؤمنين فى الصَّدَقَةِ . فَمَن زاد خيراً فهو خيرٌ له .

وإنَّه مَنْ أَسْلَم من يَهُودى أو نصرانى إسْلاماً خالصاً من نفسه وَدَانَ بدين الإسلام . فإنه من المؤمنين . له مثل مَالَهُمْ وَعَلَيْه مِثْلُ ما عليهم . ومَنْ كان على نصرانيته أو يهوديته . فإنه لايُفْتَنُ عَنْهَا . وعلى كلِّ حَالِم ذكر أو أُنثى . حُرٍّ أو عبدٍ دينارٌ وافٍ . أو عِوَضه ثياباً . فمن أدَّى ذلك . فإنَّ له ذمَّة الله وذمَّة رَسُوله . ومَنْ مَنَع ذلك فإنَّه عدوٌّ لله ولِرَسوله ولِلْمُؤمنين جَميعاً » (٤)

صلوات الله على محمد والسلام عليه ورحمة الله وبركاته

***

(١) فى رواية ما سقى البعل : أى الماء الجارى .

(٢) الدلو العظيمة .

(٣) تبيع دخل فى السنة الثانية ذكراً كان أو أنثى .

(٤) الجزية على غير المسلمين أشبه ببدل التجنيد لأنه لايجوز تكليفهم بالقتال فى سبيل الإسلام .

الباب الثـانى

وصايا الخلفاء الراشدين والصحابة



وصية أبى بكر الصديق الى خالد بن الوليد

كان أبوبكر رضى الله عنه قد بعث المثنى بن حارثة الشيبانى على جيش إلى العراق ، فقدمْ العراق فقاتل وأغار على أهل فارس ونواحى السواد فقاتل حولا أو نحوه — ثم بعث أخاه مسعود بن حارثة إلى أبى بكر يستمده فكتب أبو بكر إلى خالد بن الوليد وهو باليمامة :

(بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله أبى بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلَّم إلى خالد بن الوليد ومن معه من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان ، سلام عليكم ، فإنى أحمد إليكم الله الذى لا إله إلا هو .

أما بعد .. فالحمد لله الذى أنجزَ وَعْدَه ، وَنَصَرَ دِينَهُ ، وأعَزَّ وَلِيَّهُ ، وأَذَلَّ عَدُوَّه ، وغَلَبَ الأَحْزَاب فرداً . قال الله تعالى (وَعَدَ اللهُ الَّذينَ آمَنُوا مِنْكُم وعَمِلُوا الصَّالِحَات لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فى الأَرْض كما اسْتَخْلَفَ الَّذينَ مِنْ قَبْلِهم وليُمَكِّنَنَّ لهم دِينَهم الَّذى ارتَضَى لَهُم وليبدلَنَّهُم من بَعْد خَوفِهم أمناً ، يَعبدُونَنى لايُشْرِكُونَ بى شَيْئاً ، ومَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلكَ فأُولَئكَ هُمُ الفَاسقُون) (١) وَعْداً لاخُلف له ، ومقالا لا رَيْبَ فيه ، وفرض على المؤمنين الجهَاد فقالَ عزَّ من قائل :

---

(١) النور : ٥٥ .

(كُتِبَ عَلَيْكُم ٱلْقتَال وهوَ كرْهٌ لَكُم ، وعَسَى أن تَكْرَهُوا شَيْئاً وهوَ خَيرٌ لَكُم ، وعَسَى أنْ تُحبُّوا شَيْئاً وهوَ شَرٌّ لَكُم ، والله يَعْلَمُ وأنْتُم لا تَعْلَمُون) (١) . فاستَتِمُّوا مَوعد الله إيَّاكُم ، وأطيعوه فيما فَرَضَ عليكم ، وإن عَظُمَتْ فيه المئونة واشتدَّت فيه الرَّزية ، وبَعُدَت فيه الشقَّة ، وفُجعتُم فى ذلك بالأموال والأنفس ، فإن ذٰلك يَسيرٌ فى عَظيم ثواب الله ولَقَد ذَكَرَ لَنَا الصَّادق المصدوق صلى الله عليه وسلم أن الله يبعث الشهداء يوم القيامة شاهرين سُيُوفهم لا يَتَمَنَّون على الله شيئاً إلا آتاهُمُوه ، حتىٰ أعْطوا أمانيهم ، وما لم يخطر على قلوبهم ، فما شيءٌ يتمنَّاه الشَّهيد بعد دُخولِه الجنَّة إلا أن يردَّهم الله إلى الدُّنْيَا فَيُقْرَضون (٢) بالمقاريض فى الله لعظيم ثواب الله .

انفروا — رحمكم الله فى سبيل الله — خِفافاً وثقالا ، وجاهدُوا بأموالِكُم وأنفسِكُم فى سبيل الله ، ذٰلكُم خَير لَكُم إن كُنتُم تَعْلَمُون ، فقد أمَرْتُ خالد بن الوليد بالمسير إلى العراق لايبرحه حتىٰ يأتيه أمرى ، فَسيروا مَعَه ، وَلا تَثَّاقلُوا عَنْه فإنَّه سَبيل يُعَظِّم الله فيه الاجرَ لمَنْ حَسنت فيه نيتَّه ، وعَظُمَت فى ٱلْخير رَغْبَته ، فإذا قَدمتم العرَاق فَكُونوا بها حتىٰ يأتيكُم أمْرِى ، كَفَانا الله وإيَّاكُم مهم أمور الدُّنْيَا والآخرة والسَّلامُ عَلَيكُمْ ورحْمَةُ اللهِ .

***

---

(١) البقرة : ٢١٦

(٢) يستشهدون فيجزون الجزاء الحسن .

وصية أبى بكر الصديق الى عمر بن الخطاب

لما مرض أبو بكر رضى الله عنه مرضه الذى توفى فيه عهد إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقال :

« إنِّى مُسْتَخْلِفُكَ مِنْ بَعْدِى ، ومُوصِيكَ بِتَقْوَى الله ، إن لله عملا بالليل لا يقبله بالنَّهار ، وعملا بالنَّهار لا يقبله بالليل ، وإنَّه لاتُقْبَل نافلة حتى تؤدى الفريضة فإنَّه إنما ثَقُلَت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق فى الدنيا وثقله عليهم ، وحق لميزان لايوضع فيه إلا الحق أن يكون ثقيلا ، وإنَّما خفَّت موازين من خفَّت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل ، وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الباطل أن يكون خفيفاً .

إن الله عز وجل ذكر أهل الجنَّة فَذَكَرَهُمْ بِأَحْسن أَعْمالِهِمْ وتَجَاوَزَ عَنْ سَيِّئَاتِهِم فَإِذَا ذَكَرْتُهم قُلتُ انى أَخافُ أن لا أَكُونَ مَعْ هؤلاء ؛ وذكر أهل النار فذكرهم بِاسوإ أَعمالِهِم ولم يذكر حسناتهم ، فإذا ذكرتهم قلتُ إنى لأَرجو أن لا أَكونَ مِنْ هؤلاء . وذكر آية الرحمن مع آية العذاب ليكون المؤمن راغباً راهباً ، ولايتمنَّى على الله غير الحق ولايُلقى بيده إلى التَّهلكَة .

فإذا حَفِظْتَ وصِيَّتِى فلا يكُن غائبٌ أحب إليك من الموت وهو آتيك ، وإذا ضيَّعت وصيَّتِى فلا يكُن غائب أبغَض إليكَ مِنَ الموت ، ولستَ بمُعْجز الله .

ياعمر ، أبغضَكَ مُبغِض وأَحَبَّكَ مُحب ، وقِدْماً يُبْغَضُ الخَير ويُحَبُّ الشَّر .

فقال عمر : « لا حاجة لى فيها (يعنى الخلافة) » فقال له :

ولكن لها بك حاجة يا ابن الخطابِ ، إنى إنما أستخلفك نظراً لما خَلَّفتُ ورائِى . قد رأَيتَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وَصَحِبْتَه ، ورأيتَ أَثَرَته أنفسنا على نفسه حتىٰ إن كنا لنهدى لأَهله فضل ما يأتينا منه ، ورأيتَنِى وصحبْتَنى ، وإنما اتبعتُ أثر من كان قبلى ، والله ما نمتُ فحَلمتُ ، ولا تَوَهَّمْتُ فسَهَوتُ ، وإنِّى لَعَلى السَّبِيل ما زغْتُ . إن أول ما أُحَذِّرُك ياعُمَرُ نفسك ، إن لكل نفس شهوة فإذا أعطيتها تمادت فى غيرها ؛ واحذر هؤلاء النَّفَرَ مِن أصحاب رسول الله ، فإنَّهم قد طمحت أَبْصَارُهُمْ ، وانتفخت أجوافهم ، وأَحَبَّ كل امرىء مِنهم نفسه ، وإن لهم لحيرة عند زلة واحد منهم ، فإياك أن تكونه ، فإنهم لن يزالوا خائفين لك فَرِقِينَ مِنك مازلت خائفا لله وفَرِقْتَهُ ، ولَكَ مُسْتَقِيمين ما استقامت طريقتك .

وهذه وصيتى وأقرأ السلام عليك

***

أبو بكر وجيش أسامة بن زيد

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد بن حارثة على رأس جيش وأمره أن يوطئْ الخيل تخوم البلقاء والداروم (١) وكان آخر بعث بعثه الرسول صلى الله عليه وسلم وكان بينهم عمر بن الخطاب .

---

(١) البلقاء فى الضفة الشرقية لنهر الأردن (وعاصمتها عمان الآن) والداروم قلعة جنوب غزة .

وما كاد الجيش يجاوز الخندق حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فوقف أسامة حتى استخلف أبو بكر ثم أرسل عمر بن الخطاب إلى أبى بكر يستأذنه الرجوع للوقوف إلى جواره فى موقفه الخطير الجديد لما توقعه من انتقاض بعض القبائل وارتدادهم ، ولما علم من رغبة الأنصار أن يولى عليهم رجل أقدم سناً .

فلما أخبر عمر أبا بكر بما قال أسامة ، قال أبو بكر :

« والله لو علِمْت أن السِّباع تَجُرُّ برجلى إن لَم أَرُدَّه مارَدَدْته ولا حَلَلْت لِواءً عَقَده رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال عمر :

« إن الأَنصارَ يطْلُبُونَ إلَيكَ أن تُولى أمرهم رجُلا أقدَم سِنًّا منْ أسامة » .

فوثب أبو بكر وكان جالساً فأخذ بلحية عمر وقال :

« ثَكِلَتْكَ أُمّكَ وعدِمَتْكَ يا ابنَ الخَطَّاب ، استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم وتأمرنى أن أنزعه ؟ »

فعاد عمر إلى الناس فقالوا له : ما صنعت ؟

فَقَال : « امضوا ثكلَتكم أُمهَاتُكم ، مالَقِيتُ فى سَبِيلِكُم من خليفَة رَسُولِ الله » .

ثم نادى منادى أبى بكر من بعد الغد من متوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليتم بعث أسامة :

« ألا لايبقيَنَّ بالمدِينَة أحد من جُنْد أُسامة إلا خرج إلى عَسْكَره بالجرف » (١) .

---

(١) الجرف مكان على بعد ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام .

وقام أبو بكر فى الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال :

« يا أَيُّهَا النَّاس ، إنى وُلِّيتُ هذا الأمر وأنا لَهُ كَارِه والله اوددتُ او أنَّ بعضَكُم كَفَانِيه ؛ وإنَّمَا أنا مِثْلَكُم ، وإنى لا أَدْرى لَعَلَّكُم سَتُكَلِّفُونى ما كانَ رَسولُ الله صلى الله عليه وسلم يطيق ؛ إنَّ الله اصطفى مُحمَّداً على العالمين ، وعَصَمه، منَ الآفات وإنَّمَا أَنَا مُتَّبِع ، واستُ بِمُبْتَدِع ولَسْتُ بِخَير مِنْ أَحَدِكُم ، فراعونى ، فإن رأَيْتمُونى اسْتَقَمْت فتَابِعُونى وإن رَأَيْتُمُونى زغت فَقَوِّمُونى ؛ وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قُبِضَ وليس أحد من هذه الأُمَّة يطلبُه بِمَظلمة ضربة سَوط فما دُونَهَا ، ألا وإنَّ لِى شَيطَاناً يَعْتَرِينى ، فَإذا أتانى فاجْتَنِبُونى لا أُوثر فى أشعازِكُم وأَبْشَارِكُم » .

ثم أشخص الجيش وتبعه وهو ماش وأسامة راكب وعبدالرحمن بن عوف يقود دابه أبى بكر ، فقال له أسامة : ياخليفة رسول الله ، والله لتركبن أو لأنزلن ، قال :

« والله لاتَنْزل ، ووالله لا أَرْكَب ، وما عَلَىَّ أن أُغَبِّر قدمىَّ فى سبيل الله ساعة ، فإن للغَازِى فى كلٍّ خطوة يخطوها سبعمائة حسنة تُكتَب له وسبعمائة درجة تُرْفَع له ، وتُرفع عنه سبعمائة خطيئة » .

ولما انتهى قال لأسامة : إن رأيت أن تعيننى بعمر فافعل ، فأذن له . ثم قال أبو بكر :

« ياأَيُّهَا النَّاس ؛ قِفُوا أُوصيكُم بِعَشْرٍ فاحفَظُوها عنى :

لاتَخُونوا ،ولا تغُلُّوا ، ولاتَغْدُرُوا ، ولا تُمثِّلُوا ، ولاتَقْتُلُوا طِفْلاً صَغِيراً ولاشَيخاً كَبِيراً ولا امرأة ، ولا تعقروا نخلا ولا تحرقوه ، ولاتقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة أو بقرة ولا بعيراً إلا لِماكَله وسوف تَمرون بأقوام قد فرَّغوا أنفسَهم فى الصَّوامع فدعوهم وما فرَّغوا

أنفُسَهُم له ، وسوف تقدمون على قوم يأتونكم بآنية فيها ألوان الطعام ، فإذا أكلتم منها شيئاً بعد شيء فاذكروا اسم الله عليها ، وتلقون أقواماً قد فحصوا أوساط رؤوسهم وتركوا حولها مثل العصائب فاخفقوهم بالسيف خفقاً . اندفعوا باسم الله » .

ثم قال لأسامة :

« اصنع ما أمرك به رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ابدأ ببلاد قضاعة ثم ائت آبل (١) ، ولا تُقَصِّرَنَّ فى شىء من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

***

كتاب عمر الى أبى موسى الأشعرى

وكتب عمر إلى أبى موسى وهو بالبصرة :

بلغنى أنك تأذن للناس الجَمَّاء الغفير ، فإذا جاءك كتابى هذا فَأْذَن لأهل الشرف ، وأهل القرآن والتقوى والدين ، فإذا أخذوا مجالسهم فأْذن للعامة ، ولاتؤخر عملَ اليوم لِغَدٍ ، فَتَتَدَاكَّ (٢) عَلَيكَ الأعمال فتضيع ، وإياك واتباع الهوى ، فإن للناس أهواء مُتَّبعة ، ودنيا مُؤْثَرَة ، وضغائن محمولة ، وحاسب نفسك فى الرخاء قبل حساب الشدة ، فإنَّه مَنْ حَاسَبَ نَفْسه فى الرَّخاء قَبْل حِساب الشدَّة كان مرجعه إلى الرضا والغبطة ، ومَنْ أَلْهَتْه حياته وشَغَلَتْهُ أهواؤه عاد أمره إلى الندامة والحسرة ، إنَّه لايقيم أمر الله فى الناس إلا حصيف العقدة ، بعيد الغرارة ، لايَحْنِقُ على جِرَّة (٣) ، ولا يطَّلع الناس منه على عورة ، ولايخاف فى الحق لومة لائم .

---

(١) آبل : بلد بالأردن . (٢) تزدحم .

(٣) ما يفيض به البعير فيأكله ثانية والمقصود : لايضمر الحقد والحنق .

الْزَم أرْبَع خِصال يَسْلَم لَكَ دِينك ، وتَحظ بأفضَل حظِّك : إذا حضر الخصمان فَعَلَيكَ بالبَيِّنَات العدول ، أو الأيْمَان القَاطعَة ، ثمَّ تأْذن لِلضَّعيف حتىٰ يَنْبَسط لِسَانُهُ ويَجتَرِىء قلبه ، وتَعَاهَدْ الغَرِيب فإنَّه إذا طال حَبسُه ترك حَاجَته وانصَرف إلى أهله ، واحرص على الصلح ما لم يَبِنْ لَكَ القَضَاءُ .

***

كتـــاب عمر الى أبى موسى الأشعرى

(فى القضاء)

بِسْمِ الله الرَّحمٰن الرَّحِيم : مِن عَبْد الله عُمَر بن الخَطاب أمِير المؤْمِنين إلىٰ عَبْد الله بن قيس : سلام عليك .

أما بعد .. فإن القضاء فريضة مُحكَمَة وسُنَّة مُتَّبعَة ، فافْهَم إذا أدْلى (١) إليك ، وانْفُذ إذا تَبَيَّنَ لَك ، فإنَّه لايَنفَع تَكَلُّم بحق لانفاذ له ، آس (٢) بين النَّاس فى وجهك وعدلك ومجلسك حتى لايطمَع شريف فى حَيفك (٣) ولا يَيأَس ضَعِيفٌ مِن عَدْلك . البيِّنَة على من ادَّعَىٰ واليَمين على من أنكَر ، والصلح جائز بين المسلمين ، إلا صُلحاً أَحَلَّ حَرَاماً أو حرَّمَ حلالا ، ولايَمْنَعَنَّك قضاءٌ قضيته اليوم (٤) فراجعت فيه عقلك وهُديتَ فيه لِرُشْدك ، أن ترجع إلى الْحَقِّ ، فإن الحق قديم ، ومراجَعَة الحق خير من التمادى فى الباطل .

---

(١) أدلى بالحجة احتج بها .
(٢) سو بينهم واجعل بعضهم أسوة لبعض .
(٣) ميلك معه لشرفه .
(٤) فى قول آخر : بالأمس ..

الفهمَ الفهمَ فيما تَلَجْلَجَ فى صدرك مما لَيسَ فى كتاب الله ولا سُنَّة النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم اعرف الأشباه والأمثال فَقِسِ الأُمور عِنْدَ ذلِكَ بِنَظَائِرها ، واعْمَد إلى أقربها إلى الله وأشبهها بالحق واجعل لمن ادّعى حقاً غائباً أو بَيِّنة أمداً ينتهى إليه ، فإن أحضَرَ بَيِّنَته أخَذْت له بِحَقِّه ، وإلا استَحْلَلْت عليه القضية ، فإن ذلك أنْفَى لِلشَّك ، وأجلى للعمى ، وأبلغ فى العذر .

المسلمون عدول بعضهم على بعض إلا مجلوداً فى حد ، أو مُجَرَّباً عليه شهادة زور ، أو ظَنيناً (١) فى ولاء أو نَسَب ، فإنَّ الله قَدْ تَوَلَّى مِنْكُم السَّرَائر ، ودَرَأ (٢) بالبَيِّنَات والأيمان ، وإيَّاكَ والْغَلَق (٣) والضجر والتَّأَذِّى بالخُصُوم ، والتَّنَكُّر عند الخصومات ، فإن الحق فى مواطن الحق يُعْظِمُ الله به الأجْر ، ويُحْسِن به الذُّخْر ، فمن صَحَّت نِيَّته ، وأقبَلَ على نفسه ، كفاه الله ما بينه وبين الناس ، ومَنْ تَخَلَّق (٤) للناس بما يعلم الله أنه ليس من نفسه ، شانَهُ الله ، فَمَا ظَنُّكَ بِثَوَاب عند الله عزَّ وجلَّ ، وخَزَائن رحمته ، والسلام .

***

كتـاب عمر الى أبى موسى الأشعرى

(فى سياسة الدولة)

أما بعد .. فإن للنَّاس نُفْرَةً عن سُلطَانِهم . فأعوذ بالله أن تُدْرِكنى وإيَّاك عَمْيَاء مجهولة وضَغَائن محمولة ، وأهواء مُتَّبَعَة ، ودنيا مُؤثَرَة (٥)

(١) متهما . (٢) دفع — الحديث (ادرأوا الحدود بالشبهات) .
(٣) ضيق الصدر . (٤) تكلف . (٥) مفضلة .

فأقِم الحُدُود ولو ساعة من النَّهار ؛ وإذا عرضَ لَكَ أمْرَان : أحدهما لله ، والآخر للدنيا ، فآثِرْ نَصيبكَ مِنَ الآخرَة على نَصيبك من الدنيا . فإنَّ الدنيا تنفد والآخرة تبقى ، وكُنْ مِنْ خشْيَة الله على وَجَل ، وأخف الفُسَّاق واجعلْهُم يداً يداً ، ورجلا رجلا (١) وإذا كانت بين القَبَائل ثَائرَةٌ (٢) وتَدَاعَوا يالَفُلان ، فإنَّمَا تلك نَجْوَى (٣) الشَّيطَان ، فاضربهم بالسَّيف حتى يفيئوا (٤) إلى أَمْرِ الله ، وتكون دعوتهم إلى الله والإسلام ، واسْتَدِم النِّعْمَة بالشُّكر ، والطَّاعَة بالتَّألُّف ، والمقدِرَة والنُّصْرَة بالتَّوَاضع والمحبَّة للناس .

وقد بَلَغَ أميرَ المؤمنينَ أنَّ ضبَّة تَدْعُو يالضَّبَّة ، وإنى والله ما أعلم أن ضبة ساق الله بها خيراً قَطُّ ، ولا منع بها من سُوءٍ قط ، فإذا جاءك كِتَابى هذا فانْتَهِكْهُم (٥) عُقُوبَة حتى يَتَفَرَّقُوا إن لَمْ يَفْقَهُوا ، وألْصِقْ بِغَيْلان ابن خَرَشَة من بينهم (٦) ، وَعُدْ مَرْضَى المُسْلِمين ، واشْهَدْ جَنَائِزَهُم ، وافتح بابك لهم ، وباشِرْ أمرَهم بِنَفسك ، فإنَّمَا أنْتَ امرؤٌ مِنْهُم غَيرَ أنَّ الله جَعَلَكَ أثْقَلَهُم حِمْلا .

وقَدْ بَلَغَ أميرَ المؤمنين أنَّه قد فَشَتْ لَكَ ولأهل بَيتك هَيْئَة فى لِباسك ومطعمك ومَرْكَبك لَيسَ للمُسلِمين مِثْلُهَا ، فإيَّاك ياعبْدَ الله أنْ تَكُونَ بِمَنزلة ٱلْبَهِيمَة الَّتى مَرَّت بِوَادٍ خِصْبٍ ، فَلَم يَكُن لَهَا همَّة إلا السِّمَن ، وإنَّمَا حَتْفُهَا فى السمن .

---

(١) كبل أيديهم وأرجلهم بالأغلال والقيود .

(٢) عداوة وشحناء .

(٣) فى صيغة أخرى : نخوة من الشيطان وهى الكبر والعظمة والقومية .

(٤) يعودوا . (٥) اشتد فى عقوبتهم .

(٦) أى اجعل ثقتك فيهم لأنهم لايدعون بالقبلية .

واعلم أن للعامل مَرَدًّا إلى الله ، فإذا زاغَ العامِل زاغت رَعِيَّته ، وأنَّ أشقَىٰ النَّاس مَنْ شَقِيَتْ بِهِ رَعِيَّته والسَّلام »

***

كتاب عمر الى سعد بن أبى وقاص

عند غزو فارس

كتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص ومن معه من الأجناد : قال بعد حمد الله والثناء عليه :

أما بعد .. فإنى آمُرُكَ ومَنْ مَعَكَ مِنَ الأَجْنَاد بِتَقْوَىٰ الله على كل حال ، فإن تقوىٰ الله أفضل العدَّة على العدُوِّ ، وأقوىٰ المكيدة فى الحرب ، وآمُرُكَ ومن مَعَكَ أن تَكُونُوا أشَد احتراساً من المعاصى مِنكُم من عَدوِّكُم ، فإن ذُنُوب الجيش أخوف عَلَيهم من عَدُوِّهم ، وإنَّمَا يُنصر المسلمون بِمعصية عدوهم لله ، ولولا ذلك لم تكُنْ لَنَا بهم قوة لأن عددنا ليس كعددهم ، ولا عُدَّتَنَا كَعدَّتهم ، فإن استَوَينا فى المعصية كان لَهم الفضل عَلَينا فى القوة ، وإلا نُنْصَر عَلَيهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا ، فاعلموا أن عليكم فى سيركم حَفَظَة من الله يعلمون ماتفعلون فاستحيوا منهم ، ولاتعملوا بمعاصى الله وأنتم فى سبيل الله ، ولا تقولوا : إنَّ عدونا شرٌّ مِنَّا ، فلن يُسَلَّط علينا ، فرب قوم سُلِّط عليهم شرٌّ منهم ، كما سُلِّط على بنى اسرائيل – لما عملوا بمساخط الله – كفَّارُ المجوس ، فجاسوا خلال الدِّيار ، وكان وعداً مفعولا ، واسألوا الله العون على أنفسكم كما تسألُونَه النَّصر على عدوِّكُم ، أسأل الله تعالى ذلك لنا ولكُم .

وتَرَفَّقْ بالمسْلِمين فى مَسِيرِهم ، ولا تُجَشِّمْهُم مَسيراً يُتْعِبهُم ، ولا تُقَصِّر بهم عن مَنزل يرفُقُ بهم ، حتىٰ يبلُغُوا عدوهم – والسَّفَرُ لم يُنْقِص

قوتهم – فإنهم سائرون إلى عدو مُقيم ، حامى الأنفُس والكراع (١) ، وأقِم بِمَن مَعَكَ فى كل جمعة يوماً وليلة ، حتى تكون لهم راحة يُحيُون فيها أنفُسهم ، ويُرمُّون أسلحتهم وأمتعتهم ، ونَحِّ منازلهم عن قُرَى أهل الصلح والذِّمَّة ، فلا يدخلها من أصحابك إلا من تثق بدينه ، ولايَرْزَأ(٢) أحداً من أهلها شيئاً ، فإن لهم حرمة وذمة ابْتُلِيتُم بالوفاء بها ، كما ابْتُلُوا بالصَّبر عليها ، فما صبروا لكم فَتَوَلَّوْهم خيراً ، ولا تَسْتَنْصِرُوا على أهل الحرب بظلم أهل الصلح ، فإذا وَطِئْتَ أرض العدُوِّ فأَذْكِ العُيُون (٣) بينَكَ وبَيْنَهُم ، ولا يَخْفَ عليك أمرهم ، وليكن عندك من العرب أو من أهل الأرض من تطمئن إلى نُصْحِه وصدقه ، فإن الْكَذُوب لاينفعك خَبَرُه ، وإنْ صَدَقَكَ فى بعضه ، والْغَاشُّ عَيْنٌ عليك ، وليس عيناً لك ، وليكن منك عند دُنُوِّك من أرض الْعَدُوِّ أن تكثر الطلائع وتبُثَّ السَّرَايا بينك وبينهم ، فتقطع السرايا (٤) أمدادهم ومرافقهم وتتَّبع الطلائع عوراتهم ، وتنَقَّ (٥) للطلائع أهل الرأى والبأس من أصحابك ، وتَخَيَّر لهم سوابق الخيل ، فإن لقوا عدوًّا كان أول ما تلقاهم القوة من رأيك ، واجعل أمر السرايا إلى أهل الجهاد ، والصبر على الجلاد ، ولاتخصَّ بها أحداً بِهَوَى فَتُضَيِّعَ من رأيك وأمرك أكثر مما حابيت به أهل خاصَّتك ، ولاتبعثنَّ طليعة ولا سرية فى وجه تتخوف فيه غلبة أو ضيعة أو نكاية ، فإذا عاينت العدو ، فاضمم إليك أقاصيَك وطلائعك وسراياك ، واجمع إليك مكيدتك وقوَّتك ، ثم لا تعاجلهم المناجزة مالم يستكرهك قتال ،

---

(١) الخيل .

(٢) يصيب .

(٣) أرسل المخبرين .

(٤) قطع من الجيش .

(٥) تلقاه : اختاره .

حتى تُبْصِرَ عورة عدوك ومقاتِله ، وتعرفَ الأَرض كلها كمعرفة أهلها ، فتصنع بعدوك كصنعه بك ، ثم أذْكِ أحراسك على عسكرك وتَيَقَّظْ من البَيَاتِ (١) جهدك ، ولا تُؤتَى بأَسير ليس له عقد (٢) إلا ضربت عنقه لترهب به عدو الله وعدوك ، والله وليٌّ أمرك ومن معك . وولى النصر لكم على عدوكم ، والله المستعان .

***

من وصـــايا الحـــروب

كان عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – يقول عند عقد الألويه :

بسم الله وبالله وعلى عون الله . امضوا بتأييد الله والنصر : ولزوم الحق والصبر ، فقاتلوا فى سبيل الله من كفر بالله . ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين ، ولا تجبنوا عند اللقاء ، ولا تُمَثِّلوا عند القدرة . ولا تسرفوا عند الظهور ، ولا تقتلوا هِرماً ولا امرأة ولا وليداً . وَتَوَقَّوْا قتلهم إذا التقى الزَحفان ، وعند حُمَّة (٣) النَّهَضَات . وفى شَنِّ الغارات ، ولا تَغُلُّوا عند الغنائم ، ونَزِّهوا الجهاد عن عَرَض الدنيا ، وأبشروا بالرباح فى البيع الذى بايعتم به ، وذلك هو الفوز العظيم .

***

كتاب عثمان الى أهل الموسم(٤)

أمر عثمان بن عفان رضى الله عنه عبدالله بن عباس أن يحج بالناس فى السنة التى قتل فيها (سنة ٣٥ هـ) وكتب معه إلى أهل الموسم بكتاب يسألهم أن يأخذوا له بالحق ممن حصره وهو :

---

(١) البيات : غارات العدو الليلية . (٢) عهد .

(٣) حمة : – شدة .

(٤) بتصرف من الأصل جمهرة رسائل العرب جـ ١

بسم الله الرحمن الرحيم

« من عبد الله عثمان أمير المؤمنين ، إلى المؤمنين والمسلمين :

سلام عليكم ، فإنى أحمد الله إليكم الذى لا إله إلا هو .

أما بعد : فإنى أذكركم بالله جل وعز الذى أنعم عليكم ، وعلمكم الإسلام ، وهداكم من الضلالة ، وأنقذكم من الكفر ، وأراكم البيِّنات ، وأوسع عليكم من الرِّزق ، ونصركم على العَدُوِّ ، وأسبغ عليكم نِعَمه ، فإن الله عز وجل يقول وقوله الحَق :

(وإنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ الله لا تُحْصُوها ، إنَّ الإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ) (١). ثم ذكرهم بآيات من الذكر الحكيم ، منها :

(أَطِيعُوا اللهَ وأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِى الأَمْرِ مِنْكُم ، فَإِنْ تَنَازَعْتُم فى شَيءٍ فَرُدُّوهُ إلى الله والرَّسُولِ إنْ كُنْتُم تُؤمِنُونَ بِالله وَالْيَوم الآخِرِ ، ذَلِكَ خَيْرٌ وأَحْسنُ تَأْوِيلا) (٢) .

وقال ، وقوله الحق :

(وَعَدَ الله الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُم وَعَمِلُوا الصَّالحات لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فى الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِم وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُم الَّذِى ارْتَضَىٰ لَهُم وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِم أَمْناً ، يَعْبُدُونَنِى لايُشْرِكُونَ بِى شَيْئاً ، وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئكَ هُمُ الفَاسِقُونَ)(٣). وقال أيضاً وقوله الحق : (إنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ الله يَدُ الله فَوْقَ أَيْدِيهم ،

---

(١) إبراهيم : ٣٤

(٢) النساء : ٥٩

(٣) النور : ٥٥

فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ على نَفْسِه ،وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ الله فَسَيُؤتِيه أَجْراً عَظِيماً) (١) .

أما بعد : فإن الله عزَّ وجلَّ رضى لكم السمع والطاعة والجماعة ، وحذَّركم من المعصية والفرقة والاختلاف ونبَّأكم بما قد فعله بالذين من قبلكم ، وتقدم إليكم فيه ، ليكون له الحجة عليكم إن عصيتموه ، فاقبلوا نصيحة الله جل وعز ، واحذروا عذابه ، فإنكم لن تجدوا أُمَّة هلكت إلا من بعد أن تختلف ، إلا أن يكون لها رأس يجمعها ، ومتىٰ ماتفعلون ذلك لاتقيموا الصلاة جميعاً ، وسُلِّطَ علَيكم عدوُّكم ، ويستَحِلَّ بعضكم حُرَمَ بعض ، ومَتَىٰ يُفعل ذلك لايَقُمْ لله سبحانه دين ، وتَكُونوا شِيَعاً ، وقد قال الله جل وعز لرسوله صلىالله عليه وسلم :

(إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُم وكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُم فى شَىء . إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إلى الله ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) (٢) .

وإنِّى أُوصيكم بما أَوصاكم الله ، وأُحَذِّركم عذابه ، فإنَّ شُعَيباً صلى الله عليه وسلم قال لقومه :

(وَيَا قوْمِ لا يجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِى أَنْ يُصِيبكُم مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَو قَوْمَ هُودٍ أَو قَوْمَ صَالِحٍ ،وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُم بِبَعِيد . واستَغْفِرُوا رَبَّكُم ثُمَّ تُوبُوا إِلَيهِ ،إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُود) (٣) .

---

(١) الفتح : ١٠ — (٢) الأنعام : : ١٥٩

(٣) هود : ٨٩ ، ٩٠

أما بعد : فإن أقواماً ممن كان يقول فى هذا الحديث أظهروا للناس أنَّما يدعون إلى كتاب الله عز وجل والحق ، ولا يريدون الدنيا ولا منازعة فيها ، فلما عُرض عليهم الحق إذا الناس فى ذلك شتَى . منهم آخذ للحق ونازِعٌ (١) عنه حين يُعْطَاه ، ومنهم تارك للحق ونازل عنه فى الأمر يُريد أن يَبْتَزَّه (٢) بغير الحق ، طال عليهم عُمْرى . وراث (٣) عليهم أملهم الإمرة فاستعجلوا القدَر ، وقد كتبوا إليكم أنهم قد رَجَعوا بالذى أعطيتُهم ، ولا أعلم أنى تركتُ من الذى عاهدتّهم شيئاً ، كانوا زعموا أنهم يطلبون الحدود فقلت : أقيموها على من علمتم تَعَدَّاها فى أَحَد ، أقيموها على من ظلمكم من قريب أو بعيد ، قالوا : كتاب الله يُتْلى ، فقلت : فَلْيَتْلُهُ من تلاه غير غَال فيه بغير ماأنزل الله فى الكتاب ، وقالوا : — المحروم يرزق ، والمال يُوَفَّى لِيُسْتَنَّ فيه السُّنَّة الحسنة ، ولايعْتَدَى فى الخُمْس ولا فى الصَّدَقة ، ويُؤَمَّر ذو القوة والأمانة . وتُرَد مظالم الناس إلى أهلها ، فَرَضِيتُ بذلك واصطبرت له . وجئتُ نِسْوَةَ النبى صلى الله عليه وسلم حتى كَلَّمْتهنَّ فقلت : ما تأْمُرْنَنى ؟ فقُلْنَ : تُؤَمِّر عمرو بن العاص (٤) ، وعبد الله بن قيس (٥) وتَدَعُ معاوية ،

---

(١) نزع عن الأمر كضرب : كف وأبى .

(٢) يستلبه . (٣) أبطأ عليهم .

(٤) مات « عمر » وعلى مصر « عمرو بن العاص » فلما ولى « عثمان » أقره على عمله أربع سنين أو نحوها ثم عزله وولى مكانه عبدالله بن سعد بن أبى سرح — وهو أخو عثمان من الرضاع .

(٥) هو أبو موسى الأشعرى ، وكان عاملا على البصرة لما قتل عمر فأقره عثمان عليها وظل ست سنين ثم عزله عنها سنة ٢٩ هـ وولاها عبد الله بن عامر — وهو ابن خال عثمان — فسار أبو موسى من البصرة إلى الكوفة فلم يزل بها حتى أخرج أهل الكوفة سعيد بن العاص=

فإنما أمَّرَه أمير قبلك ، فإنه مصلح لأرضه ، راض به جُنْده ، واردد عَمْراً فإن جُنده راضون به ، فكلٌّ ذلك فَعَلْت ، وإنَّه اعتُدِىَ عَلَىَّ بعد ذلك ، وعُدِىَ على الحَقّ ، كتبتُ إليكم وأصحابى الذين زَعَموا فى الأمر استعجلوا القَدَر ، ومَنَعوا منّى الصَّلاة (١) ، وحالوا بينى وبين المسجد ، وابتَزّوا ماقدروا عليه بالمدينة ، كتبت إليكم كتابى هذا وهم يُخَيِّرُونَنِى إحْدَىٰ ثلاث : إمَّا يُقِيدونَنى بكل رَجُلٍ أصبْتُه خطأً أو صواباً غير متروك منه شىءٌ ، وإما أعتزل الأمر فيؤمِّرون آخر غيرى ، وإما يُرْسلون إلى من أطاعهم من الأجناد وأهل المدينة فَيَتَبَرَّءُونَ من الذى جعل الله سبحانه لى عليهم من السمع والطاعة ، فقلت لهم : أما إقادتى من نفسى ، فقد كان من قَبْلى خلفاءُ تُخْطِئُ وتصيب فلم يُسْتَقَدْ (٢) من أحد منهم ، وقد علمتُ إنما يريدون نفسى ، وأما أن أتبرأً من الإمارة فإن يَكْلُبُونى (٣) أحب إلى من أن أتبرأ من عمل الله عز وجل وخلافته ، وأما قولهم يرسلون إلى الأجناد وأهل المدينة فَيَتَبَرَّءُون من طاعتى ، فلست عليهم بوكيل ، ولم أكُنْ استكرهتهم من قبل على السمع والطاعة ، ولكن أتَوْها طائعين يبتغون مرضاة الله عز وجل وإصلاح ذات البين ، ومن يكن منكم إنما يبتغى الدنيا فليس بنائل منها إلا ما كتب الله عز وجل له ، ومن يكن إنما يريد وجه الله والدَّارَ الآخرةَ وصلاحَ الأمة وابتغاء

— وطلبوا من عثمان أن يستعمل أبا موسى عليهم فاستعمله سنة ٣٤هـ فلم يزل على الكوفة حتى قتل عثمان فعزله « على » عنها .

(١) لم يمكنونى من الصلاة . (٢) استقاد : ذل وخضع .

(٣) كلبه : أى ضربه بالكلاب — وهو قطعة الحديد التى على خف رائض الخيل .

مرضاة الله عز وجل والسُّنَّة الحسنة التى اسْتَنَّ بها رسول الله صلى الله عليه وسلم والخليفتان من بعده رضى الله عنهما ، فإنما يَجْزِى بذلكم الله ، وليس بيدى جَزَاؤُكم ، ولو أعطيتكم الدنيا كلها ، لم يكن فى ذلك ثمن لدينكم ، ولم يُغْنِ عنكم شيئاً ، فاتقوا الله واحتسبوا ما عنده ، فمن يَرْضَ بالنَّكْثِ منكم فإنى لا أرضاه له ، ولا يرضى الله سبحانه أن تنكثوا عهده ، وأما الذى يخَيِّرُونَنى فإنما كله النَّزْع والتأمير ، فملكتُ نفسى ومن معى ، ونظرتُ حُكْمَ الله وتغيير النعمة من الله سبحانه ، وكَرِهْتُ سُنَّة السوء وشقاق الأمة وسفك الدماء .

فإنى أَنشُدُكم بالله والإسلام أن لاتأْخُذُوا إلا الحق وتُعطوه منى ، وترك البغى على أهله ، وخذوا بيننا بالعدل كما أمركم الله عز وجل ، فإنى أنشدكم الله سبحانه الذى جعل عليكم العهد والموازرة فى أمر الله ، فإن الله سبحانه قال وقوله الحق :

(وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ ، إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولا) (١) .

فإن هذه معذرة إلى الله ولعلكم تَذَّكَّرُون .

أما بعد : فإنى لا أُبرئُ نفسى ، إنَّ النفس لأمَّارة بالسوء إلا ما رحم ربى إن ربى غفور رحيم ، وإن عاقبتُ أقواماً فما أبتغى بذلك إلا الخير ، وإنى أتوب إلى الله – عز وجل – من كلٍّ ماعملته وأستغفره ، إنه لايغفر الذنوب إلا هو ، إن رحمة ربى وَسِعت كل شىء ، إنه لايقنط من رحمة الله إلا القوم الضالون ، وإنه يقبل التوبة من عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما يفعلون .

---

(١) الإسراء : ٣٤

وأنا أسأل الله عز وجل أن يغفر لي ولكم ، وأن يُؤلف قلوب هذه الأُمة على الخير ، ويُكَرِّه إليها الفسق ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته أيها المؤمنون والمسلمون .

فقرأ ابن عباس هذا الكتاب على الناس قبل التروية (١) بمكة بيوم ، ثم قفل إلى المدينة وإذا عثمان قد قتل .

***

وصية على الى عثمان بن حنيف

بلغ علياً — رضى الله عنه — أن عامله على البصرة عثمان بن حنيف دعى إلى وليمة قوم من أهلها فمضى اليها فكتب إليه :

« أما بعد : يابن حُنَيف . فقد بلغنى أن رجلا من فِتية (٢) أهل البصرة دعاك إلى مَأْدُبَة فأسرعت إليها ، تُسْتَطاب لك الألوان ، وتُنْقَل إليك الجِفان ، وما ظَنَنْتُ أنك تُجيب إلى طعام قوم عائلهم (٣) مَجْفُوّ ، وغنيهم مدعو ، فانظر إلى ماتَقْضِمُه مِنْ هذا المَقْضَم ، فما اشتبه عليك علمه فالْفِظْه ، وما أيقنت بطِيب وجوهه فَنَل منه .

ألا وإن لكل مَأْموم إماماً يُقْتَدَىٰ به وتستضيءُ بنور علمه ، ألا وإن إمامكم قد اكتفىٰ من دنياه بطِمْرَيْه (٤) ومن طُعْمه بقُرْصَيْه ، ألا وإنكم لاتَقْدرون على ذلك ، ولكن أعينونى بورَع واجتهاد ، وعفَّة وسدَاد ، فو الله ما كَنَزْتُ مِن دنياكم تِبْراً ، ولا ادَّخرتُ مِن غنائمها وَفراً ، ولا

---

(١) يوم التروية : هو اليوم الثامن من ذى الحجة يتزود الحجاج فيه بالماء ، لأنه كان قليلا بمنى فكانوا يتزودون من الماء من بعيد .

(٢) يقال للشاب فتى وللسخى فتى . (٣) فقيرهم — مجفو : أى متروك .

(٤) الطمر : — الثوب البالى .

أعددت لبالي ثوبي طِمْرا ، ولا حُزْتُ من أرضها شبراً . ولو شئت لاهتديت الطريق إلى مُصَفًّى هذا العسل، ولُباب هذا القمح ، ونسائج هذا القزِّ ، ولكن هيهات أن يغلبني هواى ، ويقودني جشعي إلى تَخيُّر الأطعمة .ولعل بالحجاز وباليمامة من لاطمع له فى القرص ، ولاعهد له بالشبع ، أو أبيتَ مِبطاناً وحولى بُطُونٌ غَرْثَى (١) ، وأكباد حَرَّى (٢) ، أو أكون كما قال القائل :

وحسبك عاراً أن تَبِيت بِبِطْنَةٍ

وحولك أكباد تحن إلى القِدِّ (٣)

أأقنع من نفسى بأن يقال : هذا أمير المؤمنين ، ولا أشاركهم فى مكاره الدهر ، أو أكون أسوة (٤) لهم فى جُشُوبَة (٥) العَيش . فما خُلقتُ ليشغلنى أكل الطيبات ، كالبهيمة المربوطة ، هَمُّهَا علفها ، أو المرسلة شُغْلُها تَقَمُّمُها (٦) ، تكترش (٧) من أعلافها ، وتلهو عمَّا يُرَاد بها ، أو أُتْرَكَ سُدىً وأهمل عابثاً ، أو أَجُرَّ حبل الضلالة ، أو أَعْتَسف (٨) طريق المتاهة .

طُوبَى لِنفس أدَّت إلى ربِّها فَرْضَهَا ، وعركت بجنبها بُؤسَهَا (٩) وهجرت فى الليل غُمْضَها ، حتى إذا غَلَبَ الكَرَى عليها ، افترشت

---

(١) جياع .

(٢) حارة من الظمأ .

(٣) القطعة من الخبز أو اللحم .

(٤) قدوة .

(٥) خشونة .

(٦) تتبعها القمامات والتقاطها .

(٧) تملأ كرشها .

(٨) أركب الطريق على غير هدى .

(٩) صبرت عليه .

أرضها ، وتوسَّدت كفَّهَا ، فى معشر أَسْهَرَ عُيُونَهم خَوفُ مَعَادِهم ، وتجافت عن مضاجعهم جُنُوبهم ، وهَمْهَمَتْ (١) بِذِكر ربهم شِفَاهُهُمْ ، وتَقَشَّعَتْ بِطُول استغفارهم ذُنُوبهم ، (أُولئِكَ حِزْبُ الله ، ألاَ إنَّ حِزْبَ الله هُمُ المفْلِحُونَ) (٢) .

فاتَّقِ الله يابن حنيف . . . ولتكفك أقراصك ، ليكون من النَّار خلاصك » .

***

كتاب على للأشتر النخعى

ومن كتاب لعلى بن أبى طالب – كرم الله وجهه – كتبه للأشتر النخعى ، لما ولاه على مصر وأعمالها حين اضطرب أمر محمد بن أبى بكر – وهو أطول عهوده وأجمع كتبه للمحاسن .

بسم الله الرحمن الرحيم

« هذا ما أمر به عبدالله علىٌّ أمير المؤمنين . مالك بن الحارث الأشتر فى عهده إليه ، حين ولاَّهُ مصر : جبايةَ خراجها ، وجهادَ عدوِّها ، واستصلاحَ أَهْلِها ، وعمارةَ بلادها .

أمره بتقوى الله ، وإيثارِ طاعته ، واتباعِ ما أمر به فى كتابه : من فرائضه وسننه ، التى لايسعد أحد إلا باتباعها ، ولا يشقى إلا مع جحودها وإضاعتها ، وأن ينصر الله سبحانه بقلبه ويده ولسانه ، فإنه – جَلَّ اسمه – قد تكفَّل بنَصْرِ مَنْ نَصَرَه ، وإعْزَازِ من أعزه .

(١) الهمهمة : الكلام الخفى وترديد الصوت .
(٢) المجادلة : ٢٢

وأمره أن يكسر نفسه من الشهوات ، ويزعها عند الجمحات ، فإن النفس أمّارة بالسوء ، إلا مارحم الله .

• ثم اعلم – يا مالك – أنى قد وجهتك إلى بلاد قد جرت عليها دولٌ قبلك ، من عدْلٍ وجَوْرٍ ، وأن الناس ينظرون من أُمورك فى مثل ما كنت تنظر فيه من أُمور الولاة قبلك، ويقولون فيكَ ما كنتَ تقولُ فيهم ، وإنما يستدلُّ على الصالحين بما يجرى الله لهم على أَلْسُنِ عباده ، فليكن أحبُّ الذخائرِ إليك ذخيرةَ العملِ الصالحِ . فاملك هَوَاك وشح بنفسك عما لا يحلّ لك ، فإن الشُّحَّ بالنفس الإنصافُ منها فيما أحبتْ أو كَرِهَت . واشعر قلبَك الرحمةَ للرعية ، والمحبةَ لهم ، واللُّطْفَ بهم ، ولا تكُوننَّ عليهم سَبعاً ضارياً تَغْتَنِم أَكْلَهُم ، فإنهم صنفان : إما أَخٌ لك فى الدين ، أو نظيرٌ لك فى الخَلْق . يفرط منهم الزَّلَلْ . وتَعْرِض لهم العللُ ، ويُؤتَىٰ على أيديهم فى العَمْدِ والخَطَأ ، فاعطِهم من عفوكِ وصَفْحِك مثلَ الذى تحب أن يعطيك الله من عَفْوه وصفحه ، فإنك فوقهم ، ووالى الأمر عليك فوقك ، والله فوق من وَلاَّك ، وقد استكفاك أمرهم ، وابتلاك بهم ، ولا تنصبن نفسك لحرب الله فإنه لايد لك بنِقْمَتِهِ ، ولا غِنَى بك عن عَفْوِهِ ورَحْمَتِه ، ولاتندمنَّ على عَفْوٍ ، ولاتبجحن بعقوبة ، ولا تسرعن إلى بادرة وجدت منها مندوحة ، ولا تقولن إنِّى مُؤَمَّرٌ آمُرُ فأُطَاع ، فإن ذلك إدغالٌ فى القلب ، ومنهكةٌ للدين ، وتقربٌ من الغير .

• وإذا أَحْدَثَ لك ما أنت فيه من سُلْطَانك أُبَّهَةً أو مَخِيلَةً ، فانظر إلى عِظَم مُلْكِ الله فوقك ،وقُدْرَته منك على مالا تقدر عليه من نفسك ،

فإنَّ ذلك يطامن إليك من طماحك ، ويكف عنك من غربك ، ويفيُّ إليك بما عزب عنك من عقلك .

• إياك ومساماةَ الله فى عَظَمَته ؛ والتَّشَبُّهَ به فى جَبَروُته ، فإن الله يُذِلُّ كُلَّ جبَّارٍ ، ويُهِينُ كُلَّ مُخْتالٍ .

• انْصِف اللهَ وانصف الناسَ من نَفْسِك ومن خاصَّةِ أهلك ومن لك فيه هوى من رعيتك ، فإنك إلا تفعل تظلم ، ومَنْ ظَلَمَ عِبَادَ اللهِ كان اللهُ خَصْمَه دون عباده ، ومن خَاصَمَهُ اللهُ أَدحضَ حجته ، وكان لله حرباً حتى ينزع أو يتوب ، وليس شيٌ أدعىٰ إلى تغيير نعمة الله وتعجيل نقمته من إقامةٍ على ظلم ، فإن الله سميعٌ دعوةَ المضطهدين ، وهو للظالمين بالمرصاد .

• وليكن أحبُ الأُمورِ إليك أوسطها فى الحق ، وأعمها فى العدل ؛ وأجمعها لرضا الرعية ، فإن سخط العامة يجحف برضا الخاصة ، وإن سخط الخاصة يغتفر مع رضا العامة . وليس أحدٌ من الرعية أثقلَ على الوالى مؤونة فى الرخاء ، وأقل معونة له فى البلاء ، وأكره للإنصاف ، واسأل بالإلحاف ، وأقل شكراً عند الإعطاء ،وأبطأ عذراً عند المنع ، وأضعف صبراً عند ملمات الدهر من أهل الخاصة . وإنما عمادُ الدين وجماعُ المسلمين ، والعدة للأعداء العامةُ من الأُمة ، فليكن صَغْوُكَ لهم ، ومَيْلُك معهم .

• وليكن أبعد رعيتك منك ؛ وأشنأهم (١) عندك أطلبهم لمعائب الناس ؛ فإن فى الناس عيوباً ، الوالى أحق من سترها ، فلا تكشفن عما

(١) أبغضهم .

غاب عنك منها ، فإنما عليك تطهير ما ظهر لك . والله يحكم على ما غاب عنك ، فاستر العورة ما استطعت ، يستر الله منك ما تحب ستره من رعيتك ، أطلق عن الناس عقدة كل حقد ، واقطع عنك سبب كل وتر (١) ،وتغاب عن كل مالا يصلح لك ولا تعجلن إلى تصديق ساعٍ ، فإن الساعي غَاشٌ ، وإن تشبه بالناصحين .

* ولاتُدخلن فى مشورتك بخيلا يعدل بك عن الفضل ، ويعدك الفقر ، ولا جباناً يضعفك عن الأمور ، ولا حريصاً يزين لك الشره بالجور ، فإن البخل والجبن والحرص غرائز شتى ، يجمعها سوء الظن بالله .

* إن شر وزرائك من كان للأشرار قبلك وزيراً ، ومن شَرِكَهُم فى الآثام فلا يكونن لك بطانة ؛ فإنهم أعوان الآثمة ، وإخوان الظلمة ، وأنت واجد منهم خير الخلف ممن له مثل آرائهم ونفاذهم ، وليس عليه مثل آصارهم (٢) وأوزارهم (٣) ممن لم يعاون ظالماً على ظلمه ، ولا آثماً على إثمه ، أولئك أخف عليك مؤونة ، وأحسن لك معونة ، وأحنى عليك عطفاً وأقل لغيرك إلفاً ، فاتخذ أولئك خاصة لخلواتك وحفلاتك ، ثم ليكن آثرهم عندك أقولهم بمُرِّ الحق لك ، وأقلهم مساعدة فيما يكون منك مما كره الله لأوليائه ، واقعاً ذلك من هواك حيث وقع ، والصق بأهل الورع والصدق ،ثم رضهم على أن لايطروك ولايبجحوك بباطل لم تفعله ، فإن كثرة الإطراء تحدث الزهو ، وتدنى من العزة .

* ولايكونن المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء ، فإن فى ذلك تزهيداً لأهل الإحسان فى الإحسان ، وتدريباً لأهل الإساءة على الإساءة .

---

(١) الانتقام أو الظلم فيه .　　(٢) الإصر : الذنب .
(٣) الوزر : الإثم .

وألزم كلا منهم ما ألزم نفسه . واعلم أنه ليس شيء بأدعى إلى حسن ظن راع برعيته من إحسانه إليهم ، وتخفيفه المؤونات عليهم ، وترك استكراهه إياهم على ما ليس له قبلهم ، فليكن منك فى ذلك أمر يجتمع لك به حسن الظن يقطع عنك نصباً طويلا ، وإن أحق من حسن ظنك به لمن حسن بلاؤك عنده ، وإن أحق من ساء ظنك به لمن ساء بلاؤك عنده .

ولا تنقض سنّة صالحة عمل بها صدور هذه الأمة ، واجتمعت بها الالفة ، وصلحت عليها الرعية ، ولا تحدثن سُنّة تضر بشىء من ماضى تلك السنن ، فيكون الأجر لمن سنها ، والوزر بما نقضت منها .

وأكثر مدارسة العلماء ، ومنافثة الحكماء فى تثبيت ما صلح عليه أمر بلادك ، وإقامة ما استقام به الناس قبلك .

واعلم أن الرعية طبقات لا يصلح بعضها إلا ببعض ، ولا غنى ببعضها عن بعض : فمنها جنود الله ، ومنها كتاب العامة والخاصة ، ومنها قضاة العدل ، ومنها عمال الانصاف والرفق ، ومنها أهل الجزية والخراج من أهل الذمة ومسلمة الناس ، ومنها التجار وأهل الصناعات ، ومنها الطبقة السفلى من ذوى الحاجة والمسكنة ، وكل قد سمى الله له سهمه ، ووضع على حده فريضة فى كتابه أو سنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم – عهداً منه عندنا محفوظاً . فالجنود ، بإذن الله ، حصون الرعية ، وزين الولاة ، وعز الدين ، وسبل الأمن ، وليس تقوم الرعية إلا بهم ، ثم لاقوام للجنود إلا بما يخرج الله لهم من الخراج الذى يقوون به على جهاد عدوهم ويعتمدون عليه فيما يصلحهم ويكون من وراء حاجتهم . ثم لا قوام لهذين الصنفين إلا بالصنف الثالث من القضاة والعمال والكتاب ، لما يحكمون

من المعاقدويجمعون من المنافع . ويؤتمنون عليه من خواص الأُمور وعوامها . ولاقوام لهم جميعاً إلا بالتجار وذوى الصناعات ، فيما يجتمعون عليه من مرافقهم ويقيمونه من أسواقهم ، ويكفونهم من الترفق بأيديهم ما لايبلغه رفق غيرهم ، ثم الطبقة السفلى من أهل الحاجة والمسكنة الذين يحق رفدهم ومعونتهم ، وفى الله لكل سعة ، ولكل على الوالى حق بقدر ما يصلحه ، وليس يخرج الوالى من حقيقة ما ألزمه الله من ذلك إلا بالاهتمام والاستعانة بالله ، وتوطين نفسه على لزوم الحق ، والصبر عليه فيما خف عليه أو ثقل ، فَوَلِّ من جنودك أنصحهم فى نفسك لله ولرسوله ولإمامك ، وأنقاهم جيباً ، وأفضلهم حلماً ، ممن يبطئُ عن الغضب ، ويستريح إلى العذر ، ويرأف بالضعفاء ، وينبو على الأقوياء ، وممن لايثيره العنف ، ولا يقعد به الضعف .

* ثم الصق بذوى المروءات والأحساب وأهل البيوتات الصالحة والسوابق الحسنة . ثم أهل النجدة والشجاعة والسخاء والسماحة ، فإنهم جِمَاعٌ من الكرم ، وشُعَبٌ من العرف (١) . ثم يتفقَّد الوالدان من ولدهما ولا يتفاقمن فى نفسك شئ قويتهم به ، ولا تحقرن لطفاً تعاهدتهم به وإن قلَّ ، فإنه داعية لهم إلى بذل النصيحة لك ، وحسن الظن بك . ولا تدع تفقد لطيف أمورهم اتكالاً على جسيمها ، فإن لليسير من لطفك موضعاً ينتفعون به ، وللجسيم موقعاً لا يستغنون عنه .

* وليكن آثر رؤُوس جندك عندك من واساهم فى معونته . وأفضل عليهم من جدته ، بما يسعهم ويسع من وراءهم من خلوف أهليهم ، حتى يكون همهم هماً واحداً فى جهاد العدو ، فإن عطفك عليهم يعطف قلوبهم

---

(١) العرف : الجود والمعروف .

عليك . وإن أفضل قرَّة عين الولاة استقامة العدل فى البلاد ، وظهور مودة الرعية ، وإنه لاتظهر مودتهم إلا بسلامة صدورهم ، ولا تصح نصيحتهم إلا بحيطتهم على ولاة الأُمور وقلة استثقال دولهم ، وترك استبطاء انقطاع مدتهم ، فافسح فى آمالهم ، وواصل فى حسن الثناء عليهم وتعديد ما أبلى ذوو البلاء منهم . فإن كثرة الذكر لحسن أفعالهم تهز الشجاع . وتحرض الناكل إن شاء الله .

* ثم اعرف لكل امرىء منهم ما أبلى ولا تضيفن بلاء امرىء إلى غيره ، ولا تقصرن به دون غاية بلائه ، ولا يدعوَنَّك شرف امرىء إلى أن تعظم من بلائه ما كان صغيراً (١) ولاضعة امرىء إلى أن تستصغر من بلائه ما كان عظيما .

* واردد إلى الله ورسوله ما يضلعك من الخطوب ، ويشتبه عليك من الأُمور ، فقد قال الله تعالى لقوم أحب إرشادهم : (يَـٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا الله وأَطِيعُوا الرَّسُولَ وأُولِى الأَمْرِ مِنْكُم ، فَإِنْ تَنَازَعْتُم فى شَيءٍ فَرُدُّوهُ إلى الله والرَّسُولِ)(٢). فالرد إلى الله : الأَخذ بمحكم كتابه ، والرد إلى الرسول الأَخذ بسنته الجامعة غير المفرقة .

* ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعيتك فى نفسك ممن لاتضيق به الأُمور ، ولاتمحكه الخصوم ، ولا يتمادىٰ فى الزلة ، ولايحصر من الفيء إلى الحق إذا عرفه ، ولاتشرف نفسه على طمع ، ولايكتفى بأَدنىٰ فهم دون أَقصاه ، وأوقفهم فى الشبهات ، وآخذهم بالحجج ، وأَقلهم تبرماً بمراجعة الخصم ، وأَصبرهم على تكشف الأُمور ، واصرمهم عند اتضاح الحكم ، ممن لايزدهيه إطراء ، ولايستميله إغراء ، ، وأُولئك

---

(١) دقيقاً .

(٢) النساء : ٥٩

قليل . ثم أكثر تعاهد قضائه ، وأفسح له فى البذل ما يزيل علته ، وتقل معه حاجته إلى الناس ، واعطه من المنزلة لديك مالا يطمع فيه غيره من خاصتك ليأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك ، فانظر فى ذلك نظراً بليغاً ، فإن هذا الدين قد كان أسيراً فى أيدى الأشرار ، يعمل فيه بالهوى ، وتطلب به الدنيا .

* ثم انظر فى أمور عمالك فاستعملهم اختباراً ، ولا تولّهم محاباة وأثرة ، فإنهم جماع من شعب الجور والخيانة . وتوخّ منهم أهل التجربة والحياء ، من أهل البيوتات الصالحة والقدم فى الإسلام المتقدمة ، فإنهم أكرم أخلاقاً وأصح اعراضاً ، وأقل من المطامع إشراقاً ، وأغلب فى عواقب الأمور نظراً . ثم أسبغ عليهم الأرزاق فإن ذلك قوة لهم على استصلاح أنفسهم ، وغنىً لهم عن تناول ما تحت أيديهم . وحجة عليهم إن خالفوا أمرك أو ثلموا أمانتك ، ثم تفقد أعمالهم ، وابعث العيون من أهل الصدق والوفاء عليهم ، فإن تعاهدك فى السر لأمورهم حدوة لهم على استعمال الأمانة والرفق بالرعية وتحفظ من الأعوان . فإن أحد منهم بسط يده إلى خيانة اجتمعت بها عليه عندك أخبار عيونك ، اكتفيت بذلك شاهداً ، فبسطت عليه العقوبة فى بدنه ، وأخذته بما أصاب من عمله ، ثم نصبته بمقام المذلة ، ووسمته بالخيانة ، وقلدته عار التهمة .

* وتفقد أمر الخراج (١) بما يصلح أهله ، فإن فى صلاحه وصلاحهم صلاحاً لمن سواهم ، ولاصلاح لمن سواهم إلا بهم ، لأن الناس كلهم عيال على الخراج وأهله ، وليكن نظرك فى عمارة الأرض أبلغ من نظرك فى استجلاب الخراج ، لأن ذلك لايدرك إلا بالعمارة . ومن طلب

---

(١) الخراج : نصيب بيت المال مما يخرج من الأرض .

الخراج بغير عمارة أخرب البلاد وأهلك العباد ، ولم يستقم أمره إلا قليلا . فإن شكوا ثقلا أو علة أو انقطاع شرب أو بالة ، أو إحالة أرض اغتمرها غرق أو أجحف بها عطش ، خففت عنهم ، بما ترجو أن يصلح به أمرهم ، ولا يثقلن عليك شيء خففت به المؤونة عنهم ، فإنه ذخر يعودون به عليك فى عمارة بلادك ، وتزيين ولايتك ؛ مع استجلابك حسن ثنائهم ، وتبجحك باستفاضة العدل فيهم ، معتمداً فضل قوتهم ، بما ذخرت عندهم من إجمامك لهم والثقة منهم بما عودتهم من عدلك عليهم فى رفقك بهم . فربما حدث من الأُمور ما إذا عولت فيه عليهم من بعد احتملوه طيبة أنفسهم به ، فإن العمران محتمل ما حملته ، وإنما يؤتى خراب الأَرض من إعواز أهلها ، وإنما يعوز أهلها لإشراف أنفس الولاة على الجمع ،وسوء ظنهم بالبقاء ، وقلة انتفاعهم بالعبر .

* ثم انظر فى حال كتّابك فَوَلِّ على أُمورك خيرهم ، واخصص رسائلك التى تدخل فيها مكائدك وأسرارك بأَجمعهم لوجوه صالح الأَخلاق ممن لاتبطره الكرامة فيجترىء بها عليك فى خلاف لك بحضرة ملإ ، ولا تقصر به الغفلة عن إيراد مكاتبات عمالك عليك ، وإصدار جواباتها على الصواب عنك ، فيما يأَخذ لك ويعطى منك ، ولا يضعف عقداً اعتقده لك ، ولا يعجز عن إطلاق ما عقد عليك ، ولا يجهل مبلغ قدر نفسه فى الأُمور ، فإن الجاهل بقدر نفسه يكون بقدر غيره أجهل ، ثم لا يكن اختيارك إياهم على فراستك واستنامتك وحسن الظن منك ، فإن الرجال يتعرفون لفراسات الولاة بتصنعهم وحسن خدمتهم ، وليس وراء ذلك من النصيحة والأَمانة شىء . ولكن اختبرهم بما ولوا للصالحين قبلك ، فاعمد لأَحسنهم كان فى العامة أثراً ، وأعرفهم بالأَمانة وجهاً ،

فإن ذلك دليل على نصيحتك لله ولمن وليت أمره . واجعل لرأس كل أمر من أمورك رأساً منهم لايقهره كبيرها ، ولا يشتت عليه كثيرها . ومهما كان فى كتابك من عيب فتغابيت عنه ألزمته .

* ثم استوص بالتجار وذوى الصناعات وأوص بهم خيراً : المقيم منهم والمضطرب بماله والمترفق ببدنه ، فإنهم مواد المنافع ، وأسباب المرافق وجلابها من المباعد والمطارح فى برك وبحرك وسهلك وجبلك ، وحيث لايلتئم الناس لمواضعها ولا يجترئون عليها ، فإنهم سلم لاتخاف بائقته وصلح لاتخشى غائلته . وتفقد أمورهم بحضرتك وفى حواشى بلادك.

* واعلم – مع ذلك –أن فى كثير منهم ضيقاً فاحشاً . وشحاً قبيحاً ، واحتكاراً للمنافع ، وتحكماً فى البياعات ، وذلك باب مضرة للعامة ، وغيب على الولاة ، فامنع من الاحتكار ، فإن رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – منع منه ، وليكن البيع بيعاً سمحاً : بموازين عدل ، وأسعار لاتجحف بالفريقين من البائع والمبتاع ، فمن قارف حكرة بعد نهيك إياه فنكل به ، وعاقبه فى غير إسراف .

* ثم الله الله فى الطبقة السفلى من الذين لاحيلة لهم من المساكين والمحتاجين وأهل البؤس والزمنىٰ ، فإن فى هذه الطبقة قانعاً ومعترّاً ، واحفظ لله ما استحفظك من حقه فيهم، واجعل لهم قسماً من بيت مالك، وقسماً من غلات صوافى الإسلام فى كل بلد ، فإن للأقصى منهم مثل الذى للأدنى ، وكل قد استرعيت حقه . فلا يشغلنك عنهم بطر ، فإنك لاتعذر بتضييعك التافه لإحكامك الكثير المهم ، فلا تشخص همك عنهم . ولاتُصعِّر خدك لهم ، وتفقد أمور من لايصل إليك منهم ممن تقتحمه العيون ، وتحقره الرجال . ففرِّغ لأولئك ثقتك من أهل الخشية

والتواضع ، فليرفع إليك أمورهم ، ثم اعمل فيهم بالإعذار إلى الله يوم تلقاه ... فإن هؤلاء من بين الرعية أحوج إلى الإنصاف من غيرهم ، وكل فاعذر إلى الله فى تأدية حقه إليه . وتعهد أهل اليُتْم وذوى الرقة فى السن ممن لاحيلة له ، ولا ينصب للمسألة نفسه ، وذلك على الولاة ثقيل – والحق كله ثقيل – وقد يخففه الله على أقوام طلبوا العاقبة فصبروا أنفسهم ، ووثقوا بصدق موعود الله لهم .

* واجعل لذوى الحاجات منك قسماً تفرغ لهم فيه شخصك ، وتجلس لهم مجلساً عاماً فتتواضع فيه لله الذى خلقك ، وتقعد عنهم جندك وأعوانك من أحراسك وشُرَطك حتى يكلمك متكلمهم غير متتعتع ، فإنى سمعت رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – يقول فى غير موْطن : « لَنْ تُقَدَّس أُمَّة لايُؤْخَذُ لِلضَّعِيفِ فِيهَا حَقُّهُ مِنَ القَوِىِّ غَيْر مُتَتَعْتع » . ثم احتمل الخرق منهم والعىَّ ، ونحِّ عنهم الضيق والأنف ، يبسط الله عليك بذلك أكناف رحمته ، ويوجب لك ثواب طاعته . وأعط ماأعطيت هنيئاً ، وامنع فى إجمال وإعذار .

* ثم أمورٌ من أمورك لابد لك من مباشرتها : منها إجابة عمالك بما يعيا عنه كُتَّابُك ، ومنها إصدار حاجات الناس يوم ورودها عليك بما تحرج به صدور عوانك . وامْضِ لكل يوم عمله ، فإن لكل يوم مافيه ، واجعل لنفسك فيما بينك وبين الله أفضل تلك المواقيت ، وأَجْزَلَ تلك الأقسام ، وإن كانت كلها لله إذا صلحت فيها النية وسلمت منها الرعية .

* وليكن فى خاصة ما تخلص به لله دينك : إقامة فرائضه التى هى له خاصة ، فاعط الله من بدنك فى ليلك ونهارك ، ووفِّ ما تقربت به إلى

الله من ذلك كاملا غير مثلوم ولا منقوص ، بالغاً من بدنك ما بلغ . وإذا قمت فى صلاتك للناس ، فلا تكونن منفِّراً ولامضيِّعاً ، فإن فى الناس من به العلة وله الحاجة . وقد سألتُ رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – حين وجهنى إلى اليمن كيف أصلى بهم ؟ فقال : « صلِّ بِهِمْ كَصَلاةِ أَضْعَفِهم ، وكُنْ بالمؤْمنينَ رَحِيْماً » .

أما بعد ، فلا يَطولن احتجابك عن رعيتك ، فإن احتجاب الولاة عن الرعية شعبة من الضيق ، وقلة علم بالأُمور ؛ والاحتجاب منهم يقطع عنهم علم ما احتجبوا دونه فيصغر عندهم الكبير ، ويعظم الصغير ، ويقبح الحسن ، ويحسن القبيح ، ويُشاب الحق بالباطل . وإنَّما الوالى بشر لايعرف ما توارى عنه الناس به من الأُمور ، وليست على الحق سمات تعرف بها ضروب الصدق من الكذب ، وإنما أنت أحد رجلين : إما امروٌ سخت نفسك بالبذل فى الحق ، ففيم احتجابك من واجب حقٍّ تعطيه ، أو فِعْل كريم تسديه ، أو مبتلى بالمنع ، فما أسرع كف الناس عن مسألتك إذا أيسوا من بَذْلِك مع أن أكثر حاجات الناس إليك مما لا مؤونة فيه عليك ، من شكاة مظلمة أو طلب إنصاف فى معاملة .

• ثم إن للوالى خاصة وبطانة ، فيهم استئثار وتطاول وقلة إنصاف فى معاملة ، فاحسم مادة أُولئك بقطع أسباب تلك الأَحوال . ولاتقطعن لأَحد من حاشيتك وخاصَّتك قطيعة ، ولايطمعُن منك فى اعتقاد عقدة ، تضر بمن يليها من الناس ، فى شرب أو عمل مشترك ، يحملون مؤونته على غيرهم ، فيكون مهنأ ذلك لهم دونك . وعَيْبُهُ عليك فى الدنيا والآخرة .

• والزم الحق من لزمه من القريب والبعيد . وكن فى ذلك صابراً محتسباً ، واقعاً ذلك من قرابتك وخاصّتك حيث وقع ، وابتغ عاقبته بما يثقل عليك منه ، فإن مغبة ذلك محمودة .

• وإن ظنت الرعية بك حيفاً فأصحر (١) لهم بعذرك ، واعدل عنك ظنونهم باصحارك ، فإن فى ذلك رياضة منك لنفسك ورفقاً برعيتك . وإعذاراً تبلغ به حاجتك من تقويمهم على الحق .

• ولا تدفعن صلحاً دعاك إليه عدوك ولله فيه رضاً ، فإن فى الصلح دعة لجنودك ، وراحة من همومك ، وأمناً لبلادك . ولكن الحذر كل الحذر من عدوك بعد صلحه ،فإن العدو ربما قارب ليتغفل ، فخذ بالحزم ، واتهم فى ذلك حسن الظن . وإن عقدت بينك وبين عدوك عقدة ، أو ألبسته منك ذمة ، فحط عهدك بالوفاء ، وارع ذمتك بالأمانة ، واجعل نفسك جنة دون ما أعطيت . فإنه ليس من فرائض الله شئ الناس أشد عليه اجتماعاً ، مع تفرُّق أهوائهم ،وتشتُّت آرائهم من تعظيم الوفاء بالعهود . وقد لزم ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمين لما استوبلُوا من عواقب الغدر فلا تغدرن بذمتك ولا تخيسَنَّ بعهدك ولاتختلن عدُوَّك . فإنه لايجترئ على الله إلا جاهل شقى . وقد جعل الله عهده وذمته أمناً أفضاه بين العباد برحمته ، وحَرَماً يسكنون إلى منعته ، ويستفيضون إلى جواره . فلا إدغال ولا مدالسة ولا خداع فيه . ولا تعقد عقداً تجوز فيه العلل . ولا تعولن على لحن قول بعد التأكيد والتوثقة .ولا يَدْعُوَنَّكَ ضيق أمر ، لزمك فيه عهد الله ، إلى طلب انفساخه بغير الحق . فإن صبرك على

---

(١) أظهره .

ضيق أمر ترجو انفراجه ، وفضل عاقبته خير من غدر تخاف تبعته . وأن تحيط بك من الله فيه طلبه ، فلا تستقبل فيها دنياك ولا آخرتك .

* إياك والدماء وسفكها بغير حلها ، فإنه ليس شيء أدنى لنقمة ، ولا أعظم لتبعة ، ولا أحرى بزوال نعمة وانقطاع مدة ، من سفك الدماء بغير حقها ، والله سبحانه مبتدىء بالحكم بين العباد ، فيما تسافكوا من الدماء يوم القيامة . فلا تقوين سلطانك بسفك دم حرام ، فإن ذلك مما يضعفه ويوهنه . بل يزيله وينقله ، ولا عذر لك عند الله ولا عندى فى قتل العمد ، لأن فيه قود البدن . وإن ابْتُلِيت بخطإ وأفرط عليك سوطك أو سيفك أو يدك بالعقوبة ، فإن فى الوكزة فما فوقها مقتلة ، فلا تطمحن بك نخوة سلطانك عن أن تؤدى إلى أولياء المقتول حَقَّهم

* وإياك والإعجاب بنفسك ، والثقة بما يعجبك منها ، وحب الإطراء ، فإن ذلك من أوثق فرص الشيطان فى نفسه ليمحق ما يكون من إحسان المحسنين .

* وإياك والمن على رعيتك بإحسانك ، أو التَّزَيُّدَ فيما كان من فعلك ، أو أن تعدهم فتتبع موعدك بخلفك ، فإن المن يبطل الإحسان ، والتزيد يذهب بنور الحق ، والخلف يوجب المقت عند الله والناس . قال الله تعالى : (كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ الله أَنْ تَقُولُوا مَالاَ تَفْعَلُونَ) (١) .

* وإياك والعجلة بالأُمور قبل أوانها ، أو التسقط فيها عند إمكانها أو اللجاجة فيها إذا تنكرت أو الوهن عنها إذا استوضحت ، فضع كل أمر موضعه ، وأوقع كل أمر موقعه .

---

(١) الصف : ٣

• وإياك والاستئثار بما الناس فيه أسوة . والتغابي عما تعنى به مما قد وضح للعيون ، فإنه مأخوذ منك لغيرك . وعما قليل تنكشف عنك أغطية الأمور ، ويُنْتَصَفُ منك المظلوم . املكْ حميَّة أنفك ، وسورة حدك ، وسطوة يدك ، وغرب لسانك . واحترس من كل ذلك بكف البادرة ، وتأخير السطوة ، حتى يسكن غضبك فتملك الاختيار ، ولن تُحْكِمَ ذلك من نفسك حتى تكثر همومك بذكر المعاد إلى ربك (١) .

• والواجب عليك أن تتذكر ما مضى لمن تقدمك من حكومة عادلة ، أو سنَّة فاضلة ، أو أثر عن نبينا – صلى الله عليه وآله وسلم – أو فريضة فى كتاب الله ، فتقتدى بما شاهدت مما عملنا به فيها ، وتجتهد لنفسك فى اتباع ما عهدتُ إليك فى عهدى هـذا ، واستوثقت به من الحجة لنفسى عليك ، لكيلا تكون لك علة عند تسرع نفسك إلى هواها .
وأنا أسأل الله بسعة رحمته ، وعظيم قدرته على إعطاء كل رغبة أن يوفقنى وإياك لما فيه رضاه من الإقامة على العذر الواضح إليه وإلى خلقه ، مع حسن الثناء فى العباد ، وجميل الأثر فى البلاد ، وتمام النعمة ، وتضعيف الكرامة ، وأن يختم لى ولك بالسعادة والشهادة ، إنا إليه راجعون . والسلام على رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – تسليماً كثيرا ، والسلام .

***

وصية على لابنه الحسن

ومن وصية لعلى بن أبى طالب لابنه الحسن رضى الله عنهما – كتبها إليه بحاضرين (٢) منصرفاً من صفين ، يصف نفسه وأولاده فى معرض الوعظ والتنفير من الدنيا .

(١) يرى كثير من المؤرخين أن أكثر ما نسب إلى على بن أبى طالب لم تثبت نسبته إليه بل هو من كلام ابن أبى الحديد وغيره. (٢) حاضرين : اسم بلدة فى نواحى صفين .

مِنَ الوَالد الفَان ، الْمقرِّ الزَّمَان (١) ، المُدْبر العُمْر ، المسْتَسْلم للدَّهْر ، الذَّامِّ للدُّنْيَا ، السَّاكن مَسَاكنَ المَوْتَى ، والظَّاعن عَنْهَا غداً ، إلى المَوْلُود المُؤَمِّل مَا لا يُدْرَكُ (٢) ، السَّالك سَبيلَ مَنْ قَدْ هَلَكَ ، غَرَض الأَسْقَام وَرَهينَةِ الأَيَّام ، وَرَمِيَّةِ المصَائِبِ ، وعَبْدِ الدُّنْيَا ، وَتَاجِرِ الغُرُورِ وَغَرِيم المَنَايا ، وأسير المَوتِ ، وحَلِيفِ الْهُمُوم ، وقَرِينِ الأَحْزَانِ ، وَنُصْبِ الآفَاتِ ، وصَرِيـع الشَّهَوَاتِ ، وخَلِيفَة الأَمْوَات .

أَمَّا بَعْـدُ ، فَإِنَّ فيمَا تَبَيَّنْتُ منْ إدْبَارِ الدُّنْيَا عَنِّي وجُمُوح الدَّهْرِ (٣) عَلَيَّ ، وإقْبَالِ الآخِرَةِ إليَّ ، مَا يَزَعُني عَنْ ذِكْرِ مَنْ سِوَايَ ، والاهْتِمَام بِمَا وَرَائِي ، غَيْرَ أَنِي حَيْثُ تَفرَّدَ بِي دُونَ هُمُوم النَّاسِ هَمُّ نَفْسِي ، فَصَدَفَنِي رَأْيِي ، وصَرَفَنِي عَنْ هَوَايَ ، وصَرَّحَ لِي مَحْضُ أَمْرِي ، فَأَفْضَى بِي إلى جدٍّ لا يَكُونُ فِيهِ لَعِبٌ ، وصِدْقٍ لا يَشُوبُهُ كَذِبٌ ، وَوَجَدْتُكَ بَعْضِي ، بَلْ وَجَدْتُكَ كُلِّي ، حتَّى كَأَنَّ شَيْئاً لَو أَصَابَكَ أَصَابَنِي ، وكَأَنَّ الموتَ لو أَتَاكَ أَتَانِي ، فَعَنَانِي مِنْ أَمْرِكَ مَا يَعْنِينِي مِنْ أَمْرِ نَفْسِي ، فَكَتَبْتُ إلَيكَ مُسْتَظْهِراً بِه (٤) إنْ أَنَا بَقِيتُ لَكَ أو فنِيتُ .

* فإنِّي أُوصيك بتَقْوَى الله – أَي بُنَيَّ – ولُزُوم أَمْرِه ، وَعِمَارَةِ قَلبِكَ بِذِكْرِهِ ، والاعْتِصَام بِحَبله ، وأَيُّ سَبَبٍ بينك وبَيْنَ الله إنْ أَنْتَ أَخَذْتَ بِهِ

---

(١) المعترف له بالشدة .

(٢) يؤمل البقاء وهو مما لا يدركه أحد .

(٣) استعصاء الدهر وتغلبه .

(٤) مستعيناً بما أكتب إليك على ميل قلبك وهوى نفسك .

• أحي قَلْبَكَ بالمَوْعِظَة ، وأمِتْهُ بالزَّهَادَةِ ، وقَوِّهِ باليَقِين ، ونَوِّرهُ بالحِكْمَةِ ، وَذَلِّلْهُ بِذِكْرِ المَوْتِ ، وقَرِّرْهُ بالفَنَاءِ (١) . وبَصِّرْهُ فَجَائِعَ الدُّنْيَا ، وحَذِّرْهُ صَوْلَةَ الدَّهْرِ ، وفُحْشَ تَقَلُّبِ اللَّيَالِي والأيَّام ، واعْرِضْ عَلَيْهِ أخْبَارَ الماضِينَ ، وذَكِّرْهُ بِمَا أصَابَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ مِنَ الأوَّلِينَ ، وَسِرْ فى دِيَارِهِم وآثَارِهِمْ فانْظُرْ فِيمَا فَعَلُوا ؟ وعَمَّا انْتَقَلُوا ؟ وأيْنَ حَلُّوا ونَزَلُوا ؟ فَإنَّكَ تَجِدُهُم قَد انْتَقَلُوا عَنِ الأحِبَّةِ ، وحَلُّوا دِيَارَ الغُرْبَةِ ، وكَأنَّكَ عَنْ قَلِيلٍ قَدْ صِرْتَ كَأحَدِهِمْ ، فَأصْلِحْ مَثْوَاكَ ، ولاتَبِعْ آخِرَتَكَ بِدُنْيَاكَ ، ودَعِ القَوْلَ فِيمَا لاتَعْرِفُ ، والخِطَابَ فِيمَا لَمْ تُكَلَّف ، وامسِكْ عَنْ طَرِيقٍ إذا خِفْتَ ضَلالَتَهُ ، فَإنَّ الكَفَّ عِنْدَ حيرَةِ الضَّلالِ خَيْرٌ مِنْ رُكُوبِ الأهْوَال ، وَأْمُرْ بالمَعْرُوفِ تَكُنْ مِنْ أهْلِه ، وانكِرِ المُنْكَرَ بِيَدِكَ وَلِسَانِكَ ، وبَايِن مَنْ فَعَلَهُ بِجَهْدِكَ (٢) وجَاهِدْ فى الله حَقَّ جِهَادِهِ ، ولا تَأخُذْكَ فى الله لَوْمَةُ لائِم ، وَخُضِ الغَمَرَاتِ (٣) للحَقِّ حَيْثُ كان ، وتَفَقَّهْ فى الدين ، وعَوِّدْ نفسك التَّصَبُّرَ على المَكْرُوه ، ونِعْمَ الخُلُقُ التَّصَبُّر . وَألْجِئْ نَفْسك فى الأمور كلها إلى إلٰهك ، فَإنَّك تُلجئها إلى كهف حَرِيز (٤) ، ومَانِع عَزِيز . وأخْلِص فى المسألة لِرَبِّك . فإن بِيَدِه العَطَاء والحرمان ، وأكْثِرِ الاستِخَارَة (٥) وتَفَهَّم وصِيَّتِى . ولاتذهبَنَّ عنها صَفحاً (٦) فإنَّ خيرَ القول مانفع . واعلم أنَّهُ لاخَيْرَ فى علم لايَنْفَع ولايُنْتَفَعُ بِعِلْم لايَحِقُّ تَعَلُّمُهُ .

---

(١) اطلب منه الإقرار بالفناء . (٢) باين : أى باعد وجانب الذى يفعل المنكر .
(٣) الغمرات : الشدائد . (٤) الكهف : الملجأ . والحريز : الحافظ .
(٥) الاستخارة : إجالة الرأى فى الأمر قبل فعله لاختيار أفضل وجوهه .
(٦) تذهب عنها صفحاً : أى لاتعرض عنها .

• أى بُنَىَّ .. إنى لما رأيتنى قد بلغت سِنًّا ، ورأيتنى أزداد وَهْناً ، بادرتُ بوصيتى إليك ، وأوردت خصالا منها قبل أن يعجل بى أجلى دون أن أفضى إليك بما فى نَفْسى . وأن أنقُصَ فى رَأيِى كما نَقَصْتُ فى جسمى ، أو يَسْبِقنِى إلَيْكَ بعض غَلَبَاتِ ٱلْهَوَىٰ وفِتَن الدُّنيا ، فتكون كالصَّعْبِ النَّفُورِ (١) وإنَّمَا قلب الحدث كالأرض الخالية ماأُلْقِىَ فيها من شىء قَبِلَتْهُ ، فبادرتُك بالأدب قبل أن يَقْسو قلبك ، ويشتغل لُبُّك لتستقبل بِجدِّ رأيك من الأمر ما قد كفاك أهل التجارب بغيته وتجربته فتكون قد كُفِيتَ مَؤُونة الطلب . وعُوفِيتَ من علاج التجربة ، فأتاك من ذلك ما قد كنا نأتيه ، واستبان لك ما رُبَّمَا أظْلَمَ عَلَينا منه .

• أى بُنَىَّ ... إنِّى وإن لم أكُنْ عُمِّرتُ عُمر من كان قبلى ، فقد نظرت فى أعمالهم ، وفكَّرتُ فى أخبارهم ، وسرت فى آثارهم حتى عدت كأحدهم ، بل كأنى بما انتهى إلى من أمورهم قد عُمِّرت مع أولهم إلى آخرهم ، فعرفت صفو ذلك من كدره ، ونفعه من ضرره ، فاستخلصت لك من كل أمر نَخِيلَهُ (٢) وتوخيت لك جميله ، وصرفت عنك مجهوله ورأيت حيث عنانى من أمرك ما يعنى الوالد الشفيق ، وأجمعت عليه من أدبك أن يكون ذلك وأنت مقبل العمر ومقتبل الدهر ، ذو نِيَّة سليمة ونفس صافية ، وأن أبْتَدِئَكَ بتعليم كتاب الله وتأويله ، وشرائع الإسلام وأحكامه ، وحلاله وحرامه ، لا أُجاوز ذلك بك إلى غيره ، ثم أشفقت أن يلتبس عليك ما اختلف الناس فيه من أهوائهم وآرائهم مثل الذى التبس عليهم ، فكان إحكام ذلك على ما كرهت من تنبيهك به الهَلَكَةَ

(١) الصعب : الفرس غير المذلل ، والنفور : ضد الأنس .
(٢) النخيل : المختار المصفى .

ورجوت أن يوفقك الله فيه لرشدك ، وأن يهديك لقصدك . فعهدت إليك وصيتى هذه .

• واعلم يابنى ، أن أحب ما أنت آخذ به إلى من وصيتى تقوى الله والاقتصار على ما فرضه الله عليك ، والأخذ بما مضى عليه الأولون من آبائك . والصالحون من أهل بيتك ، فإنهم لم يدعوا أن نظروا لأنفسهم كما أنت ناظر ، وفكروا كما أنت مفكر ، ثم ردَّهم آخر ذلك إلى الأخذ بما عرفوا . والإمساك عما لم يكلَّفوا ، فإن أبت نفسك أن تقبل ذلك دون أن تعلم كما علموا ، فليكن طلبك ذلك بتَفَهُّم وتَعَلُّم ، لا بتَوَرُّطِ الشُّبُهَات وعُلُوِّ الخصومات . وابدأ قبل نظرك فى ذلك بالاستعانة بإلٰهك ، والرغبة إليه فى توفيقك . وترك كل شائبة أَوْلَجَتْكَ (١) فى شُبُهَة . أو أَسْلَمَتْكَ إلى ضلالة ، فإذا أيقنت أن قد صفا قلبك فخَشع ، وتم رأيك فاجتمع ، وكان همُّك فى ذلك همّاً واحداً . فانظر فيما فسرت لك . وإن لم يجتمع لك ما تحب من نفسك . وفراغ نظرك وفكرك ، فاعلم أنك إنما تخبط العشواء (٢) وتتورط الظلماء . وليس طالب الدين من خبط أو خلط ، والإمساك عن ذلك أمثل .

• فَتَفَهَّم يابُنَىَّ وَصِيَّتِى . واعلم أن مالك الموت هو مالك الحياة ، وأن الخالق هو المميت ، وأن المُفْنِى هو المعيد ، وأن المبتلِى هو المعافى ، وأن الدنيا لم تكن لتستقر إلا على ماجعلها الله عليه من النعماء والابتلاء والجزاء فى المعاد أو ماشاء مما لا نعلم ، فإن أُشْكِل عليك شىءٌ من ذلك فاحمله على جهالتك به ، فإنك أول ماخلقت جاهلا ثم علمت ، وما

---

(١) أولجتك : أدخلتك .

(٢) العشواء : الضعيفة البصر .

أكثر ما تجهل من الأمر . ويتحير فيه رأيك . ويضل فيه بصرك . ثم تبصره بعد ذلك . فاعتصم بالذى خلقك ورزقك وسوّاك ، وليكن له تعبدك ، وإليه رغبتك . ومنه شفقتك (١) .

• واعلم يابنى أن أحداً لم ينبىء عن الله كما أنبأ عنه الرسول – صلى الله عليه وآله وسلم – فارض به رائداً ، وإلى النجاة قائداً . فإنى لم آلك نصيحة (٢) وإنك لن تبلغ فى النظر لنفسك – وإن اجتهدت – مبلغ نظرى لك .

• واعلم يابنى أنه لو كان لربك شريك لأتتك رسله . ولرأيت آثار ملكه وسلطانه . ولعرفت أفعاله وصفاته ، ولكنه إله واحد كما وصف نفسه . لايضاده فى ملكه أحد . ولايزول أبداً ، ولم يزل أول قبل الأشياء بلا أولية (٣) ، وآخر بعد الأشياء بلا نهاية .

• يابنى...اجعل نفسك ميزاناً فيما بينك وبين غيرك ، فأحبب لغيرك ما تحب لنفسك ، واكره له ما تكره لها ، ولا تظلم كما لاتحب أن تُظلم وأحسن كما تحب أن يُحسن إليك . واستقبح من نفسك ماتستقبح من غيرك . وارض من الناس بما ترضاه لهم من نفسك ، ولا تقل ما لا تعلم وإن قلَّ ما تعلم ، ولاتقل مالا تحب أن يُقال لك .

• واعلم أن الإعجاب ضد الصواب وآفة الألباب ،فاسع فى كدحك ولا تكن خازناً لغيرك (٤) . وإذا أنت هُديت لقصدك ، فكن أخشع ما تكون لربك .

---

(١) شفقتك : خوفك .   (٢) لم آلك نصيحة : أى لم أقصر فى نصيحتك .

(٣) فهو أول بالنسبة إلى الأشياء لكونه قبلها . إلا أنه لا أولية ، أى لا ابتداء له .

(٤) أى لاتخزن المال ليأخذه الوارثون بعدك ، بل أنفق فيما يرضى الله .

« واعلم يابنى ، أن الرزق رزقان : رزق تطلبه ،ورزق يطلبك ، فإن أنت لم تأته أتاك ، ما أقبح الخضوع عند الحاجة ، والجفاء عند الغنى إن لك من دنياك ما أصلحت به مثواك . وإن جزعت على ماتفلّت من يديك فاجزع على كل ما لم يصل إليك . استدل على ما لم يكن بما قد كان ، فإن الأمور أشباه ، ولاتكونن ممن لاتنفعه العظة إلا إذا بالغت فى إيلامه . فإن العاقل يتعظ بالآداب ، والبهائم لاتتعظ إلا بالضرب ، اطرح عنك واردات الهموم بعزائم الصبر وحسن اليقين ، من ترك القصد جار . والصاحب مناسب ، والصديق من صدق غيبه.

« ولا تملّك المرأة من أمرها ما جاوز نفسها . فإن المرأة ريحانة وليست بقهرمانة . ولا تعد بكرامتها نفسها ، ولاتطمعها فى أن تشفع بغيرها . وإياك والتغاير فى غير موضع غيرة . فإن ذلك يدعو الصحيحة إلى السقم ، والبريئة إلى الريب واجعل لكل إنسان من خدمك عملا تأخذه به ، فإنه أحرى أن لا يتواكلوا فى خدمتك ، وأكرم عشيرتك ، فإنهم جناحك الذى تطير به ، وأصلك الذى إليه تصير ، ويدك التى بها تصول .

دعــاء :

استودع الله دينك ودنياك ... واسأله خير القضاء لك فى العاجلة والآجلة ، والدنيا والآخرة ، والسلام .

***

وصية على لكميل بن زياد

قال كميل بن زياد : أخذ بيدى أمير المؤمنين على بن أبى طالب — عليه السلام — فأخرجنى إلى « الجبان » وتنفس الصعداء ، ثم قال :

ياكميل بن زياد : إن هذه القلوب أوعية ، فخيرها أوعاها ، فاحفظ عني ما أقول لك :

الناس ثلاثة : فعالم رباني ، ومتعلم على سبيل نجاة ، وهمج رعاع أتباع كل ناعق ، يميلون مع كل ريح ، لم يستضيئوا بنور العلم ، ولم يلجأوا إلى ركن وثيق .

ياكميل .. العلم خير من المال ، العلم يحرسك وأنت تحرس المال ، والمال تنقصه النفقة ، والعلم يزكو على الإنفاق ، وصنيع المال يزول بزواله .

ياكميل بن زياد .. معرفة العلم دين يُدَان به ، به يكسب الإنسان الطاعة في حياته ، وجميل الأُحدوثة بعد وفاته ، والعلم حاكم والمال محكوم عليه .

ياكميل ، هلك خُزَّان الأموال ، وهم أحياء والعلماء باقون مابقي الدهر : أعيانهم مفقودة ، وأمثالهم في القلوب موجودة ، ها إن ههنا لعلماً جماً (وأشار بيده إلى صدره) لو أصبت له حمله ؟ بلى أصبت لقنا غير مأمون عليه ، مستعملا آلة الدين للدنيا ، ومستظهراً بنعم الله على عباده ، وبحججه على أوليائه ، أو منقاداً لحملة الحق ، لابصيرة له في أحنائه ، ينقدح الشك في قلبه لأول عارض من شبهة ، ألا لا ذا ولا ذاك ؟ أو مَنْهُوماً باللذة ، سلس القياد للشهوة ، أو مغرماً بالجمع والادخار ليسا من رعاة الدين في شيء ، أقرب شيء شبهاً بهما الأنعام السائمة !! كذلك يموت العلم بموت حامليه .

***

البــاب الثالث

من وصايا حكماء الجاهلية والاسلام

وصية اكثم بن صيفى الى طيىء

روى أبو الفضل الميدانى فى مجمع الأمثال أن أكثم بن صيفى كتب إلى طيىء بوصية ، هى :

« أوصيكم بِتَقْوَىٰ الله وصِلَة الرحم . وإياكم ونِكَاح الحمقاء فإن نكاحها غرر (١) ، وولدها ضياع . وعليكم بالخيل فأكرموها . فإنها حصون العرب ، ولا تضعوا رِقاب الإبل فى غير حقها ، فإن فيها ثمن الكريمة (٢) ، ورقوء (٣) الدم ، وبألبانها يتحف الكبير ، ويغذى الصغير ، ولو أن الإبل كلِّفت الطحن لَطَحَنت ، ولن يهلك امروٌ عرف قدره ، والعُدْمُ عُدْم العقل لا عدم المال . ولرجلٌ خير من ألف رجل . ومن عتب على الدهر طالت معتبته ، ومن رضى بالقَسْم (٤) طابت معيشته ، وآفة الرأى الهوىٰ . والعادة أملك (٥) ، والحاجة مع المحبة خير من البغض مع الغنى ، والدنيا دول : فما كان لك أتاك على ضعفك وما كان عليك لم تدفعه بقوتك ، والحسد داءٌ ليس له دواءٌ والشماتة تُعْقِب ، ومَنْ يَر يَوماً يُرَ بِه ، قبل الرِّماء تُمْلأُ الكَنَائن . الندامة مع السفاهة . دعامة العقل الحلم . خير الأُمور مغبَّةً الصبر . بقاءُ المودة

---

(١) مخاطرة .

(٢) يريد مهرها .

(٣) رقأ الدم :. جف وسكن ، والمعنى أنها تعطى فى الديات فتحقن الدم .

(٤) القدر .

(٥) فى رواية (أملك من الأدب) .

عدل التعاهد (١) ، من يَزُر غِبًّا يُزْدَد حُبًّا ، التغرير مفتاح البؤس ، من التوانى والعجز نُتِجَتِ الهلكة (٢) ، لكل شىء ضراوة (٣) ، فَضَرِّ لسانك بالخير ، عِيٌّ الصمت أحسن من عِيِّ المنطق ، الحزم حفظ ما كُلِّفت وترك ما كفيت ، كثير التنصح يهجم على كثير الظِّنَّة .

مَنْ أَلْحَفَ فى المسألة ثَقُل ، من سأل فوق قدره استحق الحرمان ، الرفق يُمن ، والخرق شؤم ، خير السخاء ما وافق الحاجة ، خير العفو ما كان بعد القدرة .

***

وصية ذى الاصبع العدوانى لابنه (٤)

قال أبو عمرو : ولما احتضر ذو الإصبع دعى ابنه أسيداً فقال له :

« يابُنَىَّ ، إن أباك قد فنى وهو حى ، وعاش حتى سئم العيش ، وإنى موصيك بما إن حفظته بلغت فى قومك ما بلغتُهُ فاحفظ عنى : ألِن جانبك لقومك يحبوك ، وتواضع لهم يرفعوك ، وابسط لهم وجهك يطيعوك ، ولا تستأثر عليهم بشىء يسودوك . وأكرم صغارهم كما تكرم كبارهم ، يكرمك كبارهم . ويكبر على مودَّتك صغيرهم ، واسمح بمالك ، واحم حريمك . واعزز جارك ، وأعن من استعان بك ، واكرم ضيفك ، واسرع إلى النهضة فى الصريخ فإن لك أجلاً لا يعدوك ، وصن وجهك عن مسألة أحد . فبذلك يتم سؤددك . ثم أنشأ يقول :

---

(١) فى استقامة التعاهد والحرص على سلامة الشروط .

(٢) ويروى (نتجت الفاقة) . (٣) تعود .

(٤) كتاب الأغانى : الجزء الثالث .

أأُسَيْد إن مـالاً ملكـت   فسر بـه سيراً جميلا
آخِي الكـرام ان استطعـتَ   إلى إخـائهم سبيلا
واشرب بكـأسهم وإن   شربوا بـه السم الثميلا
أهـن اللئـام ولا تكن   لإخـائهم جملا ذلولا
إن الـكـرام إذا تؤا   خيهم وجـدت لهم قبولا
ودع الذى يعـد العشيـ   يرة أن يسيل ولـن يسيلا
أبُـنىَّ إن المـال لا   يبكى إذا فقـد البخيلا
أأُسيد إن أزمعت مـن   بلـد إلى بلـد رحيلا
فاحفظ وإن شحط المـزا   ر أخا أخِيـكَ أو الـزَّميلا
واركب بنفسك إن هممت   بهـا الحـزونـة والسهولا
وصل الكرام وكن لِمن   تـرجـو مودتـه وصولا
ودع التـوانى فى الأُمـو   ر وكن لها سلساً ذلـولا
وابسط يمينك بالنـدى   وامـدد لها بـاعـاً طويلا
وابسط يديك بما ملكـ   ت وشيِّـد الحسب الأثيلا
واعـزم إذا حـاولت أمـ   راً يفرج الهـم الـدخيلا
ابذل لضيفك ذات رحـ   لك مكـرمـاً حتى يـزولا
واحلل على الايفـاع للـعا   فيـن واجتنب المسيـلا
وإذا القـروم تخـاطرت   يـوماً وأرعـدت الحضيلا
فاهصر كهصر الليث خَضَّـ   ب من فـريسته الثليـلا
وانـزل إلى الهيجـا إذا   أبطـالها كـرهـوا النزولا
وإذا دعيت إلى المهم فكـ   ن لفـادحـه حمولا

***

وصية أمامة بنت الحارث لابنتها (١)

كان ملك من ملوك اليمن يقال له الحارث بن عمرو الكندى ، بلغه عن ابنة لعوف الكندى جمال وكمال ، وهو الذى يقال له : لا أحد يشبه عوفاً جمالا وكمالا ، فبعث إلى امرأة من قومها ، يقال لها عصام ، فقال : إنه بلغنى عن بنت عوف جمال وكمال ، فاذهبى ، فاعلمى لى علمها .

فانطلقت حتى إذا دخلت على أمها ، وهى أمامة بنت الحارث ، فأخبرتها خبر ما جاءت له ، وإذا أمها كأنها خاذل (٢) من الظباء ، وحولها بنات لها كأنهن شوادن (٣) الغزلان فأرسلت إلى ابنتها ، فقالت : يابنية ، إن هذه خالتك أتتك لتنظر إلى بعض شأنك فاخرجى اليها ، ولاتستترى عنها بشىء ، وناطقيها فيما استنطقتك فيه . فدخلت عليها ، ثم خرجت من عندها وهى تقول :

« تَرَكَ الخداعَ من كَشَفَ القِنَاع » . فأرسلتها مثلا .

فلما جاءت إلى الحارث قال : ماوراءك ياعصام ؟

قالت : أيها الملك ، « صرَّح المخض عن الزبد » . فأرسلتها مثلا .

ثم قالت : أقول حقاً ، وأخبرك صدقاً ؛ ثم وصفتها وصفاً دقيقاً مفصلا كأجمل الفتيات حسناً .

فبعث الحارث إلى أبيها يخطبها فزوجها إياه .

فلما حان أن تحمل إلى بيت زوجها أوصتها أمها فقالت :

« أى بُنَيَّة ، إن الوصيةً لو تُرِكَتْ لعقل وأدب ، أو مكرمة فى حَسَب لتركتُ ذلك منك ، ولَزَوَيتهُ عنك . ولكن الوَصِيَّة تذكِرَة للعاقل ، ومَنْبَهَة لِلغَافِل .

---

(١) « المعمرون والوصايا »

(٢) الخاذل : الظبية أقامت على ولدها .

(٣) المستغنية عن أمهاتها .

أى بنية ، إنه، لو استغنت المرأة بِغنَى أبويها وشدة حاجتهما إليها لكنت أغنىٰ الناس عن الزَّوج . ولٰكِنْ للرجال خُلِقَ النِّساء ، كما لَهُنّ خُلِقَ الرِّجال .

أى بُنَيَّة . إنك قد فارقت الجِوَاء الذى منه خرجتِ . والوكر الذى منه درجتِ ، إلى وكر لم تعرفيه ، وقَرِين لم تألَفِيه . فأصبح بملكه عليك ملكاً . فكونى له أَمَةً يكن لك عبداً ، واحفظى عنى خلالا عشراً تكن لك دَرَكاً وذِكراً ،فأما الأُولى والثانية : فالمعاشرة له بالقناعة ، وحسن السمع له والطاعة ، فإن فى القناعة راحة القلب، وحسن السمع والطاعة رأفة الرَّب .

وأما الثالثة والرَّابعة : فلا تقع عيناه منك على قبيح ، ولا يشم أنفه منك إلا طيب الريح . واعلمى، أى بنية ، أن الماء أطيب الطيب المفقود ، وأن الكحل أحسن الحسن الموجود .

وأما الخامسة والسادسة : فالتَّعهد لوقت طعامه والهُدُوّ عند منامه ، فإن حرارة الجوع مَلْهَبَة ، وتَنغيص النَّومة مَغْضَبَة .

وأما السابعة والثامنة : فالاحتفاظ بماله ، والرعاية على حشمه (١) وعياله ، فإن الاحتفاظ بالمال من حسن التقدير ، والرعاية على الحشم والعيال من حسن التدبير .

وأما التاسعة والعاشرة : فلا تفشى له سراً ، ولا تعصى له أمراً ، فإنك إن أفشيت سِرَّه لم تأمَنِى غَدْره ، وإن عصيتِ أمره أَوْغَرْتِ صدره .

---

(١) ذوى القربى .

واتّقِي الفرح لديه إن كان ترِحاً (١) ، والاكتئاب عنده إذا كان فَرِحاً ، فإن الأُولى من التقصير ، والثانية من التكدير .

واعلمي أنك لن تَصِلي إلى ذلك منه حتى تُؤثرى هواه على هواك ، ورضاه على رضاك ، فيما أحببت وكرهت .

والله يخير لك ، ويصنع لك برحمته » .

فلما حملت إليه غلبت على أمره ، وحظيت عنده .

***

كتاب أكثم الى النعمان بن خميصة

روى أبو هلال العسكرى فى جمهرة الأمثال قال :

كتب النعمان بن خميصة البارقى إلى أكثم بن صيفى « مثل لنا مثالا نأخذ به » فقال :

« قد حلبتُ الدهر أشطره فَعَرَفْتُ حُلوه ومُــرَّه »

عين عرفتْ فذرفَتْ (٢) . إن أمامى ما لا أُسامى (٣) . رُبَّ سامع بِخَبَرى لم يسمع بعذرى . كُلُّ زمان لمَنْ فِيه . فى كل يوم ما يُكْرَه . كل ذى نُصْرَة سَيخذَل . تَبَارُّوا فإن البِرَّ يَنْمِى عليه العدد . كفُّوا ألسنتكم ، فإن مقتل الرجل بين فكّيه . إن قول الحق لم يَدَعْ لى صديقاً ، الصدق منجاة .

---

(١) الترح ضد الفرح . (٢) عرفت حقيقة الأمور .
(٣) أبارى .

لاينفع مع الجزع التبقى ، ولاينفع مما هو واقعٌ التَّوَقِّى . سَتُسَاقَ إلى ما أنت لاقٍ . فى طلب المعالى يكون العَنَاءُ (١) . الاقتصاد فى السعى أبقى للجمام (٢). من لم ييأس على مافاته وَدُعَ بدنه ، ومن قنع بما هو فيه قرَّت عينه. التَّقدم قبل التَّنَدُّم (٣) . أصبح عِنْدَ رأس الأمر . أَحَبُّ إلى من أن أصبح عند ذَنَبه . لم يهلك من مالك ما وَعَظَك . وَيْلٌ لِعَالِم أَمْرٍ مِنْ جَاهله ، يتشابه الأمر إذا أقبل ، فإذا أدبر عرفه الكَيِّس والأحمق .

الوحشة ذهاب الأعلام (٤) . البطر عند الرخاء حُمق ، والعجز عند البلاء أَفَن (٥) . لاتغضبوا من اليسير فربما جَنى الكثير . لاتجيبوا فيما لم تُسْأَلُوا عنه ، ولاتضحكوا مما لايُضْحَك منه .حيلة مَنْ لا حيلة له الصبر . كونوا جميعاً ، فإن الجمع غالب . تثبَّتُوا و لا تُسَارِعوا فإن أحزم الفريقين الركين (٦) .

رُبَّ عَجَلَة تَهبُ رَيْثاً (٧) . ادَّرعوا الليل (٨) واتخذوه جَمَلا ، فإن الليل أخفى للويل ، ولا جماعة لمن اختلف . تناءوا فى الديار ولاتَبَاغَضوا ، فإنه من يجتمع يتقعقع (٩) عَمَدُه .

---

(١) فى جمهرة الأمثال : يكون العز .
(٢) الراحة والقوة .
(٣) فكر فى التقدم قبل أن تندم على العمل .
(٤) سادة القوم والمتفوقون فى فنونهم .
(٥) ضعف الرأى والعقل .
(٦) الرزين .
(٧) الإبطاء .
(٨) ادرعوه : أى اتخذوه سترا ووقاية .
(٩) يضطرب ويتحرك ، والمقصود أن من طبيعة الحياة الافتراق بعد اللقاء ، وأن من هنا كل كثرة إلى زوال .

أَلْزِمُوا النساء المهابة (١) . نعم لَهْو الغُرَّة (٢) المِغْزَل . إن تَعِش تَرَ ما لَمْ تَرَه . قد أقرَّ صامت (٣) . المِكْثار كحاطب (٤) ليل ، من أكثر أسقط (٥) .

لاتجعلوا سِراً إلى أَمَة . لاتُفَرِّقوا فى القَبَائل فإن الغريب بكل مكان مظلوم . عاقدوا الثَّروة (٦) ، وإياكم والوشائظ (٧) ، فإن مع القِلَّة الذِّلَّة . لو سئلت العارية قالت : أَبْغِى لأَهلى ذلا . الرَّسول مُبَلِّغ غير مَلوم . من فسدت بطانته غُصَّ بالماء . أَساء سَمْعاً فأَساء جابَةً (٨) .

الدال على الخير كفاعله . إن المسأَلة من أضعف المسكنة . قد تجوع الحرة ولا تأْكل بثدييها . لم يجر سالك القصد ، ولم يَعْمَ قاصد الحق. مَنْ شَدَّد نَفَّر ومن تراخى تأَلَّف. الشرف التغافل. أوفى القول أوجزه . أصوب الأُمور ترك الفضول . التغرير مفتاح البؤس . التوانى والعجز ينتجان الهلكة . لكل شيء ضراوة . أحوج الناس إلى الغنى مَنْ لايصْلِحه إلاالغِنَى ، وهم الملوك . حبُّ المدح رأْس الضَّياع .

رضا الناس غاية لاتُبْلَغ . لاتكره سخط من رِضَاه الجَوْر .

معالجة العفاف مشقَّة فتعوَّذ بالصبر . اقْصُر لسانك على الخير وأَخِّر الغضب ، فإن القدرة من ورائك . من قدر أزمع . أمرُّ أعمال المقتدرين

---

(١) اغرسوا مهابتكم وتوقيركم فى قلوبهم . (٢) المرأة الشريفة .

(٣) السكوت رضاء واعتراف .

(٤) الحاطب : جامع الحطب ، وحاطب الليل : الرجل يخلط فى كلامه .

(٥) أخطأ . (٦) حالفوا كثرة العدد من الناس .

(٧) جمع وشيظة : أى لاقيمة لهم فهم حشو فى قومهم .

(٨) الإجابة .

الانتقام . جَازِ بالحَسَنَة ولا تكافئ بالسيئة . أغنى الناس عن الحقد من عَظُمَ عن المجازاة . مَنْ حَسَدَ مَنْ دونه قَلَّ عذره . من جعل لحسن الظن نصيباً رَوَّح عن قلبه . عِيٌّ الصمت أحمد من عِيّ المنطق . الناس رجلان : مُحْتَرِسٌ ومُحْتَرَس منه . كثير النصح يهجم على كثير الظِّنَّة . من ألح فى المسألة أبرم (١) . خير السخاء ما وافق الحاجة . الصمت يُكسب المحبة ، لن يغلب الكذب شيئاً إلا غَلَب عليه الصدق . القلب قد يُتَّهَم وإن صدق اللسان . الانقباض عن الناس مَكْسَبَة للعداوة ، وتقريبهم مكسبة لقرين السوء ، فكن من الناس بين القربَ والبعد ، فإن خير الأمور أوساطها .

فُسُولَة (٢) الوزراء أضرُّ من بغض الأعداء . خير القرباء المرأة الصالحة ، وعند الخوف حُسن العمل . من لم يكن له من نفسه زاجر لم يكن له من غيره واعظ ، وتمكّن منه عدوه على أسوأ عمله . لن يهلك امرؤٌ حتى يَمَلَّ (٣) الناس عتيد فعله ، ويشتدَّ على قومه ، ويُعْجَبَ بما ظهر من مروءته ، ويغترَّ بقوته ، والأمر يأتيه من فوقه . ليس للمختال فى حسن الثناء نصيب . لانماء مع العدم ، إنه من أتى المكروه إلى أحد بدأ بنفسه . العِيٌّ أن تتكلم فوق ماتسد به حاجتك .

لاينبغى لعاقل أن يثق بإخاء من تضطره إلى إخائه حاجة . أقل الناس راحة الحقود . من تَعَمَّد الذنب لاتحلُّ رحمته دون عقوبة ، فإن الأدب رِفقٌ والرِّفق يُمْن .

***

---

(١) أضجر وأمل .

(٢) فسل ككرم وعلم فسولة فهو فسل كضخم : أى رذل لا مروءة له .

(٣) فى رواية أخرى (حتى يملك) .

البـــاب الرابع

متفرقات
خطب وعهود ورســـائل شتى



بين معـــاوية وعمرو بن العاص

قال عمرو بن العاص : رأيت معاوية فى بعض أيامنا بصفين خرج فى عدة لم أره خرج فى مثلها ، فوقف فى قلب عسكره فجعل يلحظ ميمنته فيرى فيها الخلل فيبدر إليه من يسده ، ثم يفعل ذلك بميسرته ، فتغنيه اللحظة عن الإشارة فدخله زهو مما رأى ، فقال :

يابن العاص ، كيف ترى هؤلاء وما هُمْ عليه ؟ فقلت : والله يا أمير المؤمنين ، لقد رأيت من يسوس الناس بالدين والدنيا ، فما رأيت أحداً تَأَتَّى له من طاعة رعيته ما تـأَتى لك من هؤلاء .

فقال : أفتدرى متى يفْسد هذا ؟ وفى كم ينتقض جميعه ؟ قلت : لا قال : فى يوم واحد . قال : فأكثَرتُ التعجب . فقال : إى والله ، وفى بعض يوم .

قلت : وكيف ذلك يا أمير المؤمنين ؟

قال : إذا كُذِبُوا فى الوعد والوَعيد ، وأُعْطوا على الهوى لا على الغناء ، فَسَدَ جَميع ما ترى .

***

خطبة سعيد بن سويد

خطب سعيد بن سويد بحمص ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أيها الناس ، إن للإسلام حائطاً منيعاً ، وباباً وثيقاً ، فحائط الإسلام الحق ، وبابه العدل ، ولا يزال الإسلام منيعاً ما اشتد السلطان ، وليست شدة السلطان قتلا بالسيف ولا ضرباً بالسوط ، ولكن قضاء بالحق وأخذاً بالعدل .

***

عهد أبى عبيدة لأهل دمشق

شمر خالد بن الوليد لفتح دمشق فدخلها من جهته (١) عنوة . فلما رأى الروم ذلك قصدوا أبا عبيدة وبذلوا له الصلح ، فقبل منهم ، وفتحوا له الباب فالتقى خالد والقواد فى وسطها ثم كتب لهم أبوعبيدة كتاب الصلح وهو :

بسم الله الرحمن الرحيم

« هذا كتاب لأبى عبيدة بن الجراح ممن أقام بدمشق وأرضها ، وأرض الشام من الأعاجم ، إنك حين قدمت بلادنا سألناك الأمان على أنفسنا وأهل ملتنا ، وإنا اشترطنا لك على أنفسنا أن لاتحدث فى مدينة دمشق ولافيما حولها كنيسة ولا ديراً ولا قَلاَّية (٢) ولاصومعة راهب ، ولانجدد ماخرب من كنائسنا ، ولا شيئاً منها مما كان فى خطط (٣) المسلمين ، ولانمنع كنائسنا من المسلمين أن ينزلوها فى الليل والنهار ، وأن نوسع أبوابها للمارة وأبناء السبيل ، ولانؤوى فيها ولا فى منازلنا جاسوساً ،ولانكتم على من غش المسلمين ، وعلى أن لانضرب على نواقيسنا إلا ضرباً خفياً فى جوف كنائسنا ولا نظهر الصليب عليها ، ولانرفع أصواتنا فى صلاتنا وقراءتنا فى

---

(١) لما سار المسلمون إلى دمشق نزل خالد بن الوليد على الباب الشرقى ، وعمرو بن العاص على باب توما ، وشرحبيل على باب الفراديس ، وأبو عبيدة على باب الجابية ، ويزيد بن أبى سفيان على باب كيسان .

(٢) من بيوت عبادة النصارى كالصومعة .

(٣) الأراضى التى يختطونها لأنفسهم .

كنائسنا . ولا نخرج صليبنا ولا كتابنا ، ولانخرج باعوثاً ولا شعانين(١) ولا نرفع أصواتنا بموتانا ، ولانظهر النيران معهم فى أسواق المسلمين ، ولانجاورهم بالخنازير ، ولانبيع الخمور ، ولا نظهر شركاً فى نادى المسلمين ، ولا نرَغِّب مسلماً فى ديننا ، ولاندعوا إليه أحداً ، وعلى أن لانتخذ شيئاً من الرقيق الذين جرت عليهم سهام المسلمين ، ولا نمنع أحداً من قرابتنا إن أرادوا الدخول فى الإسلام ، وأن نلزم ديننا حيث كنا ، ولانتشبه بالمسلمين فى لبس قلنسوة ولاعمامة ولانعلين ، ولا فرق شعر ، ولا فى مراكبهم ، ولانتكلم بكلامهم ، ولانتسمى بأسمائهم ، وأن نَجُزَّ مقادم رؤوسنا ، ونفرق نواصينا ونشد الزنانير (٢) على أوساطنا وأن لاننقش فى خواتيمنا بالعربية ، ولانركب السروج ولانتخذ شيئاً من السلاح ، ولانجعله فى بيوتنا ، ولانتقلد السيوف ، وأن نوقر المسلمين فى مجالسهم ، ونرشدهم الطريق ، ونقوم لهم من المجالس إذا أرادوها ، ولانطَّلع عليهم فى منازلهم ، ولا نعلم أولادنا القرآن ، ولانشارك أحداً من المسلمين إلا أن يكون للمسلم أمر التجارة ، وأن نُضيف كل مسلم عابر سبيل من أوسط ما نجد ، ونطعمه فيها ثلاثة أيام ، وعلينا أن لانشتم مسلماً ، ومن ضرب مسلماً فقد خلع عهده .

ضمنَّا ذلك على أنفسنا وذرارينا وأرواحنا ومساكننا ، وإن نحن غيَّرنا أو خالفنا عما اشترطنا لك ، وقبلنا الأمان عليه ، فلا ذمَّة لنا ، وقد

---

(١) الباعوث عند النصارى مثل الاستسقاء عندنا ، والشعانين عيد لهم قبل عيدهم الكبير بأسبوع .

(٢) ما يشد على وسط النصارى والمجوس ، مفرده : زنار ، كرمان .

حل لك منا ما حلّ من أهل المعاندة والشقاق ، على ذلك أعطينا الأمان لأنفسنا وأهل ملّتنا ، فأقرونا فى بلادكم التى ورثكم الله إياها .

شهد الله على ما شرطنا لكم على أنفسنا وكفى بالله شهيدا .

***

كتاب أبى حازم الأعرج الى الزهرى

عافانا الله وإياك أبا بكر من الفتن ، ورحمك من النار ، فقد أصبحت بحال ينبغى لمن عرفك بها أن يرحمك منها ، أصبحت شيخاً كبيراً قد أثقلتك نعم الله عليك ، بما أصح من بدنك ، وأطال من عمرك ، وعلمت حجج الله تعالى مما حمّلك من كتابه ، وفقّهك فيه من دينه ، وفهمك من سنة نبيك – صلى الله عليه وسلم – فرمى بك فى كل نعمة أنعمها عليك ، وكل حجة يحتج بها عليك . وقد قال تعالى : (لَئِنْ شَكَرْتُم لأَزِيدَنَّكُم ، ولَئِنْ كَفَرْتُم إنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ) (١) .

• انظر ... أى رجل تكون إذا وقفت بين يدى الله – عز وجل – فسألك عن نعمه عليك كيف رعيتها ، وعن حججه عليك كيف قضيتها ولا تحسبن الله راضياً منك بالتغرير ، ولا قابلا منك التقصير ، هيهات ليس كذلك .

• أخذ على العلماء فى كتابه إذ قال : (لَتُبَيِّنُنَّه للناس وَلاَ تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِم) (٢)... الآية

• إنك تقول إنك جدل ، ماهر عالم ، قد جادلت الناس فجدلتهم ، وخاصمتهم فخصمتهم ،إدلالا منك بفهمك ، واقتداراً منك برأيك ، فأين

(١) إبراهيم : ٧ (٢) آل عمران : ١٨٧

تذهب من قول الله عز وجل :(هَا أَنْتُم هؤُلاء جَادَلْتُم عَنْهُمْ فى الحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ الله عَنْهُم يَوْمَ الْقِيَامَةِ)(١) ... الآية

• اعلم أن أدنى ما ارتكبت ، وأعظم ما احتقبت ، أن آنست الظالم ، وسهلت له طريق الغيِّ بدنوك حين أُدنيت ، وإجابتك حين دُعيت ، فما أخلقك أن تبوء بإثمك غداً مع الجمعة ، وأن تُسئَل عما أردت بإغضائك عن ظلم الظلمة .

• إنك أخذت ما ليس لمن أعطاك ، ودنوت ممن لايردُّ على أحد حقاً ، ولا ترك باطلا حين أدناك ، وأجبت من أراد التَّدْلِيس بِدُعائه إياك حين دعاك .

• جعلوك قطباً تدور رحى باطلهم عليك ، وجسراً يعبرون بك إلى بلائهم ، وسُلَّماً إلى ضلالتهم ، وداعياً إلى غيِّهم ، سالكاً سبيلهم ، يُدْخلون بك الشك على العلماء ، ويقتادون بك قلوب الجهال إليهم ، فلم تبلغ أخص وزرائهم ، ولا أقوى أعوانهم لهم ، إلا دون مابلغت من إصلاح فسادهم ، واختلاف الخاصة والعامة إليهم ، فما أيسر ما عمَّروا لك فى جنب ماخَرَّبوا عليك ، وما أقل ما أعطوك فى كثير ما أخذوا منك ، فانظر لنفسك فإنه لاينظر لها غيرك ، وحاسبها حساب رجل مسؤول .

• وانظر كيف شكرك لمن غذاك بنِعَمِه صغيراً وكبيراً ، وانظر كيف إعظامك أمر من جعلك بدينه فى الناس بخيلا ،وكيف صيانتك لكسوة من جعلك لكسوته ستيرا ، وكيف قربك وبعدك ممن أمرك أن تكون منه قريباً .

• مالك لاتنتبه من نفسك ، وتستقيل من عثرتك ، فتقول : ــ والله ماقمت لله مقاماً واحداً أحيي له فيه ديناً ، ولا أُميت له فيه باطلا ، إنما شكرك لمن استحملك كتابه ، واستودعك علمه .

---

(١) النساء : ١٠٩

ما يؤمنك أن تكون من الذين قال الله تعالى فيهم :

(فَخَلف مِنْ بَعْدهم خَلْفٌ وَرِثُوا الكِتَابَ يَأْخُذُون عرضَ هٰذَا الأَدْنَىٰ)(١)... الآية

• إنكْ لست فى دار مقام ، قد أُذنت بالرحيل ، مابقاءُ المرء بعد أقرانه ، طُوبىٰ لِمَنْ كان مع الدنيا على وجل ، ويابؤس من يموت وتبقى ذنوبه من بعده .

• إنك لم تؤمر بالنظر لوارثك على نفسك ، وليس أحد أهلا أنْ تردفه على ظهرك . ذهبت اللذة وبقيت التبعة ، ما أشقى من سعد بكسبه غيره ، احذر فقد أُتيت ، وتخلص فقد أُدهيت ، إنك تعامل من لايجهل والذى يحفظ عليك لايغفل .

• تجهز ، فقد دنا منك سفر ، وداو دينك فقد دخله سقم شديد ولاتحسبن أنى أردت توبيخك أو تعييرك وتعنيفك ، ولكنى أردت أن تنبش مافات من رأيك ، وترد عليك ماعزب عنك من حلمك ، وذكرت قوله تعالى :

(وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنْفَعُ ٱلمؤْمِنِينَ) (٢).

• أغفلْتَ ذكر مَنْ مضىٰ من أسلافك وأقرانك ، وبقيت بعدهم كقرن أعضب ، فانظر هل ابتُلُوا بمثل ما ابتليت به ، أو دخلوا فى مثل ما دخلت فيه ، وهل تراه ادخر لك خيراً مُنِعُوه ، أو علمك علماً جهلوه ، بل جهلت ما ابتليت به من حالك فى صدور العامة ، وكَلَفهم بك أن صاروا يقتدون برأيك ويعملون بأمرك ، إن أحللت أحلوا ، وإن حرَّمت

---

(١) الأعراف : ١٦٩ (٢) الزاريات : ٥٥

حرموا ، وليس ذلك عندك ، ولكن إكبابهم عليك ، ورغبتهم فيما فى يديك ذهاب عملهم ، وغلبة الجهل عليك وعليهم ، وطلب حب الرياسة وطلب الدنيا منك ومنهم .

• أما ترى ما أنت فيه من الجهل والغرّة ، وما الناس فيه من البلاء والفتنة . ابتليتهم بالشغل عن مكاسبهم ، وفتنتهم بما رأوا من أثر العلم عليك ، وتاقت أنفسهم إلى أن يدركوا بالعلم ما أدركت ، ويبلغوا منه مثل الذى بلغت ، فوقعوا بك فى بحر لا يدرك قعره ، وفى بلاء لا يقدر قدره ، فالله لنا ولك ولهم المستعان .

واعلم أن الجاه جاهان : جاه يجريه الله تعالى على يدى أوليائه لأوليائه الخامل ذكرهم ، الخافية شخوصهم ، ولقد جاء نعتهم على لسان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – :

« إنَّ اللهَ يُحبُّ الأَخْفِيَاءَ الأَتْقِيَاءَ الأَبْرِياءَ الذِينَ إِذَ غَابُوا لَمْ يُفْتَقَدُوا وإذَا شَهِدُوا لَمْ يُعْرَفُوا ، قُلُوبُهُم مَصَابِيح الهُدَىٰ ، يخْرجُونَ مِنْ كلِّ فِتْنَة سَوْدَاء مُظْلِمَة » فهؤلاء أولياء الله الذين قال تعالى فيهم : ﴿ أُوْلَٰئِكَ حِزْبُ اللهِ ، أَلا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾(١) .

وجاه يجريه الله تعالى على يدى أعدائه لأوليائه ، ومقة يقذفها الله فى قلوبهم لهم ، فيعظمهم الناس بتعظيم أولئك لهم ، ويُرَغِّب الناس فيما فى أيديهم لرغبة أولئك فيه إليهم ﴿ أُوْلَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ ، أَلاَ إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الخَاسِرُونَ ﴾ (٢).

• وما أخوفنى أن تكون ممن ينظر لمن عاش مستوراً عليه فى دينه ،

---

(١) المجادلة : ٢٢ (٢) المجادلة : ١٩

مقتوراً عليه فى رزقه ،معزولة عنه البلايا ، مصروفة عنه الفتن فى عنفوان شبابه وظهور جَلَده ، وكمال شهوته ، فعنى بذلك دهره ، حتى إذا كبر سنه ، ورق عظمه ، وضعفت قوته ، وانقطعت شهوته ولذته ، فتحت عليه الدنيا شر فتوح ، فلزمته تبعتها وعلقته فتنتها ، وأعشت عينيه زهرتها ، وصنعت لغيره منفعتها ، فسبحان الله ما أبين هذا الغبن ، وأخسر هذا الأمر ، فهلا إذا عرضتْ لك فتنتها ذكرتَ أمير المؤمنين عمر – رضى الله تعالى عنه – فى كتابه إلى سعد .. حين خاف عليه مثل الذى وقعتَ فيه عندما فتح الله على سعد :

« أما بعد ، فاعرض عن زهرة ما أنت فيه حتى تلقى الماضين الذين دفنوا فى أسمالهم ، لاصقة بطونهم بظهورهم ، ليس بينهم وبين الله حجاب ، لم تفتنهم الدنيا ولم يفتتنوا بها ، رغبوا فطلبوا فما لبثوا أن لحقوا . فإذا كانت الدنيا تبلغ من مثلك هذا فى كبر سنك ، ورسوخ علمك ، وحضور أجلك ، فمن يلوم الحدث فى سنه ، والجاهل فى علمه ، والمأفون فى رأيه ، المدخول فى عقله ، إنا لله وإنا إليه راجعون ، على من المعول ، وعند من المستعتب .

نحتسب عند الله مصيبتنا . . وما نرى منك ؛ ونحمد الله الذى عافانا مما ابتلاك به . والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

* * *

صفة الامام العادل للحسن البصرى

كتب عمر بن عبدالعزيز – رضى الله عنه – لما ولى الخلافة إلى الحسن ابن أبى الحسن البصرى ، أن يكتب إليه بصفة الإمام العادل ، فكتب إليه الحسن رحمه الله :

اعلم يا أمير المؤمنين ، أن الله جعل الإمام العادل قِوَام كل مائل ، وقصد كل جائر ، وصلاح كل فاسد ، وقوة كل ضعيف ، ونَصَفَةَ كل مظلوم ، ومفزع كلّ ملهوف .

• والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالراعى الشفيق على إبله ، الرفيق بها ، الذى يرتاد لها أطيب المراعى ، ويذودها عن مراتع الهَلَكة ، ويحميها من السِّباع ، ويكنُّهَا من أذى الحرِّ والقُرِّ .

• والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالأب الحانى على ولده ، يسعى لهم صغاراً ، ويعلِّمهم كباراً ، يكسب لهم فى حياته ، ويَدَّخِر لهم بعد مماته .

• والإمام العادل يا أمير المؤمنين ، كالأُم الشفيقة البرَّة الرَّفيقة بولدها ، حملته كرهاً ، ووضعته كرهاً ، وربَّته طفلا تسهر بسهره ، وتسكن بسكونه ، ترضعه تارة ، وتفطِمُه أخرىٰ ، وتفرح بعافيته ، وتَغْتَمُّ بشكايته .

• والإمام العدل ياأمير المؤمنين وَصِيُّ اليَتَامىٰ ، وخازن المساكين ، يُرَبِّى صَغِيرَهُم ، ويَمُون كبيرهم .

والإمام العدل يا أمير المؤمنين كالقلب بين الجوارح ، تَصْلُحُ الجوارح بصلاحه ، وتفسد بفساده .

• والإمام العدل يا أمير المؤمنين ، هو القائم بين الله وبين عباده ، يَسْمع كلام الله ويُسْمِعهم ، وينظر إلى الله ويريهم ، وينقاد إلى الله ويَقُودهم فلا تكن يا أمير المؤمنين فيما مَلَّكَكَ الله عز وجل كعَبْد ائتمنه سيِّده ، واستحفظه ماله وعياله ، فَبَدَّد المال ، وشَرد العِيَال ، فَأَفْقَر أهله ، وفرَّق ماله .

• واعلم يا أمير المؤمنين أن الله أنزل الحدود ليزْجُر بها عن الخبائث والفواحش ، فكيف إذا أتاها من يَلِيها ! وأنَّ الله أنزل القِصاص حياةً

لعباده ، فكيف إذا قَتَلَهُم مَنْ يَقْتَصُّ لهم ! واذكر يا أمير المؤمنين الموت وما بعده ، وقِلَّة أشياعك عنده ، وأنصارك عليه ، فتَزَوَّد له ولما بعده من الفزع الأكبر .

• واعلم ياأمير المؤمنين أن لك مَنْزِلا غير منزلك الذى أنت فيه ، يطول فيه ثواؤك ، ويفارقك أحباؤك ، يُسْلِمُونك فى قعره فريداً وحيداً ، فتزود له مايصحبك : (يَومَ يَفرُّ المَرْءُ من أخيه .وأمهوأبيه .وصاحِبتهوبَنِيه)(١).

• واذكر ياأمير المؤمنين : (إذا بُعثر ما فى القبور . وحصل ما فى الصدور)(٢) فالأسرار ظاهرة ،والكِتاب لايغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها فالآن يا أمير المؤمنين وأنت فى مَهَل قبل حلول الأجل ، وانقطاع الأمل .

• لاتحكم يا أمير المؤمنين فى عباد الله بحكم الجاهلين ولاتَسْلُك بهم سبيل الظالمين ، ولاتُسلِّط المستكبرين على المستضعفين ؛ فإنهم لايرقبون فى مؤمن إلاًّ ولاذمَّة ، فَتَبُوء بأوزارك ، وأوزار مع أوزارك . وتحمل أثقالك وأثقالا مع أثقالك . ولا يَغُرَّنَّك الذين يتنعَّمون بما فيه بؤسك ، ويأكلون الطيِّبات فى دنياهم بإذهاب طيباتك فى آخرتك . ولاتنظر إلى قُدْرتك اليوم ، ولكن انظر إلى قدرتك غداً وأنت مأسور فى حبائل الموت ، وموقوف بين يدى الله فى مَجْمَع من الملائكة والنَّبِيِّين والمرسلين ، وقد عَنَتِ الوُجوه للحى القيُّوم .

• إنى يا أمير المؤمنين .- وإن لم أَبْلُغ بِعظَتِى ما بَلَغَهُ أولو النُّهَىٰ من قَبْلِى ، فلم آلُكَ شفقة ونُصْحاً . فأنزل كتابى إليك كَمُدَاوى حَبِيبه ؛ يسقيه الأدوية الكريهة لما يرجو له فى ذلك من العافية والصحة .

---

(١) عبس : ٣٤ — ٣٦ (٢) العاديات : ١٠

والسلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته .

* * *

موعظة طاووس الى عمر بن عبد العزيز

عن أبي رياح بن عبيدة قال : كتب عمر بن عبدالعزيز إلى طاووس كتاباً يسأله عن بعض ما هو فيه ، فأجابه بعشر كلمات لم يزده حرفاً ؛ قال : فما رأيت قط كتابا كان أعجب إليه منه ، كتب إليه .

« سلام عليك يا أمير المؤمنين . فإن الله عز وجل أنزل كتاباً . وأحل فيه حلالا . وحرم فيه حراماً . وضَرَب فيه أمثالا . وجعل بعضه محكماً وبعضه متشابهاً . فأحِلَّ حلال الله . وحرِّم حرام الله . وتفكَّر فى أمثال الله . واعمل بمحكمه . وآمن بمتشابهه . والسلام عليك » .

* * *

موعظة سالم الى عمــر بن عبد العزيز

روى عن الفرات بن سليمان أن عمر بن عبدالعزيز كتب إلى سالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب :

« سلام عليك . فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو . أما بعد . فإن الله عز وجل ابتلانى بما ابتلانى به من أمر هذه الأُمة من غير مشورة منى فيها ولا طلب منى لها إلا قَدَرٌ مِنَ الرحمن قَدَّره علىَّ . فأسأل الذى ابتلانى أن يعيننى على ما ولأنى من عباده وبلاده . وأن يرزقنى فيهم العمل بطاعته . وأن يرزقهم منى الرأفة والرحمة . ويرزقنى منهم السمع والطاعة وحسن المؤازرة . فإذا جاءك كتابى هذا ،فابعث إلىَّ بكتب عمر وسيرته وقضائه فى أهل القبلة وأهل الذمة . فإنى سائر بسيرته . ومتَّبع أثره إن الله أعاننى على ذلك — إن شاء الله — والسلام » .

فكتب إليه سالم :

« من سالم بن عبد الله ، إلى عمر بن عبد العزيز .

سلام عليك ، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو .

أما بعد .. فإن الله تعالى خلق الدنيا لما أراد ، فجعل لها مدة قصيرة ثم قضى عليها وعلى أهلها بالفناء ، ثم إنك ياعمر قد وُلِّيت أمراً عظيماً ، فإن استطعت أن لاتخسر نفسك وأهلك يوم القيامة فافعل ، فإنه كان فيا مضى قبلك رجال أماتوا ما أماتوا من الحق ، وأحيوا ما أحيوا من الباطل حتى وُلِدَ فى ذلك رجال ونساء ، وظنُّوا أنَّها السُّنَّة ، فلا يمنعك من نزع عامل أن تقول لا أجد من يكفينى عمله ، فإنك إن كنت تعمل لله أتاح الله لك أعواناً ، وإنَّمَا قُدِّر العَونُ بِقَدر النية ، وإن استطعت أن تجىء يوم القيامة لا يتبعنَّك أحد بمظلمة ، ويجىء من قبلك وهم غابِطُون لك ، فافعل فإنهم قد عالجوا نزَع الموت ، وعاينوا أهوال المطَّلع ، وانفقأت أعينهم التى كانت لاتنقضى لذتها ، وانشقت بطونهم التى كانوا لا يشبعون فيها ، واندَقَّتْ رِقَابهم غير متوسِّدين بعد تظاهر الفُرُش والمرافق والسُرُر والخدم ، وصاروا جِيَفاً فى بطون الأرض تحت آكامها ، وقد كانوا إلى جنب مساكين تأذَّوا من ريحهم بعد إنفاق مالا يحصى من الطيب ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

ما أعظم ما ابتُلِيتَ به ياعمر ، فمن بعثت من عمالك فازجره زجراً شديداً شبيهاً بالعقوبة عن أخذ الأموال وسفك الدماء إلا بحقها . المال المال ياعمر ... الدم الدم ياعمر .

كتبتَ إلى أن أبعث إليك بكتب عمر وسيرته ، وإن عمر عمل فى غير زمانك وبغير رجالك ، ووليت فى زمن تعلم بعد ماعمل ، وأنا أرجو

إن عملت على النحو الذى عمل به عمر بعد مابلوت من الظلم أن تكون أفضل من عمر عند الله ، وقل كما قال العبد الصالح :(وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه ، إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت ، وما توفيقى إلا بالله ، عليه توكلت وإليه أنيب) . (١)

***

آخر خطبة لعمر بن عبد العزيز

عن أبي سليم الهذلى قال : خطب عمر بن عبد العزيز فقال :

« أمابعد ، فإن الله عز وجل لم يخلقكم عبثاً ، ولم يدَع شيئاً من أمركم سدى ، وإنَّ لكم معاداً ينزل الله – عز وجل – فيه فى الحكم والقضاء بينكم ، فخاب وخسر من خرج مِنْ رحمة الله ، وحرم الجنة التى عرضها السموات والأرض ، واشترى قليلا بكثير ، وفانيا بباق ، وخوفاً بأمن ، ألا ترون أنكم فى أسلاب الهالكين ، وسيخلفها بعدكم الباقون كذلك ، حتى تُرَدَّ إلى خير الوارثين .

فى كل يوم تودعون أيها الأحياء غادياً ورائحاً إلى الله – عز وجل – قد قضى نحبه ، وانقضى أجله حتى تُغَيِّبُوه فى صدع الأرض فى بطن صدع ثم تدعوه غير ممهَّد ولا موَسَّد ، قد خلع الأسباب ، وفارق الأحباب ، وسكن التراب ، وواجه الحساب ، مُرْتَهناً بعمله ، فقيراً إلى ما قدَّم ، غنياً عمَّا ترك ، فاتقوا الله قبل نزول الموت بكم .

وأيم الله إنى لأقول لكم هذه المقالة ، وما أعلم عند أحد منكم من الذنوب ما أعلم عندى ، وما تبلغنى عن أحدمنكم حاجة إلا أحببت أن أسد

(١) هود : ٨٨ .

من حاجته ما قدرت عليه . وما يبلغني أن أحداً منكم لايسعه ماعندى إلا وددت أنه يمكنني تغييره حتى يستوى عيشنا وعيشه .

وأيم الله لو أردت غير ذلك من النضارة والعيش . لكان اللسان مني به ذلولا عالماً بأسبابه . ولكن سبق من الله – عز وجل – كتاب ناطق ، وسُنَّة عادلة . دَلَّ فيها على طاعته . ونهى فيها عن معصيته » .

ثم وضع طرف ردائه على وجهه فبكى وبكى الناس ، وكانت آخر خطبة خطبها .

***

خطبة عمر بن عبد العزيز فى اختيار الصاحب

عن سلام بن سليم قال :

لما ولى عمر بن عبد العزيز صعد المنبر – وكان أول خطبة خطبها – حمد الله وأثنى عليه ثم قال :

« ياأيها الناس .. من صحبنا فليصحبنا بخمس . وإلا فلا يقربنا : يرفع إلينا حاجة من لايستطيع رفعها . ويعيننا على الخير بجهده ، ويدلنا من الخير على مالانهتدى إليه . ولايغتابن عندنا الرعية . ولايعترض فيما لايعنيه »

فانقشع عنه الشعراء والخطباء ، وثبت الفقهاء والزهاد ، وقالوا : ما يسعنا أن نفارق هذا الرجل حتى يخالف فعله قوله .

***

عهد طاهر بن الحسين

قال ابن طيفور : ولما عهد طاهر بن الحسين إلى عبدالله ابنه هذا العهد ، تنازعه الناس وكتبوه وتدارسوه ، وشاع أمره حتى بلغ المأمون ، فدعا به وقرىء عليه ، وقال :

ما أبقى أبو الطيب شيئاً من الدين والدنيا ، والتدبير والرأى ، واصلاح الملك والرعية ، وحفظ البيعة ، وطاعة الخلفاء ، وتقويم الخلافة إلا وقد حكمه وأوصى به ، وتقدم فيه . وأمر أن يكتب بذلك إلى جميع العمال فى نواحى الأعمال .

ولما كان هذا العهد من الوثائق التاريخية التى لها قيمتها العلمية والأدبية والاجتماعية والسياسية ، آثرنا ذكره على مافيه من طول ، رغبة منا فى ألا يخلو كتابنا من هذا الأثر العظيم القيمة والخطر ، وهذا هو :

يابنى :

« عليك بتقوى الله وحده لاشريك له . وخشيته ومراقبته ، ومزايلة سخطه ، وحفظ رعيتك ، والزم ماألبسك الله فى العافية بالذكر لمعادك ، وما أنت صائر إليه ، وموقوف عليه ، ومسؤول عنه ، والعمل فى ذلك كله بما يعصمك الله ، وينجيك يوم القيامة من عذابه وأليم عقابه .

« فإن الله قد أحسن إليك ، وأوجب عليك الرأفة بمن استرعاك أمرهم من عباده ، وألزمك العدل عليهم ، والقيام بحقه وحدوده فيهم ، والذّب عنهم ، والدفع عن حريمهم وبيضتهم ، والحقن لدمائهم ، والأمن لسبيلهم ، وإدخال الراحة عليهم فى معايشهم ، ومؤاخذك بما فرض عليك من ذلك ، وموقفك عليه ، ومسائلك عنه ، ومُثيبك عليه بما قدمت وأخرت ، ففرّغ لذلك فكرك وعقلك وبصرك ورويّتك ، ولايذهلك عنه ذهل ، ولايشغلك عنه شغل ،فإنه رأس أمرك ،وملاك شأنك ،وأول ما يوفقك الله به لرشدك .

« وليكن أول ما تلزم به نفسك ، وتنسب إليه فعالك ، المواظبة على ما افترض الله عليك من الصلوات الخمس ، والجماعة عليها بالناس قبلك فى مواقيتها على سننها فى إسباغ الوضوء لها ، وافتتاح ذكر الله فيها ، وترتل فى قراءتك ، وتمكن فى ركوعك وسجودك وتشهدك ، ولتصدق فيها

لربك نيتك ، واحضض عليها جماعة من معك وتحت يدك ، وادأب عليها فإنها كما قال الله : تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، ثم اتبع ذلك الأخذ بسنن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – والمثابرة على خلائقه ، واقتفاء آثار السلف الصالح من بعده ، وإذا ورد عليك أمر فاستعن عليه باستخارة الله وتقواه ، ولزوم ما أنزل الله فى كتابه ، من أمره ونهيه ، وحلاله وحرامه ، وائتمام ما جاءت به الآثار عن النبى – صلى الله عليه وسلم – ثم قم فيه بما يحق لله عليك ، ولاتَمِلْ عن العدل فيما أحببت أو كرهت لقريب من الناس أو بعيد .

• وآثر الفقْه وأهله ، والدين وحَمَلَته ، وكتاب الله والعاملين به ، فإن أفضل ماتزين به المرءُ الفقه فى دين الله ، والطلب له والحث عليه ، والمعرفة بما يتقرب به إلى الله ، فإنه الدليل على الخير كله ، والقائد له ، والآمر به ، والناهى عن المعاصى والموبقات كلها ، وبهِ مع توفيق الله تزداد العباد معرفة بالله عز وجل ، وإجلالا له ، ودركاً للدرجات العلى فى المعاد ، مع ما فى ظهوره للناس من التوقير لأمرك ، والهيبة لسلطانك ، والأنسة بك والثقة بعدلك .

• وعليك بالاقتصاد فى الأمور كلها . فليس شىءٌ أبين نفعاً ، ولا أحضر أمناً ، ولا أجمع فضلا من القصد ، والقصدُ داعية إلى الرشد ، والرشد دليل على التوفيق ، والتوفيق منقاد إلى السعادة ، وقوام الدين والسنن الهادية بالاقتصاد ، فآثره فى دنياك كلها . ولا تقصر فى طلب الآخرة والأجر والأعمال الصالحة ، والسنن المعروفة ومعالم الرشد ، فلا غاية للاستكبار من البر والسعى له ، إذا كان يطلب به وجه الله ومرضاته ومرافقة أوليائه فى دار كرامته .

• واعلم أن القصد فى شأن الدنيا يورث العز ، ويحصن من الذنوب ، وأنك لن تحوط نفسك ومن يليك ، ولاتستصلح أمورك بأفضل منه ، فأته. واهتد به تتم أمورك ، وتزد مقدرتك، وتصلح خاصتك وعامتك ، وأحسن الظن بالله عز وجل ، تستقم لك رغيتك ، والتمس الوسيلة إليه فى أمورك كلها ، تستدم به النعمة عليك . ولاتنهض أحداً من الناس ، فيما توليه من عملك ، قبل تَكَشُّف أمره بالتهمة ، فإن إيقاع التهم بالبرءاء والظنون السيئة بهم مأثم ، واجعل من شأنك حسن الظن بأصحابك ، واطرد عنك سوء الظن بهم ، وارفضه عنهم ، يعنك ذلك على اصطناعهم ورياضتهم ، ولا يجدن عدو الله الشيطان فى أمرك مغمزاً . فإنه إنما يكتفى بالقليل من وهنك فيدخل عليك من الغم فى سوء الظن ماينغص عليك لذاذة عيشك .

• واعلم أنك تجد بحسن الظن قوة وراحة . وتكفى به ما أحببت كفايته من أمورك . وتدعو به الناس إلى محبتك . والاستقامة فى الأمور كلها لك . ولايمنعك حسن الظن بأصحابك . والرأفة برعيتك ، أن تستعمل المسألة والبحث عن أمورك . والمباشرة لأمور الأولياء والحياطة للرعية . والنظر فيما يقيمها ويصلحها ، بل لتكن المباشرة لأمور الأولياء ، والحياطة للرعية والنظر فى حوائجهم . وحمل مؤوناتهم آثر عندك مما سوى ذلك ، فإنه أقوم للدين . وأحيا للسنة ، وأخلص نيتك فى جميع هذا ، وتفرد بتقويم نفسك ، تَفَرُّد من يعلم أنه مسؤول عما صنع ، ومَجزىٌّ بما أحسن . فإن الله جعل الدين حرزاً وعزاً . ورفع من اتبعه وعززه ، فاسلك بمن تسوسه وترعاه نهج الدين . وطريقة الهدى ، وأقم حدود الله فى أصحاب الجرائم على قدر منازلهم وما استحقوه ولاتعطل ذلك ولاتهاون به ، ولا

تؤخر عقوبة أهل العقوبة ، فإن فى تفريطك فى ذلك ، لما يفسد عليك حسن ظنك ، واعزم على أمرك فى ذلك بالسنن المعروفة .

• وجانب الشبه والبدعات ، يسلم لك دينك . وتقم لك مروءتك ، وإذا عاهدت عهداً فَفِ به ، وإذا وعدت الخير فانجزه ، واقبل الحسنة ، وادفع بها ، واغمض عن عيب كل ذى عيب من رعيتك ، واشدد لسانك عن قول الكذب والزور ، وابغض أهله ، واقص أهل النميمة ، فإن أول فساد أمرك فى عاجل الأمور وآجلها ، تقريب الكذوب ، والجرأة على الكذب ، لأن الكذب رأس المآثم ، والزور والنميمة خاتمتها ، لأن النميمة لا يسلم صاحبها ، وقائلها لايسلم له صاحب ، ولايستقيم لمطيعها أمر ، واحب أهل الصدق والصلاح ، واعن الأشراف بالحق ، وواصل الضعفاء وصل الرحم ، وابتغ بذلك وجه الله ، وعزة أمره ، والتمس فيه ثوابه والدار الآخرة ، واجتنب سوء الأهواء والجور ، واصرف عنهما رأيك ، واظهر من ذلك لرعيتك ، وانعم بالعدل سياستهم ، وقم بالحق فيهم ، وبالمعرفة التى تنتهى بك إلى سبيل الهدى .

• واملك نفسك عند الغضب ، وآثر الوقار والحلم ، وإياك والحدة والطيش والغرور فيما أنت بسبيله ، وإياك أن تقول : إنى مسلط أفعل ما أشاء ، فإن ذلك سريع فيك إلى نقص الرأى ، وقلة اليقين بالله وحده لاشريك له .

• واخلص لله وحده النية فيه ، واليقين به ، واعلم أن الملك لله ، يعطيه من يشاء ، وينتزعه ممن يشاء ، ولن تجد تغير النعمة ، وحلول النقمة ، إلى أحد أسرع منه إلى حملة النعمة ، من أصحاب السلطان ،

والمبسوط لهم فى الدولة . إذا كفروا بنعم الله وإحسانه ، واستطالوا بما آتاهم الله من فضله . ودع عنف شره نفسك . ولتَكُ ذخائرك وكنوزك التى تدخر وتكنز البر والتقوى ، والمعدلة واستصلاح الرعية . وعمارة بلادهم ، والتفقد لأمورهم ، والحفظ لدمائهم . والإغاثة لملهوفهم .

• واعلم أن الأموال إذا كثرت وذخرت فى الخزائن لاتثمر ، وإذا كانت فى إصلاح الرعية . وإعطاء حقوقهم . وكف المؤونة عنهم . نمت وربت . وصلحت به العامة وتزينت به الولاة . وطاب به الزمان . واعتقد فيه العز والمنفعة . فليكن كنز خزائنك تفريق الأموال فى عمارة الإسلام وأهله . ووفر منه على أولياء أمير المؤمنين قبلك حقوقهم . وأوف رعيتك من ذلك حصصهم .

• وتعهد بما يصلح أمورهم ومعايشهم . فإنك إذا فعلت ذلك قفرت النعمة عليك ، واستوجبت المزيد من الله . وكنت بذلك على جباية خراجك وجمع أموال رعيتك وعملك أقدر . وكان الجميع لما شملهم من عدلك وإحسانك أسلس لطاعتك . وأطيب نفساً بكل ما أردت . فاجهد نفسك فيما حددت لك فى هذا الباب . ولتعظم حسبتك فيه . فإنما يبقى من المال ما أنفق فى سبيل حقه . واعرف للشاكرين شكرهم . وأثبهم عليه . وإياك أن تنسيك الدنيا وغرورها هول الآخرة . فتتهاون بما يحق عليك . فإن التهاون يوجب التفريط . والتفريط يورث البوار . وليكن عملك لله ، وفيه تبارك وتعالى .

• وارج الثواب فإن الله قد أسبغ عليك نعمته فى الدنيا . وأظهر لديك فضله . فاعتصم بالشكر . وعليه فاعتمد . يزدك الله خيراً وإحساناً فإن الله يثيب بقدر شكر الشاكرين وسيرة المحسنين . وقضاء الحق فيما

حمل من النعم ، والبس من العافية والكرامة ، ولاتحتقرن ذنباً ، ولا تمالئن حاسداً ، ولا ترحمن فاجراً ، ولا تصلن كفوراً ، ولا تداهنن عدواً ولاتصدقن نمّاماً ، ولاتأمنن غداراً ، ولا توالين فاسقاً ، ولاتتبعن غاوياً ولاتحمدن مرائياً ، ولاتحقرن إنساناً ، ولا تردّن سائلا فقيراً ، ولاتجيبن باطلا ، ولا تلاحظن مضحكاً ، ولاتخلفن وعداً ، ولا تذهبن فخراً ، ولاتظهرن غضباً ، ولاتأتين بذخاً ، ولاتمشين مرحاً ، ولا تركبن سفهاً ، ولاتفرطن فى طلب الآخرة ، ولا تدفع الأيام عياناً ، ولاتغمض عن الظالم رهبة منه أو مخافة ، ولا تطلبن ثواب الآخرة فى الدنيا ، وأكثر مشاورة الفقهاء واستعمل نفسك بالحلم ، وخذ عن أهل التجارب وذوى العقل والرأى والحكمة ، ولاتدخلن فى مشورتك أهل الدقة والبخل ، ولاتسمعن لهم قولا ، فإن ضررهم أكثر من منفعتهم وليس شىء أسرع فساداً لما استقبلت فى أمر رعيتك من الشح ، واعلم أنك إذا كنت حريصاً ، كنت كثير الأخذ ، قليل العطية ، وإذا كنت كذلك لم يستقم لك أمرك إلا قليلا ، فإن رعيتك إنما تنعقد على محبتك بالكف عن أموالهم ، وترك الجور عليهم ، ويدوم صفاء أوليائك لك ، بالإفضال عليهم ، وحسن العطية لهم ، فاجتنب الشح ، واعلم أنه أول ما عصى به الإنسان ربه ، وأن العاصى بمنزلة خزى وهو قول الله عز وجل :

(وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهُ فَأُولٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ)(١) .

• فسهّل طريق الجود بالحق ، واجعل المسلمين كلهم من نيتك حظاً ونصيباً ، وأيقن أن الجود من أفضل أعمال العباد ، فأعدده لنفسك خلقاً ، وارض به عملا ومذهباً ، وتفقد أمور الجند فى دواوينهم ،

---

(١) الحشر : ٩ ، التغابن : ١٦ .

ومكاتبهم ، وادرر عليهم أرزاقهم ، ووسع عليهم فى معايشهم ، ليذهب بذلك الله فاقتهم ، ويقوم لك أمرهم ، ويزيد به قلوبهم فى طاعتك وأمرك ، خلوصاً وانشراحاً ، وحسب ذى سلطان من السعادة أن يكون على جنده ورعيته رحمة فى عدله وحيطته وإنصافه وعنايته ، وشفقته وبرّه وتوسعته فزايل مكروه إحدى البليتين ، باستشعار تكملة الباب الآخر ،ولزوم العمل به ، تلق ـ إن شاء الله ـ نجاحاً وصلاحاً وفلاحاً .

* واعلم أن القضاء من الله ؛ بالمكان الذى ليس مثله شىء من الأمور لأنه ميزان الله الذى تعتدل عليه الأحوال فى الأرض ، وبإقامة العدل فى القضاء والعمل تصلح الرعية ، وتؤمن السبل ، وينتصف المظلوم ، ويأخذ الناس حقوقهم ، وتحسن المعيشة ، ويؤدى حق الطاعة ، ويرزق الله العافية والسلامة ، ويقوم الدين ، وتجرى السنن والشرائع ، و على مجاريها ينتجز الحق والعدل فى القضاء .

* واشتد فى أمر الله ، وتورع عن النطف ، وامض لإقامة الحدود ، وأقلل العجلة ، وابعد من الضجر والقلق، واقنع بالقسم ، ولتسكن ريحك ويقر جدك ، وانتفع بتجربتك، وانتبه فى صمتك ، واسدد فى منطقك ، وأنصف الخصم ، وقف عند الشبهة ، وأبلغ فى الحجة، ولا يأخذك فى أحد من رعيتك محاباة ولا مجاملة ، ولا لوم لائم ، وتثبّت وتأنَّ، وراقب وانظر وتدبر وتفكّر ، واعتبر وتواضع لربك ، وارأف بجميع الرعية ، وسلط الحق على نفسك ، ولاتسرعن إلى سفك دم ، فإن الدماء من الله بمكان عظيم انتهاكاً لها بغير حقها .

* وانظر هذا الخراج الذى استقامت عليه الرعية ، وجعله الله للإسلام عزاً ورفعة ، ولأهله سعة ومنعة ، ولعدوه وعدوهم كبتاً وغيظاً ، ولأهل

الكفر من معاهدتهم ذلا وصغاراً ، فوزعه بين أصحابه بالحق والعدل والتسوية . والعموم فيه . ولا تدفعن منه شيئاً عن شريف لشرفه ، وعن غنى لغناه . ولا عن كاتب لك ، ولا أحد من خاصتك . فلا تأخذن منه فوق الاحتمال له . ولا تكلفن أمراً فيه شطط . واحمل الناس كلهم على مر الحق ، فإن ذلك أجمع لألفتهم . وألزم لرضى العامة . واعلم أنك جعلت بولايتك خازناً وحافظاً وراعياً . وإنما سمى أهل عملك رعيتك ، لأنك راعيهم وقيمهم . تأخذ منهم ما أعطوك من عفوهم ومقدرتهم . وتنفقه فى قوام أمرهم وصلاحهم . وتقويم أودهم ، فاستعمل عليهم فى كور عملك ، ذوى الرأى والتدبير والتجربة والخبرة بالعمل . والعلم بالسياسة والعفاف . ووسع عليهم فى الرزق . فإن ذلك من الحقوق اللازمة لك فيما تقلدت وأسند إليك ، ولا يشغلنك عنه شاغل . ولا يصرفنك عنه صارف . فإنك متى آثرته وقمت فيه بالواجب استدعيت به زيادة النعمة من ربك . وحسن الأحدوثة فى عملك . واستجررت به المحبة من رعيتك . وأعنت على الصلاح فدرت الخيرات ببلدك . وفشت العمارة بناحيتك . وظهر الخصب فى كورك ، وكثر خراجك . وتوفرت أموالك . وقويت بذلك على ارتباط جندك ، وإرضاء العامة بإفاضة العطاء فيهم من نفسك . وكنت محمود السياسة ، مرضى العدل فى ذلك عند عدوك . وكنت فى أمورك كلها ذا عدل وقوة وآلة وعدة .

• فنافس فى هذا . ولا تقدم عليه شيئاً ، تحمد مغبة أمرك – إن شاء الله – واجعل فى كل كورة من عملك أميناً . يخبرك أخبار عمالك ، ويكتب إليك بسيرتهم وأعمالهم . حتى كأنك مع كل عامل فى عمله . معاين لأمره كله . وإن أردت أن تأمره بأمر . فانظر فى عواقب ما أردت من ذلك ، فإن

رأيت السلامة فيه والعافية ، ورجوت فيه حسن الدفاع ، والنصح والصنع فامضه ، وإلا فتوقف عنه ، وراجع أهل البصر والعلم ، ثم خذ فيه عدته ، فإنه ربما نظر الرجل فى أمر من أمره ، قد واتاه على ما يهوى ، فقواه على ذلك وأعجبه ، وإن لم ينظر فى عواقبه أهلكه ونقض عليه أمره ، فاستعمل الحزم فى كل ما أردت ، وباشره بعد عون الله بالقوة ، وأكثر استخارة ربك فى جميع أمورك .

• وافرغ من عمل يومك ، ولا تؤخره لغدك ، وأكثر مباشرته بنفسك فإن لِغَد أموراً وحوادث تلهيك عن عمل يومك الذى أخرت ، واعلم أن اليوم إذا مضى ذهب بما فيه ، وإذا أخرت عمله اجتمع عليه أمر يومين . فشغلك ذلك حتى تعرض عنه ، فإذا أمضيت لكل يوم عمله أرحت نفسك وبدنك ، وأحكمت أمور سلطانك ، وانظر أحرار الناس وذوى الشرف منهم ، ثم استيقن صفاء طويتهم وتهذيب مودتهم لك ، ومظاهرتهم بالنصح والمحافظة على أمرك ، فاستخلصهم وأحسن إليهم ، وتعاهد أهل البيوتات ممن قد دخلت عليهم الحاجة ، فاحتمل مؤونتهم ، وأصلح إليهم ، حتى لايجدوا لخلّتهم مسّاً .

• وافرد نفسك للنظر فى أمور الفقراء والمساكين ، ومن لايقدر على رفع مظلمة إليك ، والمحتقر الذى لا علم له بطلب حقه ، فاسأل عنه أخفى مسألة ، ووكّل بأمثاله أهل الصلاح من رعيتك ، ومرهم برفع حوائجهم وحالاتهم إليك ، لتنظر فيها بما يصلح الله به أمرهم . وتعاهد ذوى البأساء ويتاماهم وأراملهم ، واجعل لهم أرزاقاً من بيت المال اقتداء بأمير المؤمنين ـ أعزه الله ـ فى العطف عليهم والصلة لهم ، ليصلح الله بذلك عيشهم ، ويرزقك به بركة وزيادة ، وأجر للأمراء من بيت المال ، وقدّم حَمَلَةَ القرآن منهم ،

والحافظين لأكثره فى الجارية على غيرهم ، وانصب لمرضى المسلمين دوراً تؤويهم . وقوّاماً يرفقون بهم ، وأطباء يعالجون أسقامهم ، واسعفهم بشهواتهم ما لم يؤدِّ ذلك إلى سرف فى بيت المال .

* واعلم أن الناس إذا أعطوا حقوقهم . وأفضل أمانيهم لم يرضهم ذلك ولم تطب أنفسهم دون رفع حوائجهم إلى ولاتهم ، طمعاً فى نيل الزيادة وفضل الرفق منهم ، وربما برم المتصفح لأمور الناس ، لكثرة مايرد عليه ، ويشغل فكره وذهنه ، ومنها ما يناله به مؤونة ومشقة ، وليس من يرغب فى العدل ، ويعرف محاسن أموره فى العاجل ، وفضل ثواب الآجل ، كالذى يستقبل ما يقرِّبه إلى الله . ويلتمس رحمته به .

* وأكثر الإذن للناس عليك ، وابرز لهم فى المسألة والمنطق ، واعطف عليهم بجودك وفضلك ، وإذا أعطيت فاعط بسماحة وطيب نفس . والتمس الصنيعة والأجر ، غير مكدر ولامنان . فإن العطية على ذلك تجارة مربحة — إن شاء الله — واعتبر بما ترى من أمور الدنيا ومن مضى مِنْ قبلك ، من أهل السلطان والرياسة فى القرون الخالية والأمم البائدة .

* ثم اعتصم فى أحوالك كلها بأمر الله ، والوقوف عند محبته . والعمل بشريعته وسنته . وإقامة دينه وكتابه . واجتنب ما فارق ذلك وخالفه ، ودعا إلى سخط الله ، واعرف ماتجمع عمالك من الأموال ، وينفقون منها ، ولا تجمع حراماً . ولاتنفق إسرافاً . وأكثر مجالسة العلماء . ومشاورتهم ومخالطتهم ، وليكن هواك اتباع السنن وإقامتها ، وإيثار مكارم الأمور ومعاليها . وليكن أكرم دخلائك وخاصتك عليك مَنْ إذا رأى عيباً فيك ،

لم تمنعه هيبتك من إنهاء ذلك إليك فى سرّ ، وإعلامك ما فيك من النقص ، فإن أولئك أنصح أوليائك ومظاهريك .

• وانظر عمالك الذين بحضرتك وكتابك ، فوَقِّت لكل رجل منهم فى كل يوم وقتاً ، يدخل عليك فيه بكتبه ومؤامراته . وما عنده من حوائج عمالك ، وأمر كورك ورعيتك ، ثم فرغ لما يورده عليك من ذلك سمعك وبصرك ، وفهمك وعقلك ، وكرر النظر إليه والتدبير له ، فما كان موافقاً للحزم والحق ، فامضه واستخر الله فيه ، وما كان مخالفاً لذلك فاصرفه إلى التثبت فيه والمسألة عنه ، ولا تمنن على رعيتك ولا على غيرهم بمعروف تأتيه إليهم . ولا تقبل من أحد منهم إلا الوفاء والاستقامة ، والعون فى أمور أمير المؤمنين ، ولاتضعن المعروف إلا على ذلك .

• وتفَهَّم كتابى إليك ، وأكثر النظر فيه ، والعمل به ، واستعن بالله على جميع أمورك واستخره . فإن الله مع الصلاح وأهله ، وليكن أعظم سيرتك ، وأفضل رغبتك ما كان لله رضاً ، ولدينه نظاماً ، ولأهله عزاً وتمكيناً ، وللذمة والدولة عدلاً وصلاحاً .

• وأنا أسأل الله أن يحسن عونك وتوفيقك ، ورشدك وكلاءك ، وأن ينزل عليك فضله ورحمته بتمام فضله عليك . وكرامته لك ، حتى يجعلك أفضل أمثالك نصيباً ، وأوفرهم حظاً ، وأسناهم ذكراً وأمراً ، وأن يهلك عدوك . ومن ناوأك وبغى عليك ، ويرزقك من رعيتك العافية ، ويحجز الشيطان عنك ووساوسه ، حتى يستعلى أمرك بالعز والقوة والتوفيق ، إنه قريب مجيب .

***

نصيحة سفيان بن سعيد لهارون الرشيد

ذكر الامام ابن بليان والغزالى وغيرهما إن الرشيد لما ولى الخلافة زاره العلماء بأسرهم إلا « سفيان بن سعيد » فإنه لم يأته وكان بينه وبينه صحبة فشق عليه ذلك فكتب إليه الرشيد كتابا يقول فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله هارون أمير المؤمنين ، إلى أخيه فى الله سفيانَ بنِ سَعِيد :

• أما بعد يا أخى ، فَقد عَلِمْت أن الله آخَىٰ بَيْنَ ٱلمُؤْمنين ، وقد آخَيْتُكَ فى الله مُؤاخاة لم أصرم فيها حبْلكَ ، ولم أقطع منها وُدَّك ، وإنِّى مُنْطَوٍ لَكَ على أَفْضَل المَحَبَّة ، وأَتَم الإرادَةِ ، ولَوْلا هٰذِهِ القِلادَةُ الَّتِى قَلَّدْنيِهَا الله تَعَالىٰ لأَتَيْتُكَ وَلَوْ حَبْواً ، لِمَا أَجِد لَكَ فى قَلْبِى مِنَ المَحَبَّة ، وإنَّه لَمْ يَبْقَ أَحَدٌ مِنْ إخْوَانِى إلا زَارَنِى وهَنَّأَنِى بِمَا صِرْتُ إليهِ ، وقَدْ فَتَحْتُ بُيُوتَ الأَمْوَالِ ، وأَعْطَيْتُهُم مِنَ المَوَاهِبِ السَّنِيَّة ، ما فرِحَتْ بِهِ نَفْسى ، وقَرَّتْ بِهِ عَيْنِى ، وقَدِ اسْتَبْطَأْتُكَ ، وقَدْ كَتَبْتُ كِتَاباً مِنِّى إلَيْكَ أُعْلِمُكَ بِالشَّوقِ الشَّدِيدِ إليك ، وقَد عَلِمتَ يا أَبَا عَبْدِ الله مَا جَاءَ فى فَضْلِ زِيَارَةِ المؤمِنِ ومُوَاصَلَتهِ ، فإِذَا وَرَدَ عليك كتابى هذا فالْعجَلُ العجل .

ثم أعطى الكتاب لعباد الطالقانى وأمره بإيصاله اليه ، وأن يحصى عليه بسمعه وقلبه دقيق أمره وجليله ليخبره به . قال عباد : فانطلقت إلى الكوفة فوجدت سفيان فى مسجده ، فلما رآنى على بعد قام وقال : أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ، وأعوذ بك اللهم من طارق يطرق إلا بخير ، قال : فنزلت عن فرسى بباب المسجد ، فقام يصلى ولم يكن وقت صلاة ، فدخلت وسلمت فما رفع أحد من جلسائه رأسه إلى ، قال : فبقيت واقفاً وما منهم أحد يعرض على الجلوس ، وقد علتنى من هيبتهم الرعدة ، فرميت بالكتاب

اليه ، فلما رأى الكتاب ارتعد وتباعد منه كأنه حية عرضت له فى محرابه ، فركع وسجد وسلم وأدخل يده فى كمه وأخذه وقلبه بيده ، ورماه إلى من كان خلفه ، وقال : ليقرأه بعضكم فإنى أستغفر الله ان أمس شيئاً مسه ظالم بيده ، قال عباد : فمد بعضهم يده إليه وهو يرتعد كأنه حية تنهشه ثم قرأه فجعل سفيان يتبسم تبسم المتعجب ، فلما فرغ من قراءته ، قال اقلبوه واكتبوا للظالم على ظهره ، فقيل له : يا أبا عبدالله إنه خليفة فلو كتبت اليه فى بياض نقى لكان أحسن ، فقال : اكتبوا للظالم فى ظهر كتابه . فإن كان اكتسبه من حلال ، فسوف يجزى به ، وإن كان اكتسبه من حرام فسوف يصلى به ، ولا يبقى شيء مسه ظالم بيده عندنا ، فيفسد علينا ديننا ، فقيل له : ما نكتب إليه ؟ قال : اكتبوا له :

بسم الله الرحمن الرحيم

« مِنَ العَبْدِ المَيِّتِ سُفْيَانَ إلى العَبْدِ المَغْرُورِ بالآمالِ هارون الَّذِى سُلِبَ حَلاوَةَ الإيمَان . وَلَذَّةَ قِرَاءَةِ القُرْآن .

« أما بعد .. فإنِّى كَتَبْتُ إليكَ أُعْلِمُكَ أنِّى قَدْ صَرَمْتُ حَبْلَكَ ، وقَطَعْتُ وُدَّكَ . وأنَّكَ قَدْ جَعَلْتَنى شَاهِداً بإقْرَارِكَ على نَفْسِكَ فى كِتَابِكَ ، بِمَا هَجَمْتَ عَلى بَيْتِ مَالِ المُسْلِمِينَ . فَأنْفَقْتَهُ فى غَيْرِ حَقِّه . وأنْفَذْتَهُ بِغَيْرِ حُكْمِه . ولَمْ تَرْضَ بِمَا فَعَلْتَ وأنْتَ نَاءٍ عَنِّى . حَتَّى كَتَبْتَ إلَىَّ تُشْهِدُنى على نَفْسِكَ .

« فأما أنا فَإنِّى قَدْ شَهِدْتُ عَلَيْكَ أنَا وإخْوَانى الَّذِينَ حَضَرُوا قِرَاءَةَ كِتَابِكَ .. وسَنُؤَدِّى الشَّهَادَةَ غداً بَيْنَ يَدَى الله الحَكَمِ العدلِ . يا هارون ؛ هَجَمْتَ على بَيْتِ مَالِ المُسْلِمين بِغَيْرِ رِضَاهُم . هَلْ رَضِىَ بِفِعْلِكَ المُؤَلَّفَةُ قُلُوبُهُم . والعامِلُون عليها فى أرضِ الله . والمُجاهِدُون فى سَبِيلِ الله وابنُ السَّبِيلِ . أَمْ رَضِىَ بِذلِكَ حَمَلَةُ القُرْآن وأهْلُ العِلْمِ يَعْنى العَامِلِين . أَمْ

رضىَ بفعْلِكَ الأيتَام والأرَامل ، أم رَضِيَ بذلكَ خَلْقٌ من رعيتك ، فَشُدّ ياهارون مئزَرَك ، وأعدّ للمَسْألة جَوَاباً ، وللبَلاَء جلباباً ، واعلم أنك ستقف بين يدى الحكَم العَدْل فاتّقِ الله فى نفسك إذْ سُلِبْت حَلاَوَةَ العلْم والزُّهْدِ ولَذَّةَ قِرَاءة القُرْآن ، ومُجَالَسَة الأَخْيَار ، ورَضيت لِنَفْسكَ أن تكون ظالماً ولِلظَّالِمينَ إماما (١) .

* ياهارون .. قَعَدْتَ على السَّرير ، ولَبسْتَ الحرير ، وأسبَلْتَ سُتُوراً دُونَ بابك ، وتَشَبَّهْتَ بالحُجْبَة بربِّ العَالمين ، ثمَّ أقْعَدْتَ أجْنَادَكَ الظَّلَمَة دُونَ بَابِكَ ، وَسُتُرِكَ يَظْلِمونَ النَّاسَ وَلا يُنْصِفُون ، ويَشْرَبُونَ الْخَمْرَ وَيَحدُّونَ الشَّارِب ، ويَزْنُونَ ويَحُدُّونَ الزَّانى ، ويَسْرِقُونَ ويَقْطَعُونَ السَّارِق ، ويَقْتلُونَ ويَقْتُلُونَ القَاتل ، أفلا كانت هذه الأَحكام عليك وعَلَيْهم قَبْلَ أنْ يَحكمُوا بِهَا على النَّاس .

* فكَيْفَ بِكَ ياهارُونُ غداً إذا نادَىٰ المُنَادِى مِنْ قِبَل الله احْشُرُوا الظَّلَمَةَ وأعْوَانَهُم ، فَتَقَدَّمْت بَيْنَ يَدَى الله ويَدَاكَ مَغْلُولَتَانِ إلى عُنُقِكَ ، لايَفُكُّهُمَا إلا عَدْلُكَ، وإنْصَافكَ ، والظَّالِمُونَ حوْلَكَ وأنْتَ لَهُم إمَامٌ أوْ سَائقٌ إلى النَّار .

* وكأنِّى بِكَ ياهَارُونُ وَقَدْ أُخذْت بِضيقِ الخنَاق ، وَوَرَدْتَ المساقَ ، وأنْتَ تَرَىٰ حَسَنَاتِكَ فى ميزَان غَيرِكَ،وسَيِّئات غَيْرِكَ فى ميزانكَ على سَيِّئاتكَ، بَلاءٌ على بَلاءِ ، وظُلْمَةٌ فَوْقَ ظُلْمَةِ ، فاتَّق الله ياهارونَ فى رَعيَّتكَ ، واحفظ

---

(١) اضطربت الأخبار فى أمر هارون الرشيد ؛ فمنهم من قبل مثل هذه الرواية — ومنهم من قال إن هارون كان ملكاً مسلما شجاعاً يحج عاماً ويغزو عاماً، ومعلوم أن مثل هارون الحاكم الفاتح القوى يكثر خصومه من الداخل ومن الخارج .

محمَّداً – صلى الله عليه وسلَّم – فى أُمَّته ، واعْلَم أنَّ هذا الأمْر لَم يَصِرْ إليكَ إلا وهو صائرٌ إلى غَيرِكَ ، وكذلكَ الدُّنْيَا تَفْعَلُ بأَهلِهَا واحداً بَعْدَ واحد ؛ فَمِنْهُم مَنْ تَزَوَّد زاداً نَفعَهُ ، وَمِنهُم مَنْ خَسِرَ دُنْيَاه وآخِرَتَهُ ، وإيَّاكَ ثُمَّ إيَّاكَ أَنْ تَكْتُبَ إِلَيَّ بَعْدَ هٰذَا ، فَإِنِّى لا أُجِيبُكَ والسَّلام .

وألقى الكتاب منشورا من غير طى ولا ختم فأخذته ، وأقبلت به إلى سوق الكوفة ، وقد وقعت الموعظة بقلبى ، فناديت : يا أهل الكوفة من يشترى رجلا هرب إلى الله ، فأقبلوا إلى بالدراهم والدنانير ، فقلت : لا حاجة لى بالمال ، ولكن جبة صوف ، وعباءة قطوانية فأتيت بذلك ، فنزعت ما كان على من الثياب التى كنت أجالس بها أمير المؤمنين ، وأقبلت أقود الفرس الذى كان معى إلى أن أتيت باب الرشيد حافياً راجلا فهزأ بى من كان على الباب ثم استؤذن لى ، فلما رآنى على تلك الحالة قام وقعد ، وجعل يلطم رأسه ووجهه ، ويدعو بالويل والحرب ويقول : انتفع الرسول وخاب المرسل ، مالى وللدنيا ، والملك يزول عنى سريعاً ، فألقيت الكتاب إليه مثل ما دفع إلى ، فأقبل يقرؤه ودموعه تنحدر على وجهه وهو يشهق، فقال بعض جلسائه: يا أمير المؤمنين قد اجترأ عليك سفيان ، فلو وجهت اليه فأثقلته بالحديد ، وضيقت عليه السجن ، فجعلته عبرة لغيره ، فقال هارون :

« اتركُوا سُفْيَانَ وشَأْنَهُ ياعَبِيدَ الدُّنْيَا ؛ المغْرُورُ مَن غَرَرْتُمُوهُ ، والشَّقِىُّ – واللهِ – حَقًّا مَنْ جَالَسْتُمُوه ، إنَّ سُفْيَان أُمَّةٌ وَحْدَهُ » .

ولم يزل كتاب سفيان (١) عند الرشيد يقرؤه دبر كل صلاة ويبكى ، حتى توفى رحمه الله تعالى .

***

---

(١) وهو غير سفيان الثورى الزاهد المعروف والذى لم يدرك هرون الرشيد .

رسالة الامام مالك لهارون الرشيد

كتب الامام مالك بن أنس – رضى الله عنه – بهذه الرسالة الى أمير المؤمنين هرون الرشيد ووزيره يحى بن خالد البرمكى .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد ، فإنى كتبتُ إلَيْكَ بِكِتَابٍ لَمْ آلُكَ فِيهِ رشداً ، ولَمْ أَدَّخرك فيه نُصْحاً ، تحميداً لله ، وأدباً عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فتدبَّره بعقلك ، وردِّد فيه بصرك ، وارعه سمعَك ، ثم اعقله بقلبك ، واحضِرْه فهمك ، ولاتُغيِّبَنَّ عنه ذهنَك ، فإن فيه الفضل فى الدنيا ، وحسن ثواب الله تعالى فى الآخرة ، اذكر نفسك فى غمرات الموت وكربه ، وما هو نازل بك منه ، وما أنت موقوف عليه بعد الموت من العرض على الله سبحانه ، ثم الحساب ، ثم الخلود بعد الحساب ، وأعِدَّ لله عز وجل مايُسَهِّلُ به عليك أهوال تلك المشاهد وكُرَبها ، فإنك لو رأيت أهل سخط الله تعالى ، وما صاروا إليه من ألوان العذاب ، وشدة نقمته عليهم ، وسمعت زفيرهم فى النار وشهيقهم ، مع كلوح وجوههم ، وطول غمهم ، وتقلبهم فى دركاتها على وجوههم ، لايسمعون ولايبصرون ، ويدعون بالويل والثبور ، وأعظم من ذلك حسرَةً إعراض الله تعالى عنهم ، وانقطاع رجائهم ، وإجابته إياهم بعد طول الغم بقوله : (اخْسَئُوا فِيها ولا تُكَلِّمُونِ) (١) .

لم يتعاظمك شىءٌ من الدنيا إن أردت النجاة من ذلك ، ولا أمَّنك من هوله ، ولو قدمت فى طلب النجاة منه جميع ما ملك أهل الدنيا – كان فى

(١) المؤمنون : ١٠٨

معاينتك ذلك صغيراً ، ولو رأيت أهل طاعة الله تعالى ، وما صاروا إليه من كرم الله عز وجل ، ومنزلتهم مع قربهم من الله عز وجل ، ونضرة وجوههم ، ونور ألوانهم ، وسرورهم بالنعيم المقيم ، والنظر إليه والمكانة منه – لتقلَّلَ فى عينك عظيم ما طلبت به صغير ما عند الله ، ولصغر فى عينك جسيم ماطلبت به صغير ذلك من الدنيا ، فاحذر على نفسك حذراً غير تغرير ، وبادر بنفسك قبل أن تسبق إليها ، وما تخاف الحسرة منه عند نزول الموت ، وخاصم نفسك على مهل ، وأنت تقدر بإذن الله على جر المنفعة إليها ، وصرف الحجة عنها ، قبل أن يتولى الله حسابها ، ثم لاتقدر على صرف المكروه عنها ، واجعل من نفسك لنفسك نصيباً بالليل والنهار ، وصَلِّ من النهار اثنتى عشرة ركعة ، واقرأ فيهن ما أحببت ، إن شئت صلِّهن جميعاً ، وإن شئت متفرقات ، فإنه بلغنى عن النبى – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : « مَنْ صَلى مِنَ النَّهَارِ اثْنَتَى عَشْرَةَ رَكْعَةً بَنَى الله لَهُ بَيْتاً فى الجَنَّةِ » .

وصَلِّ مِنَ الليل ثمان ركعات بجزء من القرآن ، واعط كل ركعة حقها ، والذى ينبغى فيها من تمام الركوع والسجود ، وصلِّهن مثنى مثنى ، فإنه بلغنى عن النبى – صلى الله عليه وسلم – أنه كان يصلى من الليل ثمان ركعات ، والوتر ثلاث ركعات سوى ذلك يُسلم من كل اثنتين ، وَصُم ثلاثة أيام من كل شهر : الثالث عشر ، والرابع عشر ، والخامس عشر ، فإنه بلغنى عن النبى – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : « ذَلِكَ صِيَامُ الدَّهْرِ » .

من يستحق الصدقة وأقسامهم :

واعْط زَكاة مالك طيبة بها نفسك حين يحول عليه الحول ، ولا تؤخرها بعد حلها ، وضعها فيمن أمر الله تعالى ، ولا تضعها إلا فى أهل ملتك من

المسلمين ، فإنه بلغنى عن النبى – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : إنَّ اللهَ تَعَالىٰ لَمْ يَرْضَ مِنَ الصَّدَقَةِ بِحُكْمِ نَبِيٍّ ولاغَيْرِهِ حَتَّىٰ حَدَّها هُوَ على ثَمَانِيَةِ أَجْزَاءٍ . قال عز وجلَّ : (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلفُقَرَاءِ وَالمَسَاكِينِ والعَامِلِينَ عَلَيهَا والمؤلَّفَةِ قُلُوبُهُم وَفِي الرِّقَابِ والغَارِمينَ وَفِي سَبِيلِ اللهِ وَابْنِ السَبِيلِ)(١).

واحْجُجْ حجة الإسلام من أطيب مالك ، وأزكاه عندك ، فإن الله تعالى لايقبل إلا طيباً ، وبلغنى أن قوله تعالى : (فَمَنْ تعَجَّل فى يَوْمَيْنِ فَلا إِثْمَ عَلَيهِ ومَنْ تَأَخَّرَ فَلا إِثْمَ عَلَيه) (٢) غُفِرَ لَهُ .

مُرْ بِطَاعة الله وأَحْبِب عليها ، وانْهَ عَنْ معاصى الله تعالى ، وابغض عليها ، فإنه بلغنى عن النبى – صلى الله عليه وسلم أنه قال :« مُرُوا بالمعْرُوفِ ، وانهُوا عَنِ المُنْكَرِ ، فإنَّمَا هَلكَ مَنْ كانَ قَبْلَكُم بِتَرْكِهِم نَهْيَهُم عَنِ المَعَاصى ، ولَم يَنْهَهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ والأَحْبَارُ » . فَمُرُوا بالمعروف ، وانهوا عن المنكر من قبل أن ينزل بكم الذى نزل بهم ، فإن الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر لايُقَدِّمُ أجلا ، ولايقطع رزقاً .

رحمة الخدم والنهى عن الكبر :

أَحْسِن إلى مَنْ خَوَّلك الله تعالى ، واشكر تفضيله إياك عليهم ، فإنه بلغنى عن النبى – صلى الله عليه وسلم – أنه كان يُصَلِّى فانصرف ، وقال : « أَطَّتِ السَّمَاءُ ، وحقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ ، مافِيْهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إلا عَلَيهِ جَبْهَةُ مَلَكٍ سَاجِدٍ ، فَمَنْ كانَ لَهُ خَوَلٌ فَلْيُحْسِنْ إِلَيْهِ ، ومَنْ كَرِهَ فَلْيَسْتَبْدِلْ ، ولاتُعَذِّبُوا خَلْقَ الله » .

الْزِم الأدب من وَلِيت أمره وأدبه ، ومن يجب عليك النظر فى أمره ،

---

(١) التوبة : ٦٠ (٢) البقرة : ٢٠٣

فإنه بلغني عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال للفضل بن العباس : « لاتَرْفَعْ عَصَاكَ عَنْ أَهْلِكَ ، وأَخِفْهُم فى الله » .

لاتستسلم إلى الناس واسْتَجْرِهِم (١) فى طاعة الله ، لاتَغْمَص النَّاس ، واخْفِضْ لهم جناحك ، فإنه بلغني عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : « ألا أُحَدِّثُكُم بِوَصيَّةِ نوح ابنَهُ . قال : آمُرُكَ باثنين ، وأَنْهَاكَ عَنْ اثْنَين ، آمُرُكَ بِقَولِ لا إلهَ إلا الله ، فإنَّهَا لَوْ كانَتْ فى كِفَّةٍ ، والسَّمٰواتُ والأَرْضُ فى كِفَّةٍ وَزَنَتْهَا ، ولَو وَضَعتهَا على حَلَقة قَصَمَتها ، وَقُلْ : سُبْحَانَ الله وبِحَمْدِه فإنَّهَا عِبَادَةُ الخَلق ، وبِهَا تُقْطَع أَرْزَاقهم ، فَإنَّهُمَا يُكْثِرَانِ لِمَنْ قَالَهُمَا الوُلُوج على الله عَزَّ وجَلَّ ، وأَنْهَاكَ عَن الشِّرْك والكِبْر ، فإنَّ الله مُحْتَجِبٌ عَنْهُمَا ، فقال له بعض أصحابه : أَمِن الكِبر أن يكون لى الدَّابَّةُ النَّجيبة ؟ قال : لا . قال : أَمِنَ الكِبْرِ أن يكون لى الثَّوب الحسن ، قال : لا ، قال : أفمن الكبر أن يكون لى الطعام أجمع عليه الناس ؟ قال : لا . إنما الكبر أن تسفه الحق ، وتغمص الخلق ، وإياك والكبرَ والزهوَ ، فإن الله – عز وجل – لايحبهما ، وبلغني عن بعض العلماء أنه قال : « يُحْشَرُ المتَكَبِّرُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ فِي صِوَرِ الذَرِّ تَطَؤُهُمْ النَّاس بتَكَبُّرِهِمْ عَلَى الله عَزَّ وَجَلَّ » .

خوف الله :

لا تأمن على شئ من أمرك مَن لايخاف الله ، فإنه بلغني عن عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – أنه قال : شَاوِرْ فى أمْرِك الذين يخافون الله ، احذر بطانة السوء ، وأهل الردى على نفسك ، فإنه بلغني عن النبي –

(١) استجرهم : أى استخدمهم واستعملهم .

صلى الله عليه وسلم ــ أنه قال : « مَا مِنْ نَبِيٍّ ولاخَلِيفَةٍ إلا ولَهُ بِطَانَتَان : بِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالمعْرُوفِ وتَنْهَاهُ عَنِ المُنْكَرِ ، وبِطَانَةٌ لاتَـأْلُوهُ خَبَالا ، وهُوَ مَعَ الَّتِي اسْتَوْلَتْ عَلَيهِ ، ومَنْ وُقِيَ بِطَانَةَ السُّوءِ فَقَدْ وُقِيَ » .

واستَبْطِنِ أهل التقوى من الناس ، وأكرم ضيفك فإنه يحق عليك إكرامه ، وارْعَ حق جارك ببذل المعروف ، وكف الأذى عنه ، فإنه بلغني عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنه قال : « مَنْ كانَ يُؤمِنُ بِاللهِ واليَوم الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ ، ومَنْ كانَ يُؤْمِنُ بالله واليَوم الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ » .

وتكلم بخير أو اسكت ، فإنه بلغني عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنه قال : « مَنْ كَانَ يُؤمِنُ باللهِ واليَوم الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْراً أَوْ لِيُمْسِكْ » .

واتق فضول المنطق ، فإنه بلغني عن ابن مسعود أنه قال : أنذركم فضول المنطق . وأكرم من وَادَّك ، وكافئه بمودَّته ، وإياك والغَضَب فى غير الله ، لاتأمر بخير إلا بدأت بفعله ، ولاتنه عن سوء إلا بدأت بتركه ، دع من الأمر مالا يعنيك ، فإنه بلغني عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنه قال : « مِنْ حُسْنِ إِسْلاَمِ المرْءِ تَرْكُهُ مالايَعْنِيه » .

صِلْ مَنْ قطعك ، واعف عمن ظلمك ، واعط من حرمك ، فإنه بلغني عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنه قال : « إنَّهَا أَفْضَلُ أَخْلاقِ الدُّنْيَا والآخِرَةِ » .

اتَّقِ كثرة الضَّحك ، فإنه يدعو إلى السفه ، فإنه بلغني عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ أن ضحكه كان تبسُّماً .

المزاح والكبر ومجالسة المتقين :

لاتمزح فتذم نفسك ، فإنه بلغني عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنه قال : « إنِّي لَأَمْزَحُ ولا أَقُولُ إلا حَقًّا » .

لاتخالف إلى مانهَيتَ عنه ، وإذا نَطَقتَ فأَوجِز ، فإنه بلغنى عن النبى – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : « وهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فى نَارِ جَهَنَّمَ إلاَّ هٰذَا » . يعنى لسانه .

لاتصعِّر خَدَّك للناس ، فإنه بلغنى عن النبى – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : « إنَّ أَهلَ الجَنَّةِ كُلُّ هَيِّنٍ لَيِّنٍ سَهْلٍ طَلْق » .

اترك من أعمال السِّرِّ مالا يحسن بك أن تعمله فى العلانية . اتق كل شىء تخاف فيه تهمة فى دينك ودنياك ، بلغنى عن النبى – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : « مَنْ كانَ يُؤمِنُ باللهِ واليَوم الآخِرِ فلا يَقِفْ مَوَاقِفَ التُّهَم » .

أقلل طلب الحوائج من الناس ، فإن فى ذلك غضاضة . وبلغنى عن النبى – صلى الله عليه وسلم – أنه قال لرجل : « لاتَسْأَل النَّاس . ولْيَكُنْ مَجْلِسكَ بَيتكَ أَوْ مَسْجدك » وبلغنى عن – النبى صلى الله عليه وسلم – أنه قال : « المسَاجِدُ بُيُوتُ المُتَّقِينَ » .

لاتكثر الشخوص من بيتك إلا فى أمر لابد منه . فإنه بلغنى عن النبى – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : « ستَّةُ مَجَالِس المُسْلِم ضَامِنٌ على على الله ما كانَ فى شَىء مِنْهُنَّ : فى سبِيلِ الله . أو فى بَيْتِ الله ، أو فى عِيَادَةِ مَرِيض ، أو شُهُودِ جَنَازَة أو جُمُعَةٍ ، أَوْ عِنْدَ إمَام مُقْسِطٍ يُعَزِّرُهُ ويُوَقِّرُهُ » .

أحسن خُلقك مع أهلك . ومَن اعتز بك . فان ذلك رضا لربك ، ومحبة فى أهلك . ومَثراة فى مالك ، ومنسأة فى أجلك .

فإنه بلغنى عن بعض العلماء من الصحابة أنه قال ذلك .

أحسن البشر إلى عامة الناس ، واتق شتمهم وغيبتهم فإن الله تعالى قال : (أيُحِبُّ أحَدُكُمْ أنْ يَأكُلَ لَحْمَ أخيهِ) (١) .وبلغنى عن النبى– صلى الله عليه وسلم – أنه قال : « لاتَشْتُمِ النَّاسَ » .

اتَّقِ أهل الفحش ، ومجالسة أهل الردىٰ ، ومحادثة الضعفة من الناس ، فإنه بلغنى عن ابن مسعود – رضى الله عنه – أنه قال : اعتبر الناس بأخدانهم فإنما يخادن الرجلُ الرجلَ مثله .

أكرم اليتيم ، وارحمه ، واعطف عليه ، فإنه بلغنى عن النبى – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : « مَنْ كفل يَتيماً لَهُ أوْ لِغَيْرِهِ كُنْتُ أنَا وَهُوَ فى الجَنَّةِ كَهَاتَينِ » . وأشار بأُصبعيه فضمهما .

اعرف لابن السبيل حقه ، واحفظ وصية الله تعالى فيه ، فإنه بلغنى أن أول من ضاف الضيف إبراهيم الخليل عليه السلام .

أعِن المظلوم ، وانصره ما استطعت ، وخذ على يد الظالم ، وادفعه عن ظلمه ، فإنه بلغنى عن النبى – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : « مَنْ مَشَىٰ مَعَ مَظْلُومٍ حَتَّى يُثْبِتَ لَهُ حَقَّه ،ثَبَّتَ الله قَدَمَهُ يَومَ تَزُولُ الأقْدَامُ » .

اتق اتباع الهوى فى ترك الحق ، فإنه بلغنى عن النَّبى – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : « إنِّى أخَافُ عَلَيكُم اثْنَتَين : اتِّبَاع الهَوَىٰ ، وطُول الأمَلِ » ،فإن اتباع الهوى يَصُدُّ عن الحق ،وطول الأمل ينسى الآخرة .

أنصف الناس من نفسك ولا تستطل عليهم ، فإنه بلغنى عن النبى – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : « أشْرَفُ الأعمال ثَلاثَةٌ : ذِكْرُ الله على كُلِّ حَال ، وَمُوَاسَاةُ الأخِ مِنَ المَال ، وإنْصَافُ النَّاس مِنْ نَفْسِك » .

اغضض بصرك عن محارم الله ، فإنه بلغنى عن علىٍّ – كرَّم الله

(١) الحجرات : ١٢

وجهه – أنه قال : لاتُتبع النظرة النظرة ، فإنما لك النظرة الأُولى ، وليست لك الأُخرى .

اتَّقِ المطعم الوَبِيَّ ، والمشرب الوبيّ ، والملبس الوبيّ ، فإن ذلك تذهب أُنفته (١) ، وتبقى عاقبته ، وإن الله سبحانه أدب رسله ، فقال : ﴿ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ واعْمَلُوا صالِحاً ﴾(٢).وقال النبي عليه الصلاة والسلام : « مَنْ أَكَلَ بِأَخِيهِ المُسْلِمِ أَكلَة ، أَطْعَمَهُ الله مَكَانَهَا أَكلَة مِنْ نَارٍ ، ومَنْ سَمَّعَ بِأَخِيهِ المُسْلِمِ ، سَمَّعَ الله بِهِ يَومَ ٱلْقِيَامَةِ ، ومَنْ لَبِسَ بأَخيه المُسْلِمِ ثَوْباً ، أَلْبَسَهُ الله مَكَانَهُ ثَوْباً مِنْ نَارٍ » .

اقبل عذر من اعتذر إليك ، وارجع عما كرهت ، فإنه بلغني عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال :« مَنِ اعْتَذَرَ إلى أَخِيهِ المُسْلِمِ فَلَم يَعْذِرْهُ كانَ عَلَيهِ مِثلُ وِزْرِ صاحِب مَكْس » .

لِتكن يدك العليا على كل من خالطت ، فإنه بلغني عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : « اليَدُ العُلْيَا خيرٌ مِنَ اليَد السُّفْلى » .

اصحب الأخيار فإنهم يعينونك على أمر الله عز وجل ، فإنه بلغني

اصحب الأخيار فإنهم يعينونك على أمر الله عز وجل ، فإنه بلغني عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : « ما تَحَابَّ رَجُلانِ في الله إلا كانَ أَفضَلهُمَا أَشَدَّهُمَا حُبًّا لِصَاحِبِه » .

صِل رحمك وإن قطعك ، ولا تكافئه بمثل ما أتى إليك ، فإنه بلغني عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أن رجلا قال له : « إنَّ لي أقرباء ، أَعْفُو ويَظْلِمُونى ، وأَصِلُ ويَقْطَعُونى ، وأُحْسِنُ ويُسِيئُون ، أَفَاكافِئُهُم ؟ »

---

(١) أنف الشيء وأنفته : ابتداؤه وأوله . (٢) المؤمنون : ٥١

فقال صلى الله عليه وسلم : « إذن تُتركُوا جَمِيعاً ، ولٰكِنْ إذا أسَاءوا فأَحْسِنْ . فإِنَّهُ لَنْ يَزَالَ لكَ عَلَيهم مِنَ الله ظَهِيرٌ » .

ارحم المسكين المضطر . والغريب المحتاج . وأَعِنْهُ على ما استطعت من أمره . فإنه بلغني عن ابن عباس أنه قال :« كل معروف صدقة » .

ارحم السائل . وارdده من بابك بفضل معروفك : بالبذل منك ، أو قول معروف تقوله له . فإنه بلغني عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : « رُدَّ عَنْكَ مَذَمَّةَ السَّائِلِ بِمِثْلِ رَأس الطَّيْرِ مِنَ الطَّعَام » .

فعل المعروف :

لا تزهد فى المعروف عند من تعرفه . وعند من لا تعرفه ، فإنه بلغنى عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : « لا تَزْهَدْ فى المعْرُوف ولَوْ أنْ تَصُبَّ مِنْ دَلْوِكَ فى إنَاءِ المُسْتَقِى » .

أَرِدْ بِكُلِّ ما يكون منك من خير إلى أحد الله . فإنه بلغنى عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أن قوله عزَّ وجلَّ : (فَوَيْلٌ لِلمُصَلِّينَ. الَّذِينَ هُمْ)(١)... الآية . قال : المُنافق الَّذى إنْ صَلى رَاءى . وإنْ فَاتَتْهُ لم يَبْلُغ إلَيهَا (ويمْنَعُونَ المَاعُونَ)(٢) قال : المَاعُونُ :الزَّكاةُ الَّتِى فَرَضَهَا اللهُ عزَّ وجَلَّ .

إياك والرِّياء . فإنه بلغنى أنهُ لا يصعد عمل المرائى إلى الله عزَّ وجل . ولا يزكيه عنده . إن استطعت أن تعمل بعمل ما عملت فيما بينك وبين الله فافعل . فإنه بلغنى عن النبي – صلى الله عليه وسلم –

---

(١) الماعون : ٤ ، ٥ (٢) الماعون : ٧

أنه قال : « نَضَّرَ اللهُ امْرَءاً سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعاهَا حتَّى يُبَلِّغَهَا غَيْرَهُ ، فَرُبَّ غَائِبٍ أَحْفَظ مِنْ شَاهِدٍ ، ورُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ غَيْرُ فَقِيه » .

لا يغفل قلب امرىء مسلم عن ثلاث خصال : إخلاص العمل لله ، والنصيحة للإمام العادل ، والنصيحة لعامة المسلمين ، فإن دعوتهم تحيط من ورائهم .

إياك وسوء الخلق ، فإنه يدعو إلى معاصى الله تعالى ، وقد بلغنى عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : « خِيَارُكُم أَحْسَنُكم أَخْلاقاً» .

اخضع لله إذا خلوت بعملك ، فإنه بلغنى عن النبي – صلى الله عليه وسلم : « أَنَّ مَلَكاً أَتاهُ فَقَالَ : إنَّ رَبَّكَ يُقْرِئكَ السَّلام ويَقُولُ : إنْ شِئْتَ أَجْعَلكَ مَلكاً نَبِيًّا أَوْ عَبْداً نَبِيًّا . فأَشارَ إليهِ جِبْرِيلُ عَليهِ السلام أَنْ تَوَاضَعْ ، فَمَا أَكَلَ مُتَّكِئاً حَتَّىٰ ماتَ » .

الظلم :

لا تظلم الناس فيديلهم الله عليك ، فإنه بلغنى عن بعض العلماء من الصحابة أنه قال : ما ظلمت أحداً أشد عليَّ ظلماً من أحد لايستعين عليَّ إلا بالله تعالى .

احذر البغى فإنه عاجل العقوبة ، بلغنى عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : « إنَّ أَعْجَلَ الخَيْرِ ثَوَاباً صِلَةُ الرَّحِمِ ، وإنَّ أَعْجَلَ الشَّرِّ عُقُوبَةً اليَمِينُ الغَمُوسُ تَتْرُكُ الدِّيارَ بَلاقِعَ » .

الحلف بغير الله :

لا تحلف بغير الله فى شىء ، فإنه بلغنى عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : « لا تَحْلِفُوا بِآبائِكُم . لِيَحْلِف حَالِفٌ باللهِ أَوْ

لِيَسْكُتْ » . ولا تحلف بالله فى كل شىء فإنه بلغنى أن ذلك قوله تعالى: (ولا تَجْعَلُوا الله عُرْضَةً لأَيْمَانِكُم) (١) .

ارحم الناس يرحمك الله . بلغنى عن النبى – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : « مَنْ لا يَرْحَم النَّاسَ لا يَرْحَمُهُ الله » .

أحبب طاعة الله يُحبك الله ، ويُحَبِّبْكَ إلى خلقه ، قال عز وجل لنبيِّه :(قُلْ إنْ كُنْتُم تُحبُّونَ الله فَاتَّبِعُونى يُحْبِبْكُم الله) (٢) . وقال عليه الصلاة والسلام : « إنَّ الله جَعَلَ قُرَّةَ عَيْنِى فى السُّجُودِ » . وقال بعض العلماء : ما أسرَّ عبد قط سريرة خير إلا ألبسه الله رداءها ، ولا أسرَّ سريرة شر قط إلا ألبسه الله رداءها .

وليكن عليك السكينة والوقار فى منطقك ومجلسك ومركبك ، فإنه بلغنى عن النبى – صلى الله عليه وسلم – أنه قال – والناس يزحفون حوله – : « عَلَيكُم بِالسَّكِينَةِ » .

أعط دابتك إذا ركبتها حظها من الأرض . وحظها من المقصد عليها ، بلغنى عن النبى – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : « إذا رَكِبْتُم هٰذِهِ الدَّوابَّ العُجمَ فاعْطُوها حَظَّهَا مِنَ الأَرْضِ » .

عليك بالحلم والإغضاء عما كرهت ، ولا تتبع ذلك من أحد بلغك عنه أذى ، ولا تكافئه فإن فى ذلك الفضل فى الدنيا والآخرة ، بلغنى عن النبى – صلى الله عليه وسلم – أنه قال :« إنَّ الله يُحِبُّ الحَلِيم – الحَيَّ العَفِيفَ المُتَعَفِّفَ » .

---

(١) البقرة : ٢٢٤ (٢) آل عمران : ٣١

ادفع السَّيئَة بالتي هي أحسن ، بلغنى عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : « أيُّهَا السُّلَمِىُّ اتّقِ العُقوق وقطيعةَ الرَّحم . فإن فى ذلك شيناً فى الدُّنيا وتَبَاعُداً فى الآخِرَة » .

وبلغنى عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : « اشْتَكَتِ الرَّحم إلى الله عزَّ وجلَّ مِمَّن يَقْطَعهَا ، فرَدَّ اللهُ عليها : أمَا تَرْضَيْن أنْ أصِلَ مَنْ وَصَلَكِ ، وأقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ » .

كظم الغيظ :

إذا غضبت من شيء من أمر الله فاذكر ثواب الله على كظم الغيظ ، قال عز وجل : (والكَاظِمِينَ الغَيظَ والعَافِين عَنِ النَّاس) (١) الآية .

وبلغنى عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : « ما امْتَلأ رَجُلٌ غَيظاً فَكَظَمَهُ لله إلا مَلأهُ اللهُ رضْوَاناً يومَ ٱلقِيَامَةِ » .

إذا وعدت موعداً فى طاعة الله فلا تُخلفه ، وإذا قلت قولا فيه رضا الله فأوف به ودم عليه ، بلغنى عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : « مَنْ تَكَفَّلَ بِستٍّ أتَكَفَّلْ لَهُ بالجَنَّة : إذا حَدَّثَ لَمْ يَكْذِبْ ، وإذَا وَعَدَ لَمْ يُخْلِفْ ، وإذَا ائتُمِنَ لَمْ يَخُنْ ، وغَضَّ بَصَرَهُ ، وحَفِظَ فَرْجَهُ ، وكَفَّ يَدَهُ » .

نذر المعصية :

إذا حلفت على يمين ليست من طاعة الله فلا تهمنَّ بها وكفِّرها ، فإنه بلغنى عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : « لانَذرَ فى مَعْصيةِ

---

(١) آل عمران : ١٣٤ .

الله وكفّارتُها كَفّارَةُ يَمِينٍ والنَّذْرُ يَمِينٌ . وإذَا حَلفْتَ على يَمِينٍ ثمّ رَأَيْتَ غَيْرَها خيراً مِنْهَا فأْتِ الَّذِى هُوَ خَيرٌ وكَفِّرْ عَنْ يَمِينِكَ » . فإنه بلغنى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنهُ قال ذلك .

إياك والتزّيد فى القول ، وأن تقول قولا وأنت تعلم أنه لم يكن ، فإنه بلغنى عن النبى – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : « ثَلاَثَة لايَنْظُرُ اللهُ إلَيهم يَوْمَ القِيَامَةِ ، الإمَامُ الكَذَّابُ ، والعَائِلُ المَزْهُوُّ ، والشّيخُ الزّانى » .

بر الوالدين :

برّ والديك وخُصّهما منك بالدعاء فى كل صلاة ، وأكثر لهما الاستغفار ، وابدأ بنفسك قبلهما ، فإن إبراهيم – عليه السلام – قال (رَبِّ اغْفِرْ لِى ولِوَالِدَىَّ) (١).فبدأ بنفسه قبل والديه .وبلغنى عن النبى– صلى الله عليه وسلم – أنهُ قال : « مَنْ سَرَّهُ أنْ يُنْسَأَ لَهُ فى عُمرِهِ ، ويُزَادَ فى رزْقِهِ ، فَلْيَتَّقِ الله رَبَّهُ ، ولْيَصِلْ رَحِمَهُ » .

اشكر الناس ما أتوا إليك من خيرهم ، وكافئهم إن قدرت عليه ، فإنه بلغنى عن النبى – صلى الله عليه وسلم – أنهُ قال : « مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكرِ الله » .

إذا ركبت دابة فوضعت رجلك فى الركاب ،فقل : بسم الله ، وإذا استَويت راكباً فقل : (سُبْحَانَ الَّذِى سَخَّرَ لَنَا هٰذَا ومَا كُنَّا لَهُ

---

(١) نوح : ٢٨

مُقْرِنينَ »(١)الآية . فإنه بلغنى عن النبى–صلى الله عليه وسلم – أنه كان يقول ذلك كلما ركب دابة .

آداب الأكل :

إذا أكلت وشربت فاذكر اسم الله ، فإن نسيت فى أول حالك فاذكره إذا ذكرت ، بلغنى عن ابن مسعود – رضى الله عنه – أنه قال : تذكر اسم الله حين تذكر ، فإنه يحول بين الخَبِيث ، وبَيْنَ أن يأكل معك ويتقيَّأ ما أكل ، فإذا فرغت فقل : الحمد لله الَّذى أطْعَمَنَا وسَقَانَا وجَعَلَنَا مُسْلِمين ، فإنه بلغنى عن النبى – صلى الله عليه وسلم – أنه كان يقول ذلك إذا أكل وشرب ، وإذا أكلت ومعك آخر فَكُلْ مما يليك بيمينك ، ولا تأكل من فوق الطعام ولا من بين يدى أحد ، فإنه بلغنى عن النبى – صلى الله عليه وسلم –أنه قال لرجل يفعله : « اذْكُر اسْمَ الله ، وكُلْ مِمَّا يَليكَ » وكُلْ بِيَمِينِكَ ولا تأكُلْ بِشِمَالِكَ ، ولا تَشْرَبْ بِشِمَالكَ . وبلغنى عن النبى – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : « إنَّهَا إكْلَةُ الشَّيطَان »

لاتسافر ما استطعت إلا فى يوم الخميس ، فإنه بلغنى عن النبى – صلى الله عليه وسلم – أنه كان يستحب أن يسافر يوم الخميس لايسافر إلا فيه .

إذا أصابك كرب فقل : ياحىُّ ياقيوم برحمتك أستَغيث ، فإنه بلغنىعن النبى – صلى الله عليه وسلم –أنه كان يقول ذلك عند الكرب.

الحذر من النميمة :

احترس ممن يقرب إليك بالنميمة ، ويبلغ الكلام عن الناس . بلغنى عن النبى – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : « مَلْعُونٌ مَنْ لَعَنَ أبَاهُ ،

مَلْعُونٌ مَنْ لَعَنَ أُمَّهُ ، مَلْعُونٌ مَنْ غَيَّرَ تُخُومَ الأَرْضِ ، مَلْعُونٌ كُلُّ صَقَّارٍ » وهو النمام .

لاتجرّ ثيابك فإن الله لايحب ذلك ، وبلغنى عن النبى –صلى الله عليه وسلم –أنه قال : « مَنْ جَرَّ ثِيَابَهُ خُيَلاءَ لَمْ يَنْظُرِ اللهُ إليه يومَ القِيَامَةِ » .

أطع الله فى معصية النّاس ، ولاتطع النّاس فى معصية الله ، بلغنى عن النبى – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : « لاطَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فى مَعْصِيَةِ الخالِق » .

إذا أصابك حزن أو سقم أو ذلة أو لأواء – يعنى الجوع – فقل : الله ربى لا أشرك به شيئاً : ثلاث مرات ، بلغنى عن النبى – صلى الله عليه وسلم – أنه كان يأمر بذلك من أصابه شىءٌ من ذلك .

الصبر على المصائب :

اصبر على ما أصابك من فجائع الدنيا وأحزانها لقول الله تعالى : (إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ)(١) .والصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد .

لاتُمَارِينَّ أحداً وإنْ كُنتَ مُحقًّا ، بلغنى أن قول الله عز وجل : (فَلاَ رَفَثَ ولا فُسُوقَ ولا جِدَالَ فى الحَجِّ) (٢) أنّه المِرَاء .

إذا هممت بأمر من أمور الدنيا ففكر فى عاقبته ، بلغنى عن النبى – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : « إِذَا هَمَمْتَ بِأَمْرٍ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا فَفَكِّرْ فى عَاقِبَتِهِ ، فإن كَانَ رُشْداً فَامْضِه ، وإنْ كانَ غَيًّا فانْتَهِ عنْهُ »

(١) الزمر : ١٠ — (٢) البقرة :١٩٧

الحياء :

إيَّاك والتجريد خالياً،فإنه ينبغى لك أن تستحيى من الله إذا خلوت ، فإنه بلغنى عن النبى – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : « لاأُحِبُّ أن يَلِيَ لى شَيئاً مَنْ لايستَحِيي مِنَ اللهِ فى الخَلاء » . وإياك أن تدخل الحمام والماء إلا بإزار ، ولايدخل معك أحد الحمام إلا بإزار ولن تقدر على ذلك ، فإن لم تقدر ، فغض طرفك عن كل أحد كان مكشوفاً ، بلغنى عن النبى – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : « لايَحِلُّ لامْرِىءٍ يُؤمِنُ باللهِ واليَوم الآخرِ أن يَدْخُلَ الحَمَّام إلا بِإزَار » .

أفشِ السلام ، وإن استطعت أن لايسبقك أحد إليه فافعل ، تعط بذلك فضلا عن الناس ، وبلغنى عن ابن مسعود أنه قال : السلام اسم من أسماء الله ، وضعه فيكم فافشوه فيكم ، فإن الرجل إذا سلَّم كتب له عشر حسنات .

تأديب الأولاد :

أدِّب ولدك ، ومن وليت أمره على خُلُقك وأدبك ، حتى يتأدَّبوا على ما أنت عليه ، فيكونوا لك عوناً على طاعة الله . بلغنى عن ابن مسعود –رضى الله عنه–أنه قال : كل مؤدب يحب أن يؤخذ بأدبه ، وإن أدب الله هو القرآن .

وإذا استشارك أحد فإن شئت تكلمت ، وإن شئت سكَتَّ ، واجتهد رأيك فإنه بلغنى عن النبى – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : «المُسْتَشَارُ بالخِيَارِ إنْ شَاءَ تَكَلَّم وإنْ شاءَ سَكَتَ » .

لاتفش على أحد سرًّا أفشاه إليكَ ، فإنما هى أمانة اسْتَودَعْكَهَا ، وائتَمَنك عليها إلا أن يكون إفشاؤُه خيراً له فى دنياه وآخرته ، فافشها عليه وانصحه فيها ، بلغنى عن النبى – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : « مِنْ حَقِّ المُسْلم على المُسْلم إذا اسْتَنْصَحَهُ أنْ يَنْصَحهُ » .

إذا تعلمت علماً من طاعة الله فَلْيُرَ عليك أثره ، ولْيُرَ فِيكَ سمته ، وتعلَّم للذى تعمله ، وتعلَّم له السكينة والحلم والوقار ، بلغنى عن النبى – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : « العُلَمَاءُ وَرَثَةُ الأنْبِيَاء » .

ردُّ جواب الكتاب إلى كل أحد كتب إليك ، فإنما هو كرد السلام قال عزوجل :(وإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوها) (١) . وقال ابن عباس – رضى الله عنه – :

أرىٰ رَجْعَ الكِتَاب عَلَيَّ حَقًّا   كما أنى أرَىٰ رجْع السَّلام

الْزم الحياء فإنه خُلُقُ الإسلام ، وفيه قال صلى الله عليه وسلم : « لِكُلِّ شَىء خُلُقٌ ، وخُلُقُ الإسْلام الحَيَاءُ » .

إذا سافرت فقل : « اللَّهُم إنِّى أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاء السَّفَرِ ، وكآبة المُنْقَلَبِ ، ودَعْوَة المَظْلُوم ،وسُوء المَنْظَرِ فى الأَهْلِ والمالِ ،والحَوْرِ بَعْدَ الكَوْرِ » . بلغنى عن النبى – صلى الله عليه وسلم – أنه كان يقول ذلك إذا سافر .

إياك وظلم الضعيف ، ومن لايستعين عليك إلا بالله ، لقول النبى – صلى الله عليه وسلم – : « ثلاثَةٌ لاتُرَدُّ دَعْوَتهُمْ : الإمَامُ العَادِلُ ، والصَّائِمُ

(١) النساء : ٨٦

حَتَّىٰ يُفْطِرَ ، ودَعْوَةُ ٱلمظْلُوم فإنَّهَا تَصْعَدُ فَوْقَ الغَمَام ، فَيَقُولُ اللهُ لَهَا : وَعِزَّتِي وجَلالِي لأَنْصُرَنَّكِ ولَو بَعْدَ حِينٍ » .

دعاء السفر :

إذا ودَّعْتَ مُسَافِراً فَقل : « زَوَّدَكَ الله التَّقْوَىٰ ، وغَفَرَ لَكَ ذَنبكَ ، ويَسَّرَ لَكَ الخَيْرَ حَيْثُمَا كُنْتَ ، أَسْتَودِعُ الله دِينَكَ وأَمَانَتكَ وخَوَاتِيم عَمَلكَ » . لأن صلى الله عليه وسلم كان يأمر أصحابه بها .

إذا حضرت أمراً ليس لله بطاعة ، ولا تقدر على أن تدفعه ، فقم عنه ولاتقعد . لقول النبي – عليه الصلاة والسلام – « لايَمْنَعَنَّ أَحَدَكُمْ مَخَافَةُ النَّاسِ أَنْ يَقُولَ الحَقَّ إِذَا شَهِدَهُ أَوْ عَلِمَهُ » .

آداب عامة :

الزم السواك فإنه سنة ، بلغني عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : « السِّوَاكُ مِنْ سُنَنِ المُرْسَلِينَ » .

افش الصدقة فإنها تدفع ميتة السوء ، وليكن ذلك من أطيب مالك ، فإن الله تعالى لايقبل إلا الطيب ، بلغني عنه – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : « إنَّ أَحَدَكُمْ لَيَتَصَدَّقُ بِالتَّمْرَةِ إِذَا كَانَتْ مِنْ طَيِّبٍ ولا يَقْبَلُ اللهُ إلا الطَّيِّبَ فَيَجْعَلُهَا فى كفِّهِ ، فَيُرَبِّيهَا لَهُ كما يُرَبِّى أَحَدُكُم فُلُوَّهُ أو فَصِيلَهُ ، حَتَّىٰ تَكُونَ فى يَدِهِ مِثْلَ الجَبَل » .

إذا نزلت بك كربة من كرب الدنيا ، فليكن مفزعك فيها إلى الله – عز وجل – حين تنزل بك ، بلغني عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه

قال : « لَنْ يَنْزِلَ بِعَبْدٍ قَطُّ أَمْرٌ كانَ مَفْزَعُهُ فِيهِ إلى اللهِ إلا فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ » .

لاتضطجع على بطنك إذا نمت ، ولا فى غير نومك ، لما بلغنى عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : « إِنَّهَا لَضِجْعَةٌ يُبْغِضهَا اللهُ » .

أوف بالعهد إذا أعطيته من نفسك لكل أحد ، لقول النبى–صلى الله عليه وسلم – : « أَحَقُّ مَا وُفِّيَ بِهِ عَهْدُ الله » .

إذا حضرت السلطان فاشفع بخير ، وإياك والكلام عنده إلا بما يرضى الله ، لقول النبي – صلى الله عليه وسلم – : « إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ من سخَطِ الله ، ما يَظُنُّ أَنَّهَا تَبْلُغُ مَابَلَغَتْ يُكْتَبُ لَهُ بِهَا سُخْطُهُ إلى يَوْمِ القِيَامَةِ ، وإِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ الله ، مَايَظُنُّ أَنَّهَا تَبْلُغُ مابَلَغَتْ ، يُكْتَبُ لَهُ بِهَا رِضْوَانُهُ إلى يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ » .

أَرِدْ ما أردت به الله ما استطعت ، بلغنى عن النبى – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : « صَدَقَة السِّرِّ تُطْفِيءُ غَضَبَ الربِّ » .

اتَّقِ كثرة التزكية لنفسك ، أو ترضى بها من أحد يقولها لك فى وجهك ، بلغنى أن رجلا امتدح رجلا عند النبى – صلى الله عليه وسلم – فقال : « وَيْحَكَ قَطَعْتَ عَنُقَهُ . ولَوْ سَمِعَهَا ما أَفْلَحَ أَبَداً » .

إياك ومدح الناس والثناء عليهم فى وجوههم ، لقول النبى – عليه الصلاة والسلام – : « احْثُوا التُّرَابَ فى وُجُوهِ المدَّاحِينَ » .

طهِّر ثيابك ونقِّها من معاصى الله تعالى ، فإنه بلغنى أن قوله تعالى : (وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ) (١) ؛ يأمره أن لا يلبسها على غدرة .

واكره لكل أحد ما تكرهه لنفسك ، بلغنى عن النبى – صلى الله عليه وسلم – أنهُ بايع جريراً البَجَلى على الإسلام ، والنصيحة لكل مسلم .

إياك والحسد والشَّرَه فهما خُلُقان مُرديان لصاحبهما فى الدنيا والآخرة ، وقال صلى الله عليه وسلم فيهما : « لاحَسَدَ إلا فى اثْنَتَيْنِ : رَجُلٍ آتَاهُ اللهُ مالاً وسَلَّطَهُ على إنْفَاقِهِ فى الحَقِّ ، ورَجُل آتاهُ اللهُ حِكْمَةً فَهُوَ يَقْضِى بِهَا ويُعَلِّمُهَا » .

اقتد فى أمورك برأى ذوى الإنصاف من أهل التقوى ، بلغنى عن النبى – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : « خِيَارُكُمْ شُبَّانُكُم ألمتَشَبِّهُونَ بشُيُوخِكُم ، وشِرَارُكُم شُيُوخُكُم المتَشَبِّهُون بِشُبَّانِكُم » .

لا تحتكر أحداً ، ولا تجالس مأفُوناً ، فإن الوحدة خير من جليس السوء .

عليك بمعالى الأخلاق وكريمها ، واتق رذائلها وما سَفْسَف منها ، بلغنى عن النبى – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : « إنَّ اللهَ يُحِبُّ مَعَالِىَ الأَخْلاق ويَكْرَهُ سَفْسَافَهَا » .

إذا رأيت من فُضِّلت عليه فى دينك ودنياك ، فأكثر حمدا لله عليه ، فإن ذلك من الشكر ، بلغنى عنه – عليه الصلاة والسلام – أنه قال : « ما

---

(١) المدثر : ٤

أَنْعَمَ اللهُ على عَبْدٍ بِنِعْمَةٍ فَقَالَ : الحَمْدُ لله إلا كَانَ ذَلِكَ أَعْظَمَ مِنْ تِلْكَ النِّعْمَةِ وإِنْ عَظُمَتْ » .

لاتركب الميثرة الحمراء ، ولا تلبس المُعَصْفَر ، فقد نهى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عن ذلك .

إذا غضبت وأنت قائم فاقعد ، وإن كنت قاعداً فاضطجع ، لقول النبي – صلى الله عليه وسلم – : « لاتَتَطَيَّرَنَّ من شَيء تَرَاهُ أَوْ تَسْمَعُهُ ، وإِذَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ شَيءٌ فَقُل : اللَّهُمَّ لايأْتِي بالخَيرِ إلا أَنْتَ ، ولايَدْفَعُ السُّوءَ إلا أَنْتَ ، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلا بالله » . فقد علمت أن النبي – صلى الله عليه وسلم – كان يأمر بذلك لمن رأى من ذلك شيئاً .

لاتتوضأ بشيء مما تأكل من الطعام ، ولا تَدلك به فى الحمام ، فإن ذلك من الجفاء .

لاتتخلقن بالخلوق إلا أن يكون فى أثر النَوْرَةِ ليذهب ريحها ، فقد بلغنى عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : « « بَيْنَمَا رَجلٌ فى بُرْدَتَينِ لَهُ مُتَخَلِّقٌ يَتَبَخْتَرُ فيهِمَا ، إِذْ سَاخَتْ بِهِ الأَرْضُ ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِيهَا إِلى يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ » .

لاتغيرن أظفارك بالحناء ولايديك إذا دخلت الحمام ، فإنه ليس من سيماء أهل الفضل .

ولا تحلف بالطلاق ولا بالعَتَاق ، فإنها من أَيْمَانِ الفُسَّاق . بلغنى عن عمر – رضى الله عنه – أنه قال : أَرْبَعٌ جائزَة إذا تكلم بهن : الطلاق والعتاق والنكاح والنذر ، وأربعة يُمْسُون والله عليهم ساخط ، ويصبحون

والله عليهم غضبان : المتشبهون من الرجال بالنساء ، والمتشبهات من النساء بالرجال ، ومن أتىٰ بهيمة ، أو عَمِلَ عمل قوم لوط .

لاتتطيين بشىء من الطيب يظهر لونُه ، فإن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال : « طِيبُ الرِّجالِ مَابَطَنَ لَونُهُ وظَهَرَ رِيحُهُ ، وطِيبُ النِّسَاء ما ظَهَرَ لَونُهُ وبَطَنَ رِيحُهُ » .

الزم الرأى الحسن ، والهَدْى الحسن ، والاقتصاد ، بلغنى عن ابن عباس – رضى الله عنه – أنه قال : الرأىُ الحسن جزءٌ من خمسة وعشرين جزءاً من النبوة .

إن استطعت أن لاتدع العمامة والبرد فى العيدين والجمعة فافعل . لما علمت من أمر النبى – عليه الصلاة والسلام – أنه كان يلبس العمامة والبرد فى العيدين والجمعة ، وقال : « إنَّ الله تَعَالىٰ أَعَزَّ الإِسْلَامَ بِالعَمَائِمِ والأَلْوِيَةِ » .

إذا طلاك أحد بالنورة ، فبلغ المراقَّ(١) فلايَلِ ذلك منك إلا نفسك ، ومن يحسن ذلك من نسائك ، فإنه بلغنى عن بعض العلماء أنهُ كان يلى ذلك من نفسه .

لا بأس أن تغتسل بماء الحمام وأنت جنب وتصلى ، لقول ابن عباس – وقد سُئِلَ عن الجنب يغتسل فى الحمام – إن الماء لايجنب ، وإذا تنخمت فى المسجد فادفنه ، فعن بعض العلماء أنه قال : هى خطيئة ، وكفارتها دفنها .

(١) المرق : مارق من البطن ولان .

دعاء النوم :

إذا نمت فقل عند منامك : « اللَّهم أَنْتَ القَائِمُ الدَّائِمُ لاتَزُولُ ، خَلَقْتَ كُلَّ شَيء لاشَرِيكَ لَكَ ، عَلِمْتَ كُلَّ شيء بِغَيرِ تَعْلِيم ، اغْفِرْ لى إِنَّهُ لايَغْفِرُ الذُّنُوب إلا أَنْتَ » .

بلغنى عن النبى – صلى الله عليه وسلم – أنهُ قال : أَلا قُلْتُم كَمَا قَالَ عَلِىّ بن أَبِى طَالِب – رَضِىَ الله عَنهُ – وهو الذى قال ماتَقَدَّم .

آداب قضاء الحاجة :

إذا أتيت الحاجة فلا تستقبل القبلة بفرجك ولا تستدبرها ، ولاتستنج بيمينك ، بلغنى عن النبى – صلى الله عليه وسلم – « أَنَّهُ كَانَ يَأْمُر أصحابه أَنْ لايَسْتَقْبِلُوا ٱلْقِبْلَةَ ، ولايَسْتَنْجُوا بِأَيْمَانِهِم ، ولا يَسْتَنْجُوا بعَظْم ولا رَوْثٍ » .

إذا انصرفتَ من الصلاة ، فقل : « اللَّهُمَّ إِنِّى أَسْأَلُكَ مِنَ الخَيْرِ كُلِّهِ ماعَلِمْتُ مِنْهُ وما لَمْ أَعْلَم ، وأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ مَا عَلِمْتُ مِنْهُ ومَا لَمْ أَعْلَم ،اللَّهُمَّ إِنِّى أَسْأَلُكَ مِنَ الخَيْرِ ما سَأَلَكَ عِبَادُكَ الصَّالِحُونَ . وأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ ماعَاذَ مِنْهُ عِبَادُكَ الصَّالِحُونَ ، اللَّهُمَّ آتِنَا فى الدُّنْيَا حَسَنَةً وفى الآخِرَةِ حَسَنَةً ، وَقِنَا عَذَابِ النَّارِ » .

بلغنى عن ابن مسعود أنه قال : مادعا نبىٌّ مرسل ولاعبد صالح بشىء حسن إلا هو فيه ، يعنى فى هذا الدعاء .

لا تشتم عبداً لك ولا أَمَةً بزنى فإنه ، بلغنى عن النبى – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : « مَنْ قَذَفَ أَمَةً أَوْ حُرَّة أَو يَهُودِيَّةً أَو نَصْرَانِيَّةً فَلَم يُضْرَب فى الدُّنْيا ضُرِبَ يَومَ ٱلْقِيامة ثمانينَ جَلْدَة » .

من أدب السفر واللقاء :

إذا كنت مسافراً أو مقيماً ، فامسح – إن شئت – على خُفَّيك إن كنت مسافراً ثلاثة أيام ولياليهن ، وإن كنت مقيماً فيوماً وليلة ، بلغنى عن النبى – صلى الله عليه وسلم – أنه قال ذلك ، وقاله عمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب ، وابن عباس رضوان الله عليهم .

إذا صافحك أحد فلا تنزعن يدك عن يده ، حتى يكون هو الذى ينزع يده عن يدك ، بلغنى عن النبى – صلى الله عليه وسلم – : أنه لم يصافح أحداً فنزع يده حتى يكون هو الذى ينزع يده .

إذا أقبل عليك رجل بوجهه يحدثك ، فلا تصرف وجهك عنه ، حتى يكون هو الذى يصرف وجهه عنك ، وإذا جلست إلى جنب رجل ، أو جلس إلى جنبك رجل ، فلا تقومن من بين يديه ، ولاتجاوزن ركبتك ركبته ، بلغنى عن النبى صلى الله غليه وسلم أنه لم تتجاوز ركبته ركبة جليس له . وإذا أحسست من أمير ظلامة أو تغطرساً فقل : « الله أكْبَرُ ، الله أكْبَرُ ، اللهُ أكْبَرُ أعَزُّ مِنْ خَلْقِهِ جَمِيعاً . الله أكْبَرُ مِمَّا أخَافُ وأحْذَرُ ، وأعُوذُ بِالله المُمْسِكِ السَّمَاءَ أنْ تَقَعَ عَلَى الأرْضِ إلا بِإذْنِهِ مِن شَرِّ فُلان ، اللَّهُمَّ كُنْ لِى جاراً مِنْ فُلانٍ وجُنُودِهِ ، أنْ يَفْرُطَ عَلَىَّ أحَدٌ مِنْهُم أوْ أنْ يَطْغَى ، جَلَّ جَلالُكَ ، وعَزَّ جَارُكَ ، ولا إلهَ غَيْرُكَ » . تقول ذلك ثلاث مرات .

بلغنى عن ابن عباس أنه قال ذلك وأمرنا به .

وإذا كتبت إلى أحد من غير أهل الإسلام ، فلاتكتبن سلام الله

عليك ، ولكن اكتب السَّلامُ عَلى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَىٰ ، بلغنى عن النبى – صلى الله عليه وسلم – أنه كتب ذلك إلى مُسَيلمة .

إذا عَطَسْتَ فى الخَلاء ، فاذكر اسم الله خفياً . لاتدهن فى مُدْهُن ذهب ولا فضة ، ولاتستجمر فى مجامر الذهب والفضّة ، بلغنى عن النبى – صلى الله عليه وسلم –أنه نهى عن الشرب فى إناء الذهب والفضّة.

لاتنم على الحرير والديباج فإنه لِبسَة النساء ، بلغنى عن النبى – صلى الله عليه وسلم – أنهُ نهى عن لبس الحرير والديباج إلا للنساء .

إذا رأيت أمراً فى أهلك وخاصتك مما ينبغى تغييره ، فلا تحابِيَنّ منهم أحداً ، وقم فيه بالذى يحق عليك ، بلغنى عن النبى – صلى الله عليه وسلم أنه قال : « انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِماً أَوْ مَظْلُوماً » .

إذا هممت بأمر من طاعة الله – عز وجل – فلا تحبسه إن استطعت فواقاً حتى تمضيَهُ ، فإنك لا تأمن الأحداث ، وإذا هممت بأمر غير ذلك ، فإن استطعت أن لاتمضيه فواقاً فافعل ، لعل الله تعالى يحدث لك تركه .

لاتستحى إذا دُعيت لأمر ليس بحق أن تقول : لا . فإن الله تعالى يقول : (واللهُ لايَسْتَحِيِي مِنَ الحَقِّ) (١) .

إذا سمعت المؤذن يؤذن ، فقل كما يقول ، إلا أنك تقول إذا قال : حيَّ على الصلاة ، حيَّ على الفلاح : لاحول ولا قوة إلا بالله ، بلغنى ذلك عن النبى – صلى الله عليه وسلم .

---

(١) الأحزاب : ٥٣

لاتخلون بامرأة ليست لك بمحرم ، بلغنى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال : ماخلا رجل بامرأة ليست له بمحرم إلا كان ثالثهما الشيطان .

إذا قال الإمام آمين ، فقل : آمين ، فإنه ينبغى إذا فرغ من أمّ القرآن أن يقول آمين ، ويقوله من خلفه سرًّا ولا يجهر به ، بلغنى عن النبى – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : « إِذَا أَمَّنَ الإِمَامُ فَأَمِّنُوا فَإِنَّ الملائكَةَ تُؤَمِّنُ لِتَأْمِينِ الإِمَام ، فَمَنْ وَافَقَ مِنْكُم تَأْمِينَ الملائِكَةِ غُفِرَ لَهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ » .

إذا قضيت الحاجة فلا تبدأ بشىء حتى تغسل فرجك بالماء ، بلغنى عن النبى – صلى الله عليه وسلم – أنه قال لأهل مسجد قباء : إنَّما نزلَتْ هذه الآية فيكم :(فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا واللهُ يُحِبُّ الْمطَّهِّرِينَ)(١) فأَنْبِئُونى ماهٰذَا التَّطْهِيرُ الَّذِى ذُكِرْتُم بِهِ فاثْبُتُوا عَلَيه ، قالوا : والذى بَعَثَكَ بالحَقِّ نَبِيًّا مَامِنَّا امْرَأَةٌ ولا رَجُلٌ يأْتِى الخَلاءَ فَيَبْدَأُ بِشَىءٍ دُونَ غَسْلِ فَرْجِهِ بالماء .

إذا أكلت طعاماً فَعَلِقَ بين أصابعك فالعقها ، وأسنانك فتخلل ، فإنه بلغنى عن النبى – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : « لَيْسَ شَىءٌ أَشَدَّ عَلَىٰ الْمَلَك مِنْ أَنْ يَرَىٰ فى الرَّجُلِ طَعَاماً وهُوَ يُصَلِّى » .

إذا نزلت منزلا فقل : أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ ماخَلَقَ ، بلغنى عن النبى – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : « مَنْ نَزَلَ مَنْزِلا فَقَالَ هٰذِهِ الكَلِمَاتِ ، وُقِىَ شَرَّ مَنْزِلِهِ حَتَّىٰ يَرْتَحِلَ مِنْهُ » .

---

(١) التوبة ١٠٨

لاتـأكل شيئاً من ثمن طعام لا يحل لك أكله ، ولا شيئاً من ثمن شراب لايحل لك شربه . قال النبى – صلى الله عليه وسلم – فى الخمر : « إنَّ الَّذى حَرَّمَ شُرْبَهَا حَرَّمَ ثَمَنَهَا » .

ولا تَدَّاوَ بشىء لايحل لك أكله ولاشربه ، ولاتبعْهُ ، ولاتشتره ، ولا تطعمه ، ولا تُطْعِمه أحداً ، ولا تسقِهِ ولاتُدَاوِ به أحداً صغيراً ، ولا كبيراً ، ولابهيمة ، ولا غيرها . بلغنى عن بعض علماء الصحابة أنه نُعِتَ لبعير له خمر فقال : لا والله لا أوجره خمراً .

لا تـأكل لحم شىء من السباع ، ولا ذا مخلب من الطير ، بلغنى أن النبى – صلى الله عليه وسلم – : « نَهَىٰ عَنْ أَكْلِ كُلِّ ذِى نَابٍ مِنَ السِّبَاعِ».

إذا فَزِعْتَ فى مَنَامك فقُل : « أَعُوذُ بكَلِمَات الله التَّامَّاتِ مِنْ غَضَبِهِ وعقَابهِ ، ومِنْ شَرِّ عِبَادِه ، وَمِنْ شَرِّ الشَّيَاطِينِ وأَنْ يَحْضرُونِ » .

بلغنى عن النبى – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : إذا فَزِعَ أَحَدُكُم فى مَنَامِهِ فَلْيَقُلْ ذٰلِكَ .

إذا قلت لأحد : أقسمت عليك لتفعلن ، فلم يفعل الذى أقسمت عليه أن يفعله ، وجب عليك الحنث ، وكفِّر عن يمينك ، وكذلك إن قلت له : أحلف عليك أو أشهد عليك لتفعلن فلم يفعل ، وجب عليك الحنث ، وكذلك إذا كُنتَ وَقَّتَّ له وقتاً معلوماً فتركه حتى جاوز الوقت.

لاتبدأنَّ أحداً من غير أهل الإسلام بالسلام ، لكن لو سَلَّم هو فقل : وعليكم ، بلغنى أن النبى – صلى الله عليه وسلم – أمر بذلك .

لابـأس أن تـأكل جُنُباً – وإن كنت لم تتوضأ – إذا غسلت يديك .

لاتقل لأحد صلى الله عليك ، بلغنى عن ابن عباس رضى الله عنهما إنه قال : لاتنبغى الصلاة من أحد لأحد إلاللنبى عليه السلام .

ولاتقل لأحد جعلنى الله فداءك ، قال الزبير ذلك للنبى – عليه الصلاة والسلام – وهو مريض ، فقال له – عليه السلام : « ماتركت اعرابيتك بعد » وبلغنى عن بعض العلماء أنه قال : لايفد أحد أحداً .

لابأس بمصافحة الجنب ومباشرته ، بلغنى عن ابن مسعود أنه قال : أربعة ليس عليهم جنابة : الأسنان والماءُ والثوب والأرض .

لابأس بمصافحة اليهودى والنصرانى والصلاة فى بيوتهم .

لاتبلغ بشىء من أدبك إذا أدبت ، وعاقبت أحداً على جُرْم اجترَمه أربعين سَوْطاً . قال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ بَلَغَ حَدًّا فى غَيْرِ حَدٍّ فَهُوَ مِنَ الْمُعْتَدِينَ » .

إذا أحببت أحداً لله فأعلمه ، ففى ذلك أن رَجلاً قال للنبى – صلى الله عليه وسلم –: « إنِّى أُحِبُّ فُلاناً لله ، قالَ : أَمَا أَخْبَرْتَهُ ؟ قالَ : لا ، قال : فَأَخْبِرْهُ ، فَلَمَّا أَخْبَرَهُ قَالَ : أَحَبَّكَ اللهُ الَّذِى أَحْبَبْتَنِى لَهُ » .

لاتشفع فيمن وجب عليه حَدٌّ من حدود الله إذا انتهى إلى الإمام ولا تحل دونه ، ولابأس أن تشفع قبل ذلك، قال ذلك بعض علماء الصحابة ، وتشفع فى سارق فقيل له : أتشفع فيه وأنت من الصحابة ؟ قال : لابأس به قبل أن يبلغ الإمام ، فاذا بلغه فلا عفا الله عنه إن هو عفا عنه .

الزم الصمت ، قال النبي – صلى الله عليه وسلم – : « لايَسْتَكْمِلُ الرَّجُلُ الإيْمَانَ حَتَّىٰ يَخْزُنَ لِسَانَهُ » . وإذا أتيت قرية أو بلداً فقل : « اللَّهُمَّ ارْزُقنا خَيرَهَا ، واصرف عَنَّا وَبَاءَهَا » كان النبي – صلى الله عليه وسلم – يقول ذلك إذا دنا من قرية .

إذا عطَستَ فقل : الحمد لله ، فإن قال قائل : يرحمك الله ، فقل : غفر الله لنا ولك . وإن عطس عندك مسلم ، فقال : الحمد لله ، فقل : يرحمك الله ، كان على – رضى الله عنه – يقولها لمن عطس ، ويقول ذلك : يَهْدِيكَ الله ويُصلحُ بالك ، وكان ابن مسعود يقول لمن عطس : يرحمنا الله وإياك ، ويقول ذلك : يغفر الله لنا ولك ، ولاتشمته حتى يحمد الله ، قال النبي – صلى الله عليه وسلم – : « مِنْ حَقِّ المُسْلِم إذا عَطَسَ أنْ يُشَمَّتَ إذا حَمَدَ الله » .

وقِّر الكَبير وارحم الصغير ، قال النبي – صلى الله عليه وسلم – : « لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا ويُوَقِّرْ كَبِيرَنا » .

لاتصافح امرأة ليست لك بزوجة ولا مِلك يمين ، ولا تضع يدها على شىء من جسدك ، ولا تضع يدك على شىء من جسدها ، ولاتقبل يدك ولاشيئاً من جسدك ، ولاتعانق رجلا ،ولا تقبل ليس بذى رحم لك ، واصنع ذلك بذى رحمك ، فقد ضم النبي – صلى الله عليه وسلم – جعفر ابن أبى طالب حين قدم من الحبشة إلى نفسه ، وقَبَّل بين عينيه .

لا ترفع صوتك فى مسجد جماعة ،ولا تشهر فيه سلاحاً ، فقد نهى النبي – صلى الله عليه وسلم – عنه .

إذا دعيت إلى تحمل شهادة فإنك مخير ، فإن شهدت فلا يسعك الامتناع إذا دعيت إلى الأداء .

لاتَمْنُنْ على أحد بإحسانك ، فإنه يبطل أجرك ، قال عز وجل : (لاتُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بالمنِّ والأَذَىٰ)(١).

مكافأة المعروف :

ومن أولاك معروفاً ، وعجزت عن مكافأته ، فاثن عليه واذكره به ، قال النبي – صلى الله عليه وسلم – : « مَنْ أُولِىَ مَعْرُوفاً فلم يقدر على مكافأته إلا بالثَّناء فقد شكره ، ومن كَتَمَهُ فَقَدْ كَفَرَهُ » .

إذا طعمت وعندك أحد فادعه ، قال النبي – صلى الله عليه وسلم – : « إنَّ فى الجَنَّةِ غُرَفاً يُرَىٰ ظَاهِرُها مِنْ باطِنِهَا ، وبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِها . قِيلَ : لِمَنْ هِىَ ؟ قال : لِمَنْ أَطْعَمَ الطَّعَامَ ، وتَابَعَ الصِّيام ، وطَيَّبَ الكَلاَمَ ، وصَلى بِاللَّيلِ والنَّاسُ نِيَامٌ » .

إذا عملت عملا لله فأحسنه لقوله تعالى : (لِيَبْلُوَكُم أَيُّكُمْ أَحْسَن عَمَلا) (٢).

لاتعجل على أحد بعقوبة ، ولاتتهمه حتى تحقَّه .

لاتأتِ أهلك أو جاريتك وغيرها يراك أو يسمع حِسَّك . قال صلى الله عليه وسلم : « اسْتَحْيُوا مِنَ الله حَقَّ الحَيَاء قالوا : كَيفَ نستحى من الله حق الحياء ؟ قال : احْفَظُوا الرَّأْسَ ومَا حَوَىٰ ، والبَطْنَ ومَا وَعَىٰ ، واذْكُرُوا الموتَ والبَلا ، وذَرُوا زِينَةَ الحَيَاةِ الدُّنْيا » .

---

(١) البقرة : ٢٦٤ (٢) هود : ٧ ، الملك : ٢

إذا أصبحت فقل : « اللَّهُمَّ لا إله إلا أَنْتَ وَحْدَكَ لاشَرِيكَ لَكَ ، لَكَ المُلْكُ ولَكَ الحَمْدُ لاشَرِيك لَكَ ،عَشرَ مَرَّاتٍ . قال النبي عليه الصلاة والسلام مَنْ قَالَهَا عَشْرَ مَرَّاتٍ حِينَ يُصبِحُ وُكِّلَ بِهِ مَلَكَانِ يَحرُسَانِهِ حَتَّىٰ يُمْسِيَ ، وإذَ قَالَهَا لَيلاً فَكَذٰلِكَ حَتَّىٰ يُصْبِح » .

إذا كنت فى العيدين والجمعة ، ويوم عرفة بعرفة فاغتسل ، وإن توضأتَ أجزأك . سأل رجل عليًّا عن الغسل فقال : للجمعة والعيدين وعرفة .

إذا رأيت الهلال فلا تستقبله حتى تدعو ، وقل : الله أَكْبَرُ ، الله أَكْبَرُ ، الحَمْدُ لله ، أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هٰذَا الشَّهْرِ ، وأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ القَدَرِ ، وشَرِّ يَوْمِ المَحْشَرِ .

لاتَؤُمَّنَّ أحداً فى بيته ولا فى سلطانه إلا أن يأذن لك ، وذلك أنه بلغنى عن النبى — صلى الله عليه وسلم — أنه قال : « لايَؤُمَّنَّ الرَّجُلُ الرَّجُلَ فى بَيْتِهِ ولا فى سُلْطَانِهِ إلا بإذنِهِ » .

ولا تحب من الناس أن يَمْثُلُوا لك قياماً ، لقوله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَمْثُلَ لَهُ ابْنُ آدَمَ قِياماً وَجَبَتْ لَهُ النَّارُ » .

إجابة الدعوة :

أجب الدعوة إذا دُعيت ، قال صلى الله عليه وسلم : « الدَّعْوَةُ يَوْمَ العُرْسِ حَقٌّ » وقال : « لَو دُعِيتُ إلى كِرَاعٍ لأَجَبْتُ » .

إذا حلفت على شيء ، وحلف والداك أو أحدهما على خلافه فأطعهما ما لم يكن معصية .

احتجم فى سبع عشرة ، وتسع عشرة ، وإحدى وعشرين ، أمر النبى – صلى الله عليه وسلم – بذلك .

إذا عدت مريضاً فأخِفَّ العِيَادة ، وأقلَّ اللُّبث .

إذا مررت بالمقابر فقل :السلام عليكم أهل الدار المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ، أنتم لنا فرط ، ونحن لكم تبع ، أسأل الله لنا ولكم العافية .

تشييع الجنازة :

لابأس أن تمشى أمام الجنازة ، مشى النبىُّ – صلى الله عليه وسلم – ، وأبو بكر ، وعمر ، وابن عمر أمامها ، وإذا كنت راكباً فلا تسبقها ولاتنزل ، حتى توضع عن عواتق الرجال ، بلغنى ذلك عن بعض الصحابة.

لاتنفخ فى الطعام والشراب ، فإنه جفاءٌ ، قاله بعض العلماء .

ارفع يدك فى عشرة مواطن : إذا دعوت عند افتتاح الصلاة ، والعيدين ، والقنوت ، والتكبير ، وعند استلام الحجر ، وعرفة ، وجمع ، والصفا ، والمروة ، والجمار ، روى ذلك عن ابن عباس ، وعند افتتاح الصلاة والقنوت والعيدين ترفعهما حتى تحاذى إبهامُك أذنك ، وتبسطهما عند صدرك فى باقى ذلك .

لا تلعب بالنرد ، لعن النبى – صلى الله عليه وسلم – اللاعب به وقال : « إيَّاكُمْ وإيَّاهُ » .

لاتمضغ العلك ، ولاتخلل إزارك ، ولاتجرَّد ولاتحذف ، قال النبى – صلى الله عليه وسلم – : « إنَّهَا مِنْ أخْلاقِ قَوْم لُوط » .

اجمع الصُّوَّامَ عند فطرك على طعامك . قال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ فَطَّرَ صَائِماً كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ ، ولايَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيءٌ »

واعلم – رحمك الله – أن الله تعالى خصك من موعظتي بما نصحتك ، وأنهيت إليك منه ، ما أرجو أن يكون سعادة لك ، وسبباً إلى الجنّة ، فليكن منك فيما كتبت إليك من القيام بأمر الله تعالى ، واتّباع ماهو أهله ماترجو به القربة عند الله تعالى ، ولايكن ذلك مما تظلف (١) عنه نفسكُ ، وتعاهدها بالأخذ والتأديب عليه – إن شاء الله – حتى توقفها على الذي لاينبغي لك التقصير بها عنه – إن شاء الله تعالى –

والله الموفق للصواب ، وإليه المرجع والمآب .

***

وصية لسان الدين بن الخطيب لأولاده (٢)

الحمد لله الذى لايروعه الحمام المرقوب ، إذا سيم نجمه المثقوب ، ولا يبغته الأجل المكتوب ، ولايبغته الفراق المعتوب ، ملهم الهدى الذى تطمئن به القلوب ، وموضح السبيل المطلوب ، وجاعل النصيحة الصريحة من قسم الوجوب ، لاسيما للولى المحبوب ، والولد المنسوب ، القائل فى الكتاب المعجز الأسلوب :(أَمْ كُنْتُم شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الموت)(٣) و (وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيم بَنِيهِ ويَعْقُوب..)(٤)والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله ، أكرم من زرت على نوره جيوب الغيوب ، وأشرف مَنْ خُلِعَت عليه حلل المهابة والعصمة ، فلا تقتحمه العيون ،

(١) تظلف عنه نفسك : – أى تكفها عنه . (٢) نفح الطيب جـ ٤ ص ٤١٩ ٤٢٦
(٣) البقرة : ١٣٣ (٤) البقره : ١٣٢

ولاتصمه العيوب ، والرضا عن آله وأصحابه المثابرين على لسان الاستقامة بالهوى المغلوب ،والأمل المسلوب ، والاقتداء الموصل المرغوب، والعز والأمن من اللغوب .

• وبعد ، فإنى لما علانى المشيب بِقمّته ، وقادنى الكِبرُ بِرُمّتِه ، وادّكرت الشّباب بعد أمته ، أسفت لما أضعت ، وندمت بعد العظام على ما رضعت ، وتأكد وجوب نصحى لمن لزمنى وَعْيُه ، وتعلق بعينى سعيه ، وأمّلتُ أن تتعدّى إلىّ ثمرة استقامته ، وأنا رهين فوات ، وفى برزخ أموات، ويأمن العثور فى الطريق التى اقتضت عثارى إن سلك، وعسى أن لايكون ذلك على آثارى ، فقلت أخاطب الثلاثة الولد ، وثمرات الخَلَد ، بعد الضراعة إلى الله تعالى فى توفيقهم ، وإيضاح طريقهم ، وجمع تفريقهم ، وأن يمنّ علىّ منهم بحسن الخلف ، والتلافى من قبل التلف ، وأن يرزق خلفهم التمسك بهدى السلف ،فهو ولى ذلك ، والهادى إلى خير المسالك .

• اعلموا هداكم الله تعالى .. الذى بأنواره تهتدى الضُّلاّل ، وبرضاه ترفع الأغلال ، وبالتماس قربه يحصل الكمال ،إذا ذهب المال ، وأخلفت الآمال ، وتبرّأت من يمينها الشمال ، أنّى مُوَدِّعكم وإنْ سالمنى الرّدى ، ومفارقكم وإن طال المدى، وماعدا مما بدا ، فكيف وأدوات السفر تُجمع ومنادى الرحيل يُسْمَع ، ولا أقَلَّ للحبيب المودّع من وصية محتضر ، وعجالة مقتصر ، ورتيمة (١) تعقد فى خنصر ، ونصيحة تكون نشيدة واع مُبْصر ، تتكفل لكم بحسن العواقب من بعدى ، وتوضح لكم من

(١) خيط يربط فى الاصبع للتذكير بشىء معين .

الشفقة والحنوُّ قصدى ، حسبما تَضَمَّنَ وعد الله من قبل وعدى ، فهى أَرْبُكُمْ الذى لايتغيَّر وقفه ، ولا ينالكم المكروه مارَفَّ عليكم سقفه ؛ وكأنى بشبابكم قد شاخ ، وبراحلكم قد أناخ ، وبناشطكم قد كسل ، واستبدل الصاب من العسل ، ونُصول الشيب تروع بأسل (١) ، لابل السام (٢) من كل حدب نسل ، والمعاد اللحد ولاتسل .

* فبالأمس كنتم فراخ حجر ، واليوم أبناء عسكر مجر ، وغداً شيوخ مضيعة وهجر ، والقبور شاغرة ، والنفوس عن المألوفات صاغرة ، والدنيا بأهلها ساخرة ، والأُولى تعقبها الآخرة ، والحازم من لم يُتَّعظ به فى أمر ، وقال بيدى لابيد عمرو ، فاقتنوها من وصية ، ومَرَامٍ فى النصح قَصِيَّة ، وخُصُّوا بها أولادكم إذا عقلوا ، ليجدوا زادها إذا انتقلوا .

* وحسبى وحسبكم الله الذى لم يخلق الخلق هملا ، ولكن ليبلوهم أيهم أحسن عملا ، ولا رضي الدنيا منزلا ، ولا لطف بمن أصبح عن فئة الخير منعزلا ، ولتُلَقَّنُوا تلقيناً ، وتعلموا علماً يقيناً ، أنكم لن تجدوا بعد أن أنفرد بذنبى ، ويفترش التراب جنبى ، ويسح انسكابى ، وتهرول عن المصلى ركابى ، أحرص منى على سعادة إليكم تُجْلَب ، أو غاية كمال بسببكم ترتاد وتطلب ، حتى لا يكون فى الدِّين والدنيا أورف منكم ظلا ، ولا أشرف محلا ، ولا أغبط نهلا وعلا ، وأقل ما يوجب ذلك عليكم أن تصيخوا إلى قولى الآذان ، وتستلمحوا صبح نصحى وَقَدْ بان ، وسأعيد عليكم وصية لقمان :

---

(١) الأسل : الرمح المسنون. (٢) الموت .

• أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه : يابنى لاتشرك بالله ،إن الشرك لظلم عظيم)(١).(يابنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك، إن ذلك من عزم الأمور ولاتصعر خدك للناس ولاتمش فى الأرض مرحاً، إن الله لايحب كل مختال فخور . واقصد فى مشيك واغضض من صوتك،إن أنكر الأصوات لصوت الحمير)(١) .

• وأعيد وصية خليل الله ورسوله ، حكم ماتضمنه محكم تنزيله : (يابنى إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون)(٣) .

والدين الذى اصطفاه ، وأكمله ووفاه ، وقرره مصطفاه ، من قبل أن يتوفاه ، إذا أعمل فيه انقياد ، فهو عمل واعتقاد ، وكلاهما مقرر ومستمد من عقل أو نقل محرر ، والعقل متقدم ، وبناوه مع رفض أخيه متهدم ، فالله واحد أحد ، فرد صمد ، ليس له والد ولا ولد ، تنزه عن الزمان والمكان ، وسبق وجوده وجود الأكوان ، خالق الخلق وما يعلمون ،الذى لايسأل عن شيء وهم يسألون ، الحى العليم المدبر القدير ، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، أرسل الرسل رحمة ، لتدعو الناس إلى النجاة من الشقاء ،وتوجه الحجة فى مصيرهم إلى دار البقاء، مؤيدة بالمعجزات التى لاتتصف أنوارها بالاختفاء ، ولا يجوز على تواترها دعوى الانتفاء ، ثم ختم ديوانهم بنبى ملتنا المرعية الهمل ، الشاهدة على الملل ، فتلخصت الطاعة ، وتعينت الإمرة المطاعة ، ولم يبق

---

(١) لقمان : ١٣
(٢) لقمان: ١٧ — ١٩
(٣) البقرة : ١٣٢

بعده إلا ارتقاب الساعة ، ثم إن الله تعالى قبضه إذ كان بشراً ، وترك دينه يضم من الأُمة نشراً ، فمَن تبعه لحق به ، ومن تركه نوِّط عنه فى منسبه ، وكانت نجاته على قدر سببه .

* رُوِىَ عنه – عليه الصلاة والسلام – أنه قال : « تَرَكْتُ فِيكُم مَا إنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَمْ تَضِلُّوا بَعْدِى ، كِتَاب الله وسُنَّتِى ، فَعَضُّوا عَلَيْهِمَا بِالنَّوَاجِذِ » .

* فاعملوا يابنى بوصية من ناصح جاهد ، ومشفق شفقة والد ، واستشعروا حبه الذى توفرت دواعيه ، وَعُوا مراشد هديه ؛ فَيَا فَوْزَ واعيه ، وصِلُوا السبب بسببه ، وآمنوا بكل ما جاء به ، مجملا أو مفصلا على حسبه ، وأوجبوا التجلة لصحبه الذين اختارهم الله تعالى لصحبته ، واجعلوا محبتكم إياهم من توابع محبته ، واشملوهم بالتوقير ، وفَضِّلُوا منهم أُولى الفضل الشهير ، وتَبَرَّؤُوا من العصبية التى لم يَدْعُكُم إليها داع ، ولاتَعِ التشاجر بينهم أُذن واع فهو عنوان السداد ، وعلامة سلامة الاعتقاد ، ثم استحبُّوا فضل تعظيمهم على فقهاء الملة ، وأئمتها الجلة ، فهم صَقَلَة نصولهم ، وفُرُوع ناشئة من أُصولهم ، وورثتهم وورثة رسولهم .

* واعلموا أننى قطعت فى البحث زمانى ، وجعلت النظر شأنى ، منذ برانى الله تعالى وأنشأنى ، مع نبل يعترف به الشانى ، وإدراك يسلمه العقل الإنسانى ، فلم أجد خابط ورق ، ولامصيب عرق ، ولا نازع خطام ، ولا متكلف فطام ، ولا مقتحم بحر طام ، إلا وغايته التى يقصدها قد

نضلتها الشريعة وسبقتها، وفرعت ثنيتها وارتقتها ، فعليكم بالتزام جادتها السابلة ، ومصاحبة رفقتها الكاملة ، والاهتداء بأقمارها غير الآفلة ، والله تعالى يقول — وهو أصدق القائلين — : (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وهوَ فى الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ)(١) .

• وقد علت شرائعه ، وراع الشكوك رائعه ، فلا تستنزلكم الدنيا عن الدين ، وابذلوا دونه النفوس فعل المهتدين ، فلن ينفع متاع بعد الخلود فى النار أبد الآبدين ، ولا يضر مفقود مع الفوز بالسعادة ، والله أصدق الواعدين ،ومتاع الحياة الدنيا أخس ماورث الأولاد عن الوالدين، اللهم قد بلّغت فأنت خير الشاهدين ، فاحذروا المعاطب التى توجب فى الشقاء الخلود ، وتستدعى شَوْهَ الوجوه ، ونضج الجلود ، واستعيذوا برضا الله من سخطه ، واربؤوا بنفوسكم عن غمطه ، وارفعوا آمالكم عن القنوع بغرور قد خدع أسلافكم ، ولا تحمدوا على جيفة الأمل الزائل ائتلافكم ، واقتنعوا منه بما تيسر ، ولاتأسوا على مافات وتعذّر ، فإنما هى دجنة ينسخها الصباح ، وصفقة يتعاقبها الخسار أو الرباح ، ودونكم عقيدة الإيمان فشدّوا بالنواجذ عليها ، وكفكفوا (٢) الشبه أن تدنوا إليها .

• واعلموا أن الإخلال بشىء من ذلك خرق لايرفؤه عمل ، وكل ماسوى الراعى همل ، وما بعد الرأس فى صلاح الجسم أمل ، وتمسكوا

---

(١) آل عمران : ٨٥ (٢) كفكفوا : امنعوا .

بكتاب الله تعالى حفظاً وتلاوة ، واجعلوا حمله على حمل التكليف علاوة ، وتفكروا فى آياته ومعانيه ، وامتثلوا أوامره ونواهيه ، ولا تتأوّلوه ولا تغلوا فيه ، وأشربوا قلوبكم حب من أنزل على قلبه ، وأكثروا من بواعث حبه ، وصونوا شعائر الله صون المحترم ، واحفظوا القواعد التى ينبنى عليها الإسلام حتى لاينخرم .

الله الله فى الصلاة ذريعة التجلة ، وخاصة الملة ، وحاقنة الدم ، وغنى المستأجر المستخدم ، وأم العبادة ، وحافظة اسم المراقبة لعالم الغيب والشهادة ، والناهية عن الفحشاء والمنكر ، وإن عرض الشيطان عرضهما ، ووطأً للنفس الأمارة سماءهما وأرضهما ، والوسيلة إلى بل الجوانح ببَرود الذكر ، وإيصال تحفة الله إلى مريض الفكر ، والشاهدة للعبد برفع الملامة ، وغاسول الطبع إذا طَبَع (١) ، والخير الذى كل ماسواه له تبع ، فاصبروا النفس على وظائفها بين بدء وإعادة ، فالخير عادة ، ولاتفضلوا عليها الأشغال البدنية ، وتؤثروا على العلية الدنية ، فإن أوقاتها المعينة بالانفلات تيبس ، والفلك بها من أجلكم لايحبس ، وإذا قورنت بالشواغل فلها الجاه الأصيل ،والحكم الذى لايغيره العدو ولا الأصيل ، والوظائف بعد أدائها لاتفوت ، وأين حق من يموت من حق الحى الذى لايموت ،وأحكموا أوضاعها إذا أقمتموها ، واتبعوها النوافل ما أطلقتموها ، فبالإتقان تفاضلت الأعمال ، وبالمراعاة استحقت الكمال ، ولا شكر مع الإهمال ، ولا ربح من إضاعة رأس المال ، وذلك أحرى بإقامة الفرض وأدعى إلى مساعدة البعض البَعْض ، والطهارة التى هى فى تحصيلها

---

(١) الدنس مطلقاً فى الجسم أو الخلق ، وهو أيضاً الكسل .

سبب موصل ، وشرط لشروطه محصل فاستوفوها ، والأعضاء نظفوها ، ومياهها بغير أوصافها الحميدة فلاتصفوها ، والحجول والغرر فأطيلوها(١) والنيات فى كل ذلك فلاتهملوها ، فالبناء بأساسه ، والسيف بمراسه .

* واعلموا أن هذه الوظيفة من صلاة وطهور ، وذكر مجهور وغير مجهور ، تستغرق الأوقات ، وتنازع شتى الخواطر المفترقات ، فلا يضبطها إلا من ضبط نفسه بعقال ، واستعاض صدأه بصقال ، وإن تراخى قهقر الباع ، وسرقته الطباع ، وكان لما سواها أضيع فشمل الضياع .

* والزكاة أختها الحبيبة ، ولدتها القريبة ، مفتاح السعادة بالعرض الزائل ، وشكران المسؤول على الضد من درجة السائل ، وحق الله تعالى فى مال من أغناه ، لمن أجهده فى المعاش وعنّاه ، من غير استحقاق مَلْء يده ، وإخلاء يد أخيه ، ولاعلة إلا القدر الذى يخفيه ، وما لم ينله حظ الله تعالى فلا خير فيه ، فاسمحوا بتفريقها للحاضر لإخراجها ، فى اختيار عرضها ونتاجها ،واستحيوا من الله تعالى أن تبخلوا عليه ببعض مابذل ، وخالفوا الشيطان كلما عذل ، واذكروا خروجكم إلى الوجود لاتملكون ، ولاتدرون أين تسلكون ، فوهب وأقدر ، وأورد بفضله وأصدر ، ليرتب بكرمه الوسائل ، أو يقيم الحجج والدلائل ، فابتغوا إليه الوسيلة بماله ، واغتنموا رضاه ببعض نواله .

* وصيام رمضان عبادة السر المقربة إلى الله زلفى ، الممحوضة لمن يعلم السر وأخفى ، مؤكدة بصيام الجوارح عن الآثام ، والقيام ببر

---

(١) إسباغ الوضوء وتوفير الغسل لكل الأعضاء ، وخاصة الوجه والقدمين ، لأن النبى – صلى الله عليه وسلم يقول : « أنا قائد الغر المحجلين يوم القيامة » .

القيام ، والاجتهاد ، وإيثار السهاد على المهاد ، وإن وسع الاعتكاف فهو من سنته المرعية ، ولواحقه الشرعية ، فبذلك تحسن الوجوه ، وتحصل من الرقة على ماترجوه ، وتذهب قسوة الطباع ، ويمتد فى ميدان الوسائل الباع .

• والحج مع الاستطاعة الركن الواجب ، والفرض على العين لايحجبه الحاجب ، وقد بيّن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قدره فيما فرض عن ربه وسنه ، وقال ليس له جزاءٌ عند الله إلا الجنة ، ويلحق بذلك الجهاد فى سبيل الله تعالى إن كانت لكم قوة عليه ، وغنى لديه ، فكونوا ممن يسمع نفيره ويطيعه ، وإن عجزتم فأعينوا مَن يستطيعه .

• هذه عُمُد الإسلام وفروضه ، ونقود مهره وعروضه ، فحافظوا عليها تعيشوا مبرورين ، وعلى من يناوئكم ظاهرين ، وتلقوا الله لامبدلين ولا مغيرين ، ولا تضيعوا حقوق الله فتهلكوا مع الخاسرين .

• واعلموا أن بالعلم تستعمل وظائف هذه الألقاب ، وتجلى محاسنها من بعد الانتقاب (١) ، فعليكم بالعلم النافع ، دليلا بين يدى السامع ، فالعلم مفتاح هذا الباب ، والموصل إلى اللباب ، والله عز وجل يقول : (قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ والَّذِينَ لايَعْلَمُونَ ، إنَّمَا يَتَذَكَّر أُولُوا الأَلْبَابِ)(٢).والعلم وسيلة النفوس الشريفة ، إلى المطالب المنيفة ، وشرطه الخشية لله تعالى والخيفة ، وخاصة الملأُ الأعلى ، وصفه الله فى كتبه التى تُتْلى ، والسبيل فى الآخرة إلى السعادة ، وفى الدنيا إلى النحلة عادة ، والذخر الذى قليله يشفع ، وكثيره ينفع ، لايغلبه

---

(١) الانتقاب : الاختفاء .   (٢) الزمر : ٩

الغاصب ، ولا يسلبه العدو المناصب ، ولا يبتزه الدهر إذا نال ، ولا يستأثر به البحر إذا هال ، ومن لم ينله فهو ذليل وإن كثرت آماله ، وقليل وإن جَمّ ماله ، وإن كان وقته قد فات اكتسابكم ، وتخطى حسابكم ، فالتمسوه لبنيكم ، واستدركوا منه ماخرج عن أيديكم ، واحملوهم على جمعه ودرسه ، واجعلوا طباعهم ثرى لفرسه ، واستسهلوا ماينالهم من تعب من جرّاه ، وسهر يهجر له الجفن كراه ، تعقدوا لهم ولاية عز لاتعزل ، وتحلوّهم مثابة رفعة لايحط فارعها ولا يستنزل ، واختاروا فى العلوم التى يتعقبها الوقت ، فلا يناله فى غيره المقت .

* وخير العلوم علوم الشريعة ، وما نجم بمنابتها الـمُريعة ، من علوم لسان لاتستغرق الأعمار فصولها ، ولايضايق ثمرات المعاد حصولها ، فإنما هى آلات لغير ،وأسباب إلى خير منها وخير ، فمن كان قابلا للازدياد ، وألفىٰ فهمه فى انقياد ، فليخص تجويد القرآن بتقديمه ، ثم حفظ الحديث ومعرفة صحيحه من سقيمه ، ثم الشروع فى أصول الفقه ، فهو العلم العظيم المنة ، المهدى كنوز الكتاب والسنة ، ثم المسائل المنقولة عن العلماء الجلَّة ، والتدرب فى طريق النظر وتصحيح الأدلة ، وهذه هى الغاية القصوى فى الملة ، ومن قصر إدراكه عن هذا المرمى ، وتقاعد عن التى هى أسمى ، فليرو الحديث بعد تجويد الكتاب وأحكامه ، وليقرأ المسائل الفقهية على مذهب إمامه .

* وإياكم والعلوم القديمة ، والفنون المهجورة الذميمة ، فأكثرها لايفيد إلا تشكيكاً ، ورأياً ركيكاً ، ولا يثمر فى العاجلة إلا اقتحام العيون ، وتطريق الظنون ، وتطويق الاحتقار ، وسمة الصّغار ، وخمول

الأقدار ، والخسف من بعد الإبدار ، وجادة الشريعة أعرق فى الاعتدال ، وأوفق من قطع العمر فى الجدال ، هذا ابن رشد قاضى المصر ومفتيه ، وملتمس الرشد ومولية ، عادت عليه بالسخطة الشنيعة ، وهو إمام الشريعة ، فلا سبيل إلى اقتحامها ، والتورط فى ازدحامها ، ولاتخلطوا جامكم بجامها إلا ماكان من حساب ومساحة ، وما يعود بجدوى فلاحة ، وعلاج يرجع على النفس والجسم براحة ، وما سوى ذلك فمحجور وحزم مَسْجُور ، وممقوت مهجور ، وأْمُرُوا بالمعروف أمراً رفيقاً ، وانهوا عن المنكر نهياً حريًّا بالاعتدال حقيقاً ، واغبطوا من كان من سِنَة الغفلة مفيقاً ، واجتنبوا ماتُنْهَوْن عنه حتى لاتسلكوا منه طريقاً .

* وأطيعوا أمر من ولاه الله من أموركم أمراً ، ولاتقربوا من الفتنة جمراً ، ولا تداخلوا فى الخلاف زيداً ولا عمراً .

وعليكم بالصدق فهو شعار المؤمنين ، وأهم ما أضرى عليه الآباء ألسنة البنين ، وأكرم منسوب إلى مذهبه ، ومن أكثر من شىء عرف به .

* وإياكم والكذب فهو العورة التى لاتُوارى ، والسوأة التى لايُرْتَاب فى عارها ولايُتَمَارى ، وأقل عقوبات الكذاب بين يدى الله ما أعدَّ له من العذاب ، أن لايقبل صدقه إذا صدق ، ولايعوَّل عليه إن كان بالحق نطق .

* وعليكم بالأمانة فالخيانة لؤم ، وفى وجه الديانة كلْم ، ومن الشريعة التى لايعذر بجهلها ، أداءُ الأمانات إلى أهلها ، وحافظوا على الحشمة والصيانة ، ولاتجزوا من أقرضكم دين الخيانة ، ولاتوجدوا للغدر قبولا ، ولاتقروا عليه طبعاً مجبولا ، وأوفوا بالعهد إن العهد كان

مسؤولا . ولا تستأثروا بكنز ولا خزن ، ولا تذهبوا لغير مناصحة المسلمين فى سهل ولا حزن، ولاتبخسوا الناس أشياءهم فى كيل أو وزن، والله الله أن تعينوا فى سفك الدماء ولو بالإشارة أو الكلام ، أو مايرجع إلى وظيفة الأقلام ، واعلموا أن الإنسان فى فسحة ممتدة . وسبل الله تعالى غير منسدة . مالم ينبذ إلى الله تعالى بأمانه . ويمسى الدم الحرام بيده أو لسانه . قال الله تعالى فى كتابه الذى هدى به سنناً قويماً . وجلّى من الجهل والضلال ليلا بهيماً :(وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّم خَالِداً فِيهَا وغَضَبَ الله عَلَيهِ ولَعَنَهُ وأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً) (١).

• واجتناب الزنى وما تعلق به من أخلاق من كرمت طباعه ، وامتد فى سبيل السعادة باعه . لو لم تتلق نور الله الذى لم يهد شعاعه . فالحلال لم تضق عن الشهوات أنواعه ، ولا عدم إقناعه . ومن غلبت غرائز جهله ، فلينظر هل يحب أن يزنى بأهله .والله قد أعد للزانى عذاباً وبيلا .وقال : (وَلاَ تَقْرَبُوا الزِّنَى ، إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلا)(٢) .

• والخمر أم الكبائر . ومفتاح الجرائم والجرائر . واللهو لم يجعله الله فى الحياة شرطاً ، والمحرم قد أغنى عنه بالحلال الذى سوغ وأعطى . وقد تركها فى الجاهلية أقوام لم يرضوا لعقولهم بالفساد . ولا لنفوسهم بالمضرة فى مرضاة الأجساد . والله تعالى قد جعلها رجساً محرماً على العباد ، وقرنها بالأنصاب والأزلام فى مباينة السداد .

---

(١) النساء : ٩٣

(٢) الاسراء : ٣٢

* ولاتقربوا الربا فإنه من مناهى الدين ، والله تعالى يقول : (وذرُوْا مابَقى منَ الرِّبَا إنْ كُنْتُم مُؤْمنين) (١) وقال : (فَإنْ لَمْ تفعَلُوا فَأْذنُوا بحرْب منَ الله وَرَسُوله) (٢) فى الكتاب المبين.

* ولا تأكلوا مال أحد بغير حق يبيحه ، وانزعوا الطمع عن ذلك حتى تذهب ريحه ، والتمسوا الحلال يسعى به أحدكم على قدمه ، ولايكل خياره إلا إلى الثقة من خدمه ، ولاتلجؤوا إلى المتشابه إلا عند عدمه ،فهو فى السلوك إلى الله تعالى أصل مشروع ، والمحافظ عليه مغبوط ، وإياكم والظلم ، فالظلم ممقوت بكل لسان ، مجاهر الله تعالى بصريح العصيان ،والظلم ظلمات يوم القيامة ، كما ورد فى الصحاح الحسان، والنميمة فساد وشتات ، لايبقى عليه متات(٣) ، وفى الحديث : « لا يَدْخُل الجَنَّةَ قَتَّات » (٤) واطرحوا الحسد فما ساد حسود ، وإياكم والغيبة فباب الخير معها مسدود ، والبخل فما رُئِىَ البخيل وهو مودود ، وإياكم وما يُعْتَذَرُ مِنْهُ فمواقع الخزى لاتستقال عثراتها ، ومَظَنَّات الفضَائح لاتؤمن غمراتها ، وتفَقَّدُوا أنفسكم مع الساعات ، وافشوا السلام فى الطرقات والجماعات ،ورقوا على ذوى الزمانات والعاهات ، وتاجروا مع الله بالصدقة يربحكم فى البضاعات ، وعوّلوا عليه وحده فى الشدائد ، واذكروا المساكين إذا نصبتم الموائد ، وتقرّبوا إليه باليسير من ماله ، واعلموا أن الخلق عيال الله وأحب الخلق إليه المحتاط لعياله ، وارعوا حقوق الجار ، واذكروا ماورد فى ذلك من الآثار ، وتعاهدوا أولى الأرحام ، والوشائج العادية الالتحام ، واحذروا شهادة الزور فإنها تقطع

---

(١) البقرة : ٢٧٨ (٢) البقرة : ٢٧٩

(٣) متات : توسل وتقرب .

(٤) القتات : النمام . يقال : قت الحديث أى نقله .

الظهر ، وتفسد السر والجهر ، والرُّشا فإنها تحط الأقدار ، وتستدعى المذلة والصغار ، ولا تسامحوا فى لعبة قمر ، ولا تشاركوا أهل البطالة فى أمر ، وصونوا المواعيد من الإخلاف ، والأيمان من حنث الأوغاد والأجلاف ، وحقوق الله تعالى من الازدراء والاعتساف ، ولا تلهجوا بالآمال العِجاف ، ولا تكلفوا بالكهانة والإرجاف ، واجعلوا العمر بين معاش ومعاد ، وخصوصية وابتعاد ، واعلموا أن الله سبحانه بالمرصاد ، وأن الخلق بين زرع وحصاد ، وأقلوا بغير الحالة الباقية الهموم ، واحذروا القواطع عن السعادة كما تُحْذَر السموم ، واعلموا أن الخير أو الشر فى الدنيا محال أن يدوم ، وقابلوا بالصبر أذيّةَ المؤذين ، ولا تعارضوا مقالات الظالمين ، فالله لمن بُغِىَ عليه خير الناصرين ، ولا تستعظموا حوادث الأيام كلما نزلت ، ولا تضجوا للأمراض إذا أعضلت ، فكل منقرض حقير ، وكل مُنقَضٍ وإن طال قصير ، وانتظروا الفرج ، وانتشقوا من جناب الله تعالى الأرَج ، وأوسعوا بالرجاء الجوانح ، واجنحوا إلى الخوف من الله تعالى ، فطوبى لعبد إليه جانح ، وتضرعوا إلى الله تعالى بالدعاء ، والجئوا إليه فى البأساء والضرّاء ، وقابلوا نِعم الله تعالى بالشكر الذى يقيد به الشارد ، ويعْذُب الوارد ، وأسهموا منها للمساكين وأفضلوا عليهم ، وعينوا الحظوظ منها لديهم ، فمن الآثار الشريفة : « ياعائشة ، أحْسِنِى جوَارَ نِعَمِ اللهِ ، فَإِنَّهَا قَلَّمَا زَالَتْ عَنْ قَوْمٍ فَعَادَتْ إِلَيْهِم » .

ولاتطغوا فى النعم فتقْصُروا عن شكرها ، وتلقيكم الجهالة بسكرها ، وتتوهموا أن سعيكم جلبها ، وجِدّكُم حلبها ، فالله خير الرّازقين ، والعاقبة للمتقين ، ولا فعل إلا لله إذا نُظِر بعَين اليَقين .

* والله الله لاتنسوا الفضل بينكم ، ولا تُذْهِبُوا بزواله زينكم ، وليلتزم كل منكم لأخيه ، ما يشتدّ به تواخيه ، بما أمكنه من إخلاص وبرّ ، ومراعاة فى علانية وسرّ ، وللإنسان مزية لاتُجْهَل ، وحق لايُهمل ، وأظهروا التعاضد والتناصر ؛ وصلوا التعاهد والتزاور ، ترغموا بذلك الأعداء ، وتستكثروا الأَوِدَّاء ، ولاتتنافسوا الحظوظ السخيفة ، ولا تتهارشوا تهارش السباع على الجيفة ، واعلموا أن المعروف يكدر بالامتنان ، وطاعة النساء شر ما أفسد بين الإخوان ، فإذا أسديتم معروفاً فلا تذكروه ، وإذا برز قبيح فاستروه ، وإذا أعظم النساءُ أمراً فاحقروه .

* والله الله لاتنسوا مقارضة سَجْلى ، وبرُّوا أهل مودتى من أجلى ، ومن رزق منكم مالا بهذا الوطن القلق المهاد ،الذى لايصلح لغير الجهاد ، فلا يستهلكه أجمع فى العقار ، فيصبح عرضة للمذلة والاحتقار ، وساعياً لنفسه إن تغلب العدو على بلده فى الافتضاح والافتقار ، ومعوقاً عن الانتقال ، أمام النُّوَب الثقال ، وإذا كان رزق العبد على المولى ، فالإجمال فى الطلب أولى ، وازهدوا جهدكم فى مصاحبة أهل الدنيا ، فخيرها لايقوم بشرها ، ونفعها لايقوم بضرها ، وأعقاب من تقدم شاهدة ، والتواريخ لهذه الدعوى عاضدة ، ومن بُلِىَ بها منكم فليستظهر بسعة الاحتمال ، والتقلل من المال ، وليحذر معاداة الرجال ، ومزلات الإدلال ، وفساد الخيال ، ومداخلة العيال ، وإفشاء السر ، وسكر الاغترار ، فإنه دَأْبُ الغِرِّ ، ولْيَصُن الدِّيانة ، ويؤثر الصمت ، ويلازم الأَمانة ، ويَسِر من رضا الله على أوضح الطرق ، ومهما اشتبه عليه أمران ، قصد أقربهما إلى الحق ، وليقف فى التماس أسباب الجلال دون الكمال غير النقصان ، والزعازع تُسَالِم اللَّدْنَ اللطيفَ من الأَغصان .

• وإياكم وطلب الولايات رغبة واستجلاباً ، واستظهاراً على الخطوب وغلاباً ، فذلك ضرر بالمروءات والأقدار ، داع إلى الفضيحة والعار ، ومن امتحن بها منكم اختياراً أو جُبِرَ عَليها إكراهاً وإيثاراً ، فَلْيَتَلَقَّ وظائفها بسعة صدره ، ويبذل من الخير فيها ما يشهد أن قدرها دون قدره ، فالولايات فتنة ومحنة ، وأسر وإحنة ، وهى بين إخطاء سعادة ، وإخلال بعبادة ، وتَوَقُّع عزل ، وإدالة بإزاء بيع جد بهزل ، ومزلَّة قدم ، واستتباع ندم ، ومآل العمر كله موت ومعاد ، واقتراب من الله وابتعاد ، جعلكم الله ممن نفعه بالتبصير والتنبيه ، وممن لاينقطع بسببه عمل أبيه .

• هذه – أسعدكم الله – وصيتى التى أصدرتها ، وتجارتى التى لربحكم أدرتها ، فتلقوها بالقبول لنصحها ، والاهتداء بضوء صبحها ، وبقدر ما أمضيتم من فروعها ، واستفشيتم من دروعها ، اقتنيتم من المناقب الفاخرة ، وحصلتم على سعادة الدنيا والآخرة ، وبقدر ما أضعتم لآليها النفيسة القيم ، استكثرتم من بواعث الندم .

• ومهما سئمتم إطالتها ، واستفززتم مقالتها ، فاعلموا أن تقوى الله فذلكة الحساب ، وضابط هذا الباب ، كان الله خليفتى عليكم فى كل حال ، فالدنيا مناخ ارتحال ، وتأميل الإقامة فرض محال ، فالموعد للالتقاء دار البقاء ، جعل الله من وراء خطته النجاة ، ونَفَّقَ بَضَائعها المزجَّاة ، بلطائفه المرتجاة ، والسلام عليكم من حبيبكم المودِّع ، والله سبحانه يَلْأَمُهُ حيث شاء من شمل متصدِّع .

***

وصـية الخطاب بن المعلى لابنه

أخبرنى محمد بن المنذر بن سعيد ، حدثنا أبو حاتم محمد بن إدريس الحنظلى حدثنى عبد الرحمن بن أبى عطية الحمصى ،عن الخطاب بن المعلى المخزومى القرشى أنه وعظ ابنه فقال :

« يا بنى ، عليك بتقوى الله وطاعته ، وتجنب محارِمَه باتباع سنته ومعالمه ، حتى تصحح عيوبك ، وتقرعينك ، فإنها لاتخفى على الله خافية ، وإنى قد وَسَمت لك وَسْماً ، ووضعت لك رسماً ، إن أنت حفظته ووعيته ، وعملت به ملأت أعين الملوك ،وانقاد لك به الصعلوك، ولم تزل مرتجىً مشرفاً يُحْتَاج إليك ، ويُرْغَب إلى ما فى يديك ، فأطع أباك ، واقتصر على وصية أبيك ، وفَرِّغ لذلك ذهنك ، واشغل به قلبك ولُبَّك ، وإيَّاك وهَذْر الكلام ،وكثرة الضحك والمزاح ، ومهازلة الإخوان ، فإن ذلك يذهب البهاء ، ويوقع الشحناء ، وعليك بالرزانة والتوقر ، من غير كبر يوصف منك ، ولاخُيَلاء تحكى عنك ، والق صديقك وعدوك بوجه الرضى ، وكفّ الأذى ، من غير ذلَّة لهم ولا هيبة منهم ، وكن فى جميع أمورك فى أوسطها ، فإن خير الأمور أوسطها ، وقلل الكلام ، وافش السلام ، وامش متمكِّناً قَصْداً ، ولا تخطّ برجلك ، ولا تسحب ذيلك ، ولا تَلْوِ عُنُقك ، ولا رداءك ، ولا تنظر فى عِطْفِك ، ولا تكثر الالتفات ، ولاتقف على الجماعات ، ولاتتخذ السوق مجلساً ، ولا الحوانيت متحدثاً ، ولا تكثر المراء ، ولاتنازع السفهاء ، فإن تكلمت فاختصر ، وإن مزحت فاقتصر ، وإذا جلست فتربع ، وتحفظ من تشبيك أصابعك وتفقيعها،والعبث بلحيتك وخاتمك ، وذوأبة سيفك، وتخليل أسنانك ، وإدخال يدك فى أنفك ، وكثرة طرد الذباب عنك ،

وكثرة التثاؤب والتمطّي ، وأشباه ذلك مما يستخفه الناس منك ، ويغتمزون به فيك .

• وليكن مجلسك هادياً ، وحديثك مقسوماً ، وأصغ إلى الكلام الحسن ممن حدثك ، بغير إظهار عجب منك ، ولا مسألة إعادة ، وغضّ عن الفكاهات ، من المضاحك والحكايات ، ولا تحدث عن إعجابك بولدك ، ولاجاريتك ، ولا عن فرسك ، ولا عن سيفك ، وإياك وأحاديثَ الرؤيا ، فإنك إن أظهرت عجباً بشيء منها طمع فيها السفهاء ، فولدوا لك الأحلام ، واغتمزوا في عقلك ، ولا تَصَنَّع تَصَنُّعَ المرأة ، ولا تَبَذَّل تبذُّل العبد ، ولا تَهْلُب لحيتك ولاتُبَطِّنها (١) ، وتوقَّ كثرة الحفِّ ونتف الشيب ، وكثرة الكحل ، والإسراف في الدهن ، وليكن كحلك غِبًّا ، ولاتلحَّ في الحاجات ، ولاتخشع في الطلبات ، ولاتُعلم أهلك ووُلدك - فضلا عن غيرهم - عدَد مالك ، فإنهم إن رأوه قليلا هُنت عليهم ، وإن كان كثيراً لم تبلغ به رضاهم ، وأخِفهم في غير عنف ، ولِنْ لَهُم في غير ضعف ، ولا تهازل أَمَتك ، وإذا خاصمت فتوَقَّر ، وتحفَّظ من جهلك ، وتجنب عن عجلتك ، وتفكَّر في حُجَّتك ، وأر الحاكم شيئاً من حلمك ، ولا تكثر الإشارة بيدك ، ولا تحَفَّز على ركبتيك ، وتوَقَّ حُمرَة الوَجه ، وعرَق الجَبين ، وإن سُفِّه عليك فاحلم ، وإذا هدأ غضبك فتكَلَّم ، وأكرم عرضك ، والقِ الفُضُول عنك ، وإن قرَّبك سلطان فكُنْ منه على حد السِّنان ، وإن استرسل إليك فلا تأمن من انقلابه عليك ، وارفق به رفقك بالصبي ، وكلمه بما يشتهي ،ولا يحملنك ما ترى من إلطافه إياك ، وخاصته بك ،

(١) هلب الشعر : نتف ما غلظ منه ، وتبطين اللحية : أن لا يؤخذ مما تحت الذقن والحنك من الشعر .

أن تدخل بينه وبين أحد من ولده وأهله وحشمه ، وإن كان لذلك منك مستمعاً ، وللقول منك مطيعاً ، فإن سقطة الداخل بين الملك وأهله صَرْعَةٌ لاتنهض ، وذلَّة لاتُقال ، وإذا وعَدْتَ فَحَقِّق ، وإذا حدَّثت فاصدق ، ولاتجهر بمنطقك كمنازع الأصم ، ولا تخافت به كتخافت الأخرس ، وتخيَّر محاسن القول بالحديث المقبول ، وإذا حدثت بسماع فانسبه إلى أهله ، وإياك والأحاديث العابرة المشَنِّعَة التى تنكرها القلوب ، وتقفُّ لها الجلود (١) ، وإياك ومضعَّف الكلام مثل : نعم ، نعم ، ولا ، لا ، وعجل ، عجل ، وما أشبه ذلك .وإذا توضَّأت فَأَجِدْ عَرْك كفَّيك ، وليكن وضعك الحُرُض (٢) من الأشنان فى فِيْكَ كفعلك بالسواك ، ولا تَنَخَّع فى الطَّسْت . وليكن طرحك الماء من فيك مترسلا ، ولا تَمُجَّ فَتَنْضِحَ على أقرب جلسائك ، ولا تَعَضَّ نصف اللقمة ، ثم تعيد ما بقى منها منصبغاً ، فإن ذلك مكروه ، ولا تكثر الاستسقاء على مائدة الملك ، ولا تعبث بالمشاش (٣) . ولا تعب شيئاً مما يقرب إليك على مائدة بقلة خل أو تابل أو عسل ، فإن السحابة قد صيرت لنفسها مهابة ، ولا تمسك إمساك المثبور ، ولا تُبَذِّر تَبذِير السفيه المغرور ، واعرف فى مالك واجبَ الحُقُوق ، وحرمة الصديق ، واستغن عن الناس يحتاجوا إليك ، واعلم أن الجشع يدعو إلى الطبع ، والرغبة كما قيل تدق الرقبة ، وربّ أكلة تمنع أكلات . والتعفف مال جسيم ، وخلق كريم ، ومعرفة الرجل قدره ، تشرف ذكره ، ومن تعدى القدر ، هوى فى بعيد القعر ،

---

(١) تقف لها الجلود : تقشعر .

(٢) الحرض — بزنة قفل أو عنق — الأشنان تغسل به الأيدى إثر الطعام .

(٣) المشاش — بزنة غراب — العظم الذى لامخ فيه .

والصدق زين ، والكذب شين ، ولَصِدقٌ يُسْرِع عطب صاحبه ، أحسن عاقبة من كذبٍ يسلم عليه قائله ، ومعاداة الحليم خير من مصادقة الأحمق ، ولزوم الكريم على الهوان خير من صحبة اللئيم على الإحسان ، ولَقُرب ملك جواد ، خير من مجاورة بحر طرّاد ، وزوجة السوء الدّاءُ العُضَال ، ونكاح العجوز يُذْهِب بماء الوجه ، وطاعة النساء تزرى بالعقلاء .

* تشبَّه بأهل العقل تكن منهم ، وتصَنَّع للشرف تدركه .

واعلم أن كل امرئ حيث وضع نفسه ، وإنما ينسب الصانع إلى صناعته ، والمرءُ يعرف بقرينه ، وإياك وإخوان السوء فإنهم يخونون من رافقهم ، ويحزنون من صادقهم ، وقربُهُم أعدى من الجرب ، ورفضهم من استكمال الأدب واستخفار المستجير لؤم ، والعجلة شؤم ، وسوءُ التدبير وهن .

* والإخوان اثنان : فمحافظ عليك عند البلاء ، وصديق لك فى الرخاء ، فاحفظ صديق البلاء ، وتجنب صديق العافية ، فإنهم أعدى الأعداء .

* ومَنِ اتَّبع الهَوَىٰ ، مال به الردى ، ولا يعجبنك الجهل من الرجال ، ولاتحتقر ضئيلا كالخلال (١) فإنما المرءُ بأصغريه : قلبه ولسانه ، ولاينتفع به بأكثر من أصغريه .

---

(١) الخلال — بكسر الخاء ، بزنة الكتاب — العود الذى تخلل به الأسنان ، يريد الرجل النحيف البالغ فى النحافة .

وتوقَّ الفساد ، وإن كنت في بلاد الأعادى ، ولاتفرش عرضك لمن دونك ، ولا تجعلن مالك أكرم عليك من عرضك ، ولاتكثر الكلام فتثقل على الأقوام ، وامنح البشر جليسك ، والقبول ممن لاقاك .

• وإياك وكثرة التبريق والتزليق ، فإن ظاهر ذلك ينسب إلى التأنيث ، وإياك والتصنع لمغازلة النساء ، وكن متقرِّباً متعزِّزاً منتهزاً فى فرصتك ، رفيقاً فى حاجتك ، متثبتاً فى حملتك ، والبس لكل دهر ثيابه ، ومع كل قوم شكلهم .

واحذر مايُلزمك اللائمة فى آخرتك ، ولا تعجل فى أمرٍ حتى تنظر فى عاقبته ، ولا ترد حتى ترى وجه المصدر .

• وعليك بالنُّورة فى كل شهر مرة ،وإياك وحلاقَ الإبط بالنورة ، وليكن السواك من طبيعتك ، وإذا استَكْتَ فعرْضاً ، وعليك بالعمارة ، فإنها أنفع التجارة ، وعلاج الزرع خير من اقتناء الضرع ، ومنازعتك اللئيم تطمعه فيك ، ومن أكرم عرضه أكرمه الناس ، وذم الجاهل إياك أفضل من ثنائه عليك ، ومعرفة الحق من أخلاق الصدق ، والرفيق الصالح ابن عم ، ومَنْ أيسَرَ أكْبِرَ ، ومن افتقر احتقر ، قصر فى المقالة مخافة الإجابة ، والساعى إليك غالب عليك ، وطول السفر ملالة ، وكثرة المنى ضلالة ، وليس للغائب صديق ، ولا على الميت شفيق ، وأدب الشيخ عناءٌ ،وتأديب الغلام شقاء ، والفاحش أمير ، والوَقاح(١) وزير ، والحليم مطيَّة الأحمق ، والحمق داءٌ لا شفاءٌ له ، والحلم خير وزير ، والدين أزين الأمور ، والسماجة سفاهة ، والسكران شيطان ،

(١) الوقاح — بفتح الواو — الوصف من الوقاحة ، وهى الإفراط فى سوء الأدب .

وكلامه هذيان ، والشعر من السحر ، والتهدد هُجر ، والشح شقاءٌ ، والشجاعة بقاءٌ ، والهدية من الأخلاق السَّرية ، وهى تورث المحبة ، ومن ابتدأ المعروف صار دَيْناً ، ومن المعروف ابتداءٌ من غير مسألة ، وصاحب الرياء يرجع إلى السخاء ، ولَرِياءٌ بخير خير من معالنةٍ بشر ، والعرق نزَّاع ، والعادة طبيعة لازمة : إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، ومن حَلَّ عَقداً احتمل حقداً ،ومراجعة السلطان خُرق بالإنسان . والفرار عار ، والتقدم مخاطرة ، وأعجل منفعة إيسار فى دعة . وكثرة العلل من البخَل ، وشر الرجال الكثير الاعتلال ، وحسن اللقاء يذهب بالشحناء ، ولين الكلام من أخلاق الكرام .

* يابنى ، إن زوجة الرجل سَكَنه ، ولا عيش له مع خلافها ، فإذا هممت بنكاح امرأة فَسَل عن أهلها ، فإن العروق الطيبة تنبت الثمار الحلوة .

* واعلم أن النساء أشد اختلافاً من أصابع الكف ، فتوقَّ منهن كل ذات بَذا ، مجبولة على الأذى . فمنهن المعجبة بنفسها ، المزرية ببعلها ، إن أكرمها رأته لفضلها عليه . لاتشكر على جميل . ولا ترضى منه بقليل ، لسانها عليه سيف صقيل . قد كشفت القِحَة ستر الحياء عن وجهها ، فلا تستحى من إعوارها ، ولا تستحى من جارها . كلبة هرارة ، مُهارشة عَقَّارة (١) فوجه زوجها مكلوم . وعرضه مشتوم ، ولا ترعى عليه لدين ولا لدنيا،ولا تحفظه لصحبة . ولا لكثرة بنين ، حجابه مهتوك ، وستره منشور . وخيره مدفون ، يصبح كئيباً ، ويمسى

---

(١) هر الكلب هريراً : نبح ، وعقَّارة : تعقر صاحبها كما يعقر الكلب .

عاتباً ، شرابه مرّ ، وطعامه غيظ ، وولده ضياع ، وبيته مستهلك ، وثوبه وسخ ، ورأسه شعث ، إن ضحك فواهن ، وإن تكلم فمتكاره ، نهاره ليل ، وليله ويل ، تلدغه مثل الحية العقارة ، وتلسبُه مثل العقرب الجرارة .

* ومنهن شفشليق شعشع سلفع ، ذات سم منقع (١) ، وإبراق واختلاق ، تهب مع الرياح ، وتطير مع كل ذى جناح ، إن قال : لا ، قالت : نعم ، وإن قال : نعم ، قالت : لا ، مولدة لمخازيه ، محتقرة لما فى يديه ، تضرب له الأمثال ، وتقصر به دون الرجال ، وتنقله من حال إلى حال ، حتى قلا بيته ، ومَلَّ ولده ، وغثَّ عيشه ، وهانت عليه نفسه ، وحتى أنكره إخوانه ، ورحمه جيرانه .

* ومنهن الورهاءُ الحمقاءُ (٢) : ذات الدَّل فى غير موضعها ، الماضغة للسانها ، الآخذة فى غير شأنها ، قد قنعت بحبه ورضيت بكسبه ، تأكل كالحمار الراتع ، تنتشر الشمس ولما يُسمَع لها صوت ، ولم يُكنس لها بيت ، طعامها بائت ، وإناؤها وَضِر (٣) ، وعجينها حامض ، وماؤها فاتر ، ومتاعها مزروع ، وماعونها ممنوع ، وخادمها مضروب ، وجارها محروب .

---

(١) الشفشليق : العجوز المسترخية ، والشعشع : الطويلة ، والسلفع : الصخابة البذيئة السيئة الخلق ، والسم المنقع : المربى .

(٢) الورهاء : الحمقاء ، وأصله قولهم « سحابة ورهاء » أى كثيرة المطر .

(٣) الوضر — بفتح الواو والضاد — : بقية الدسم والدهن فى الإناء ، والوضر — بكسر الضاد — الوصف منه .

• ومنهن العطوف الودود ، المباركة الولود ، المأمونة على غيبها ، المحبوبة فى جيرانها ، المحمودة فى سرها وإعلانها ، الكريمة التبعل ، الكثيرة التفضل ، الخافضة صوتاً ، النظيفة بيتاً ، خادمها مسمن ، وابنها مزين ، وخيرها دائم ، وزوجها ناعم ، مومومة مألوفة ، وبالعفاف والخيرات موصوفة .

• جعلك الله – يابنى – ممن يقتدى بالهدى ، ويأتم بالتقى ، ويجتنب السخط ، ويحب الرضى .

والله خليفتى عليك ، والمتولى لأمرك ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، وصلى الله على محمد ، نبى الهدى وعلى آله ، وسلم تسليماً كثيراً .

***

نصيحة الامام تركى آل سعود الى أهل الأمصار (١)

بسم الله الرحمن الرحيم

من تركى بن عبدالله ... إلى من يراه من المسلمين .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد .. فموجب الخط إبلاغكم السلام ، والسؤال عن أحوالكم ، والنصيحة لكم ، والشفقة عليكم ،

---

(١) هو تركى بن عبدالله بن محمد بن سعود ، وهو خامس حاكم من آل سعود ، تولى الحكم من سنة ١٢٣٥ إلى ١٢٤٩ هـ حارب الحكم العثمانى ، وحكم أسرة محمد على الألبانى الذى حكم مصر أيضا ، فنشر رجاله الظلم والفساد :

وبعد ان استتب الأمر للامام تركى ، وبايعته البلاد ، والتف الشعب حوله ، أرسل هذا المنشور الى أهل الأمصار ، لتلاوته فى المساجد ، وللعمل بما جاء فيه ، وهو أشبه بدستور للحكم :

والمعذرة إلى الله تعالى ، إذ ولاني الله تعالى أمركم ، والله المسؤول المرجو أن يتولانا وإياكم في الدنيا والآخرة ، ويجعلنا ممن إذا أعطى شكر ، وإذا ابتلى صبر ، وإذا أذنب استغفر ، والله تعالى منعم يحب الشاكرين ، ووعدهم على ذلك بالمزيد .

قال الله تعالى : (لَئِنْ شَكَرْتُم لأَزِيدَنَّكُم ، ولَئِنْ كَفَرْتُم إنَّ عَذَابى لَشَدِيدٌ) (١) .

فالذى أوصيكم به ، تقوى الله فى السر والعلانية ، قال الله تعالى : (وَمَنْ يُطِع اللهَ ورَسُولَهُ ويَخْشَ اللهَ وَيَتَّقِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ) (٢).

* وجماع التقوى أداءُ ما افترضه الله سبحانه ، وترك ماحرَّم الله ، وأعظم فرائض الله تعالى بعد التوحيد الصلاة ، ولايخفاكم ما وقع من الإخلال بها ، والاستخفاف بشأنها وهى عمود الإسلام ، الفارقة بين الكفر والإيمان ، من أقامها فقد أقام دينه ، ومن ضيعها فهو لِمَا سِواها أضيع ، وهى آخر ما أوصى به النبى - صلى الله تعالى عليه وسلم - وهى آخر وصية كل نبى لقومه ، وهى آخر ما يذهب من الدين ، وهى أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة .

* وبعض الناس قد يُسيء فى صلاته ، ومنهم من يتخلف عن الجماعة ويصلِّى وحده ، أو فى نخله هو ورجاله ، والمسجد جار له . وفى الحديث : « لا صَلاَةَ لِجَارِ المَسْجِدِ إلاَّ فى المَسْجِدِ » وهمَّ النَّبى - صلى الله تعالى عليه وسلم - أن يحرق المتخلفين عن الجماعة بالنار ، لولا ما فيهم من النساء والذرية ، وقال ابن مسعود - رضى الله تعالى عنه - : « لقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق » .

---

(١) ابراهيم : ٧

(٢) النور : ٥٢

* وهذه أمور مايخفاكم وجوبها ، لكن الكبرى عدم إنكار المنكر ، وتزيين الشيطان لبعض الناس ، أن كُلاً ذنبه على جنبه ، وفى الحديث : « لتأمُرنَّ بالمعروف ، ولتنهوُنَّ عنِ المنْكرِ ، ولتأخُذنَّ على يَدِ السَّفيهِ ، ولتَطْرُنَّ عَلى الحَقِّ إطْرَاءً ، أَوْ ليعمَّنَّكُم الله بِعِقَابِه » .

* وكذلك الزكاة . وبعض الناس يبخل ويستخف بها ، ويجعلها من دون ماله (١) ، والعياذ بالله تعالى ، وأنتم تعلمون أنها من أركان الإسلام . قال الله تعالى : (والَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ والفِضَّةَ ولا يُنْفِقُونَهَا فى سَبِيلِ الله فَبَشِّرهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ . يَومَ يُحمىٰ عليها فى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُم وجُنُوبُهم وَظُهُورُهُم ، هٰذَا ماكَنَزْتُم لأَنْفُسِكُم فَذُوقُوا ما كُنْتُم تَكْنِزُونَ)(٢) .

* وقال النبى – صلى الله عليه وسلم – : « مَا مِنْ صَاحِبِ ذَهَبٍ ولا فضَّة ، لايُؤدِّى حَقَّ الله مِنْهُ ، إلا إذَا كَانَ يَوم القِيَامَةِ صفِّحَتْ لَهُ صَفَائِح ، وأُحْمِىَ عَلَيْهَا فى نَارِ جَهَنَّم ، فَيُكْوَىٰ بِهَا جَبِينهُ وظَهْرهِ ، كُلَّمَا بَردَتْ أُعِيدَتْ ، فى يَوم كَانَ مِقْدَارهُ خَمْسِينَ أَلْف سَنَةٍ ، حَتَّىٰ يقضى بَيْنَ العِبَاد فَيَرَىٰ سَبِيلَهُ إمَّا إلى الجَنَّة وإمَّا إلىٰ النَّارِ » .

* ثم ذكر عقوبة مانعها من الإبل والبقر والغنم ، وكل مالا تؤدَّىٰ زكاته فهو كنز يعذب به صاحبه ، ولو كان من زرع فقد زكى إذ حال عليه الحول ، وهو معد للتجارة وجبت فيه الزكاة ، أو ثمر أو أثمانها ، كل ما أعد للتجارة تجب فيه عند الحول ، والله يبتلى الغنى بالفقير ، وطلب منكم اليسير ، فمن أداها فنرجو الله تعالى أن يقبلها منه ، ويخلفها عليه ، ومن مكر بها فالله خير الماكرين .

(١) دون المال : أدناه وأرخصه : (٢) للتوبة : ٣٤ ، ٣٥

* وكذلك معاملة الربا ، تفهمون أنها أكبر الكبائر ، وأن مرتكبها محارب لله ورسوله - صلى الله تعالى عليه وسلم - قال الله تعالى : (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاتَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافاً مُضَاعَفَةً ،واتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)(١) وقال تعالى : (الَّذِينَ يأْكُلُونَ الرِّبَا لايَقُومُونَ إلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذى يَتخَبَّطهُ الشَّيطَانُ مِنَ المسِّ ، ذلِكَ بِأَنَّهُم قالُوا إنَّمَا البَيْعُ مِثل الرِّبَا ، وأَحَلَّ اللهُ البَيْعَ وحَرَّمَ الرِّبَا . فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وأَمْرُهُ إلى اللهِ ،ومَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ،هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)(٢)

* وفى الحديث أن النبى - صلى الله تعالى عليه وسلم - قال :

« لعَنَ اللهُ آكِلَ الرِّبَا ومُؤكِلهُ وكَاتِبَهُ وشَاهِدِيه » فلفيهم سواء ، فدل هذا الحديث على أن الرضا بالمعصية معصية ، وأن من لم ينكر على العاصى كالمرائى فهو مثله . وفى حديث آخر : « الربا سَبْعُونَ ضَرْباً أَيْسَرُهَا مِثل مَنْ يَنْكِح أُمَّهُ » . وفى الحديث أيضاً : « أَرْبَعَةٌ حَقٌّ عَلَى اللهِ لايُدْخِلهُمُ الجَنَّةَ ولايُذِيقَهُمْ نَعِيمُهَا : مُدْمِنُ الخَمْرِ ، وآكِلُ الرِّبَا ، وآكِلُ مَالَ اليَتِيم بِغَيْرِ حَقٍّ ، والعَاقُّ لِوَالِدَيْهِ » .

* ومن أنواع الربا : الطعام بالطعام إلى أجل ، وبيع الذهب بالفضة ، والفضة بالذهب ، والتفرقة قبل القبض . وفى الحديث : « الذَّهَبُ بالذَّهَبِ ، والفِضَّة بالفِضَّةِ ، والبُرّ بِالْبُرِّ ، والشَّعِيرُ بالشَّعِيرِ ، والتَّمْرُ بالتَّمْرِ ، والمِلْحُ بِالْمِلْح يداً بِيَد ، وَزْناً بِوَزْن ، كَيْلا بِكَيْل ، فَمَنِ زَادَ أو اسْتَزَاد فَقَدْ أَرْبَى الآخذ والمعطى » . فإذا اختلفت هذه الأجناس ! فبيعوا كيف شئتم إذا كان يداً بيد .

---

(١) آل عمران : ١٣٠

(٢) البقرة : ٢٧٥

• ومنه القرض الذى يجر منفعة ، وفى الحديث : « كُلُّ قَرْضٍ جَرَّ نَفْعاً فَهُوَ رِبا » وكذلك قلب الدَّين بالدين على المعسر ، إذا كان فى ذمته دراهم ، فعجز عن وفائها ، فأسلمها إليه بطعام ، وهذا يشبه ربا الجاهلية .

• وكذلك بيع العِينة وهو حرام . بأن كان عند رجل سلعة ، فاشتراها منه إنسان إلى أجل ، ثم اشتراها منه صاحبها الذى باعها بنقد دون ثمنها .

• وأنواع الربا لا يمكن حصرها ، فيلزم المسلم الذى له معاملة ، أن يفهم أنواع الربا ودقائقه لئلا يقع فيه . والجاهل يسأل العالم ، والخطر عظيم يسخط الرب ، ويمحق المال . فأنتم استعيذوا بالله ، وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان .

• وكذلك المكاييل والموازين . وأنا مُلزِمٌ كل أمير بأن يحضر مكاييل بلده . صغارها وكبارها . وينظر فيها عن الخلل . وتكون على مكيال واحد ، وكذلك تفعلون بالموازين وتفقد الناس كل شهر ، ولا يحل بخس المكيال والميزان ولو كانت المعاملة مع ذِمِّى كما فى الحديث : « أَدِّ الأَمَانَةَ إلى مَنِ ائْتَمَنَكَ . ولاَ تَخُنْ مَنْ خَانَكَ » .

• وكَذلك تفقَّدوا الناس عن المعاشر الرديئة . والذين يجتمعون على شرب النتن والنشوق به .

وكل أهل بلد لابدّ أن يرتبوا مجالس الدرس فى الجوامع . فإن كانت خاوية فلابدّ أن يعمروها . والذى يُعْرَف بالتخلف عن مجالس الذكر يرفعون إلينا .

• وأنا مُطْلِق الأمر بالمعروف ، والتناهى عن المنكر ، إذا كان عن علم ينصح أولاً ، ويؤدِّب ثانياً ، ومن عارض مِنْ خاص أو عام ؛ فأدبه الجلاء عن وطنه ، وهذا من ذمتى فى ذمة كل من يخاف الله واليوم الآخر .

• وأنا أشهد الله عليكم أنى برىء من ظلم من ظَلَمكم ، وإنَّا لنصرة لكل صاحب حق ، وعون لكل مظلوم . .

(واذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُم فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانا ، وكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا) (١) ؛ وأعزكم الله بعد الذلة ، وجمعكم بعد الفرقة ، وكثركم بعد القلة ، وآمنكم بعد الخوف ، وبالإسلام أعطى الله ما رأيتم ؛ والسلام .

***

(١) آل عمران : ١٠٣

وصية الشيخ حسن البنـا

بسم الله الرحمن الرحيم

يا معشر المسلمين :

علينا أن نفهم الإسلام فى حدود هذه الأُصول العشرين الموجزة :

١ **ـــ الإسلام نظام شامل** ، يتناول مظاهر الحياة جميعاً ؛ **فهو دولة** ووطن ، أو حكومة وأُمة ، وهو خلق وقوة ، أو رحمة وعدالة ؛ وهو ثقافة وقانون ، أو علم وقضاءٌ ؛ وهو مادة وثروة ، أو كسب وغنى ؛ وهو جهاد ودعوة ، أو جيش وفكرة ، كما هو عقيدة صادقة ، وعبادة صحيحة ، سواء بسواء .

٢ **ـــ والقرآن الكريم ، والسنة المطهرة**، مرجع كل مسلم فى تعرف أحكام دينه ، ويفهم القرآن الكريم طبقاً لقواعد اللغة العربية من غير تكلف ولا تعسف ، ويرجع فى فهم السنة المطهرة إلى رجال الحديث الثقات .

٣ **ـــ وللإيمان الصادق**،والعبادة الصحيحة والمجاهدة ـــ نور وحلاوة، يقذفهما الله فى قلب من شاء من عباده . ولكن الإلهام والخواطر ، والكشف والرؤى ، ليست من أدلة الأحكام الشرعية ، ولا تعتبر إلا بشرط عدم اصطدامها بأحكام الدين ونصوصه .

٤ – **والتمائم والرقى** ، والودع والرمل ، والمعرفة والكهانة ، وادعاء معرفة الغيب ، وكل ما كان من هذا الباب ؛ منكر تجب محاربته ، إلا ما كان آية من قرآن ، أو رقية مأثورة .

٥ – **ورأي الإمام ونائبه** فيما لانص فيه ، وفيما يحتمل وجوهاً عدة ، وفى المصالح المرسلة معمول به مالم يصطدم بقاعدة شرعية .

٦ – **وكل أحد يؤخذ من كلامه ويترك ، إلا المعصوم** – صلى الله عليه وسلم – ؛ وكل ما جاء عن السلف – رضوان الله عليهم – موافقاً للكتاب والسنة قبلناه ، وإلا فكتاب الله وسنة رسوله أولى بالاتباع ، ولكنا لانعرض للأشخاص فيما اختلفوا فيه بطعن أو تجريح ، ونَكِلهم إلى نياتهم ، وقد أفضوا إلى ما قدّموا .

٧ – **ولكل مسلم يبلغ درجة النظر** فى أدلة الأحكام الفرعية أن يتبع إماماً من أئمة الدين ، ويحسن به مع هذا الاتباع ، أن يجتهد ما استطاع فى تعرف أدلة إمامه ، وأن يتقبل كل إرشاد مصحوب بالدليل ، متى صح عنده صدق من أرشده وكفايته ، وأن يستكمل نقصه العلمى ، إن كان من أهل العلم حتى يبلغ درجة النظر .

٨ – **والخلاف الفقهى فى الفروع** لا يكون سبباً للتفرق فى الدين ، ولا يُؤدى إلى خصومة ولا بغضاء ، ولكل مجتهد أجره ، ولا مانع من التحقيق العلمى النزيه فى مسائل الخلاف فى ظلّ الحب فى الله ، والتعاون

على الوصول إلى الحقيقة ، من غير أن يجر ذلك إلى المراء المذموم والتعصب .

٩ — **وكل مسألة لا ينبنى عليها عمل** ، فالخوض فيها من التكلف الذى نُهينا عنه شرعاً ، ومن ذلك كثرة التفريعات للأحكام التى لم تقع ، والخوض فى معانى الآيات القرآنية الكريمة التى لم يصل إليها العلم بعد ، والكلام فى المفاضلة بين الأصحاب — رضوان الله عليهم — وما شجر بينهم من خلاف ، ولكل منهم فضل صحبته ، وجزاء نيته ، وفى التأول مندوحة .

١٠ — **معرفة الله تبارك وتعالى وتنزيهه** وتوحيده أسمى عقائد الإسلام ، وآيات الصفات وأحاديثها الصحيحة ، وما يلحق بذلك من المتشابه ، نؤمن بها كما جاءت من غير تأويل ولا تعطيل ، ولانتعرض لما جاء فيها من خلاف بين العلماء ، ويسعنا ما وسع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وأصحابه (والرَّاسِخُونَ فى العِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا) (١) .

١١ — **وكل بدعة فى دين الله لا أصل لها** ، استحسنها الناس سواء بالزيادة فيه أو بالنقص منه ، ضلالة تجب محاربتها ، والقضاء عليها بأفضل الوسائل التى لا تؤدى إلى ما هو شر منها .

---

(١) آل عمران : ٧

١٢ — والبدعة الإضافية ، والالتزام فى العبادات المطلقة خلاف فقهى لكلٍّ فيه رأيه ، ولا بأس بتمحيص الحقيقة بالدليل والبرهان .

١٣ — وصحبة الصالحين واحترامهم ، والثناء عليهم بما عرف من طيب أعمالهم — قربة إلى الله ، — تبارك وتعالى — والأولياء هم المذكورون فى قوله تعالى : (الَّذِيْنَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُون)(١)والكرامة ثابتة لهم بشرائطها الشرعية ، مع اعتقاد أنهم — رضوان الله عليهم — لايملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً فى حياتهم أو بعد مماتهم ، فضلا عن أن يهبوا شيئاً من ذلك لغيرهم .

١٤ — وزيارة القبور أياً كانت ، سنة مشروعة بالكيفية المأثورة ، ولكن الاستعانة بالمقبورين أيًّا كانوا ، ونداؤهم لذلك ، وطلب قضاء الحاجات منهم عن قرب أو بعد ، والنذر لهم ، وتشييد القبور وسترها وإضاءتها والتمسح بها ، والحلف بغير الله ، وما يلحق بذلك من المبتدعات — كبائرُ ، تجب محاربتها ولا تتأول لهذه الأعمال سداً للذريعة .

١٥ — والدعاء إذا قرن بالتوسل إلى الله بأحد من خلقه خلاف فرعى فى كيفية الدعاء ، وليس من مسائل العقيدة .

١٦ — والعرف الخاطىء لا يغير حقائق الألفاظ الشرعية ، بل يجب التأكد من حدود المعانى المقصودة بها ، والوقوف عندها . كما يجب الاحتراز من الخداع اللفظى فى كل نواحى الدنيا والدين ، فالعبرة بالمسميات لا بالأسماء .

---

(١) يونس : ٦٣

١٧ ــ **والعقيدة أساس العمل** ، وعمل القلب أهم من عمل الجارحة ، وتحصيل الكمال فى كليهما مطلوب شرعاً وإن اختلفت مرتبات الطلب .

١٨ ــ **والإسلام يحرر العقل** ، ويحث على النظر فى الكون ، ويرفع قدر العلم والعلماء ، ويرحب بالصالح النافع من كل شىء والحكمة ضالة المؤمن ، أنَّى وجدها فهو أحق الناس بها .

١٩ ــ **وقد يتناول كل من النظر الشرعى** والنظر العقلى ما لا يدخل فى دائرة الآخر ، ولكنهما لن يختلفا فى القطعى ، فلن تصطدم حقيقة علمية صحيحة بقاعدة شرعية ثابتة ، ويؤول الظنى منهما ليتفق مع القطعى – فإن كانا ظنيين فالنظر الشرعى أولى بالاتباع حتى يثبت العقلى أو ينهار .

٢٠ ــ **ولاتكفر مسلماً نطق بالشهادتين** ، وعمل بمقتضاهما ، وأدَّى الفرائض – برأىٍ أو معصية ، إلا إن أقر بكلمة الكفر ، أو أنكر معلوماً من الدين بالضرورة ، أو كذَّب صريح القرآن ، أو فسَّره على وجه لا تحتمله أساليب اللغة العربية بحال ، أو عمل عملا لايحتمل تأويلا غير الكفر .

فإذا علمت دينك فى حدود هذه الأصول ، فقد عرفت معنى قوله تبارك وتعالى : (اليَومَ أَكْمَلْتُ لَكُم دِينَكُمْ وأَتْمَمْتُ عَلَيْكُم نِعْمَتِى ورَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً) (١) .

---

(١) المائدة : ٣

وعرفت أن القرآن أحكم دستور ، وأن تعاليمه أحكم التعاليم وأنفعها لتقدم البشرية ، وأصونها من الزلل ، وصدق الله العظيم حيث قال : (أَلا يَعْلَمُ مَن خلَقَ وهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ) . (١)

***

(١) لقد كتب – رحمه الله – هذه الوصية وهو فى أحد المعتقلات بشعور المودع للدنيا – وكان يرجو أن يجتمع المسلمون على مثل هذه المبادىء المدروسة لينتهى ما بينهم من خلاف حول الأمور العقائدية والفقهية – والآية من سورة الملك : ١٤

متفرقات

لأبي حيان (١)

أمـا إنه لـولا ثلاث أحِبُّهـا
تَمنَّيْتَ أني لا أُعَـدُّ مـن الأحيـا
فمنهـا رجـائي أن أفـوز بتوبة
تكَـفِّر لى ذنبا وتُنْجِـح لى سعيـا
ومنهـن صَوْني النفس عن كل جاهل
لئيم فـلا أمشى إلى بابه مشيَـا
ومنهن أخذى بالحديثِ إذا الـورى
نَسُوا سنة المختـار واتَّبعوا الـرأيـا
أتترك نصًّا للرسـول وتَقتـدِى
بشخصٍ ؟ لقد بَدَّلْتَ بالرُّشد الغَيَّا

وله أيضا :

يـا مُنْضِيَ الطَّرفَ فى ميـدان لـذّته
وناضى الطرف بين الـراح والـرُّود (٢)

---

(١) هو محمد بن يوسف بن على الغرناطى .

(٢) منضى : متعب ، والطرف – بكسر الطاء – : الفرس ، والطرف – بفتح الطاء – : العين ، والرود – بضم الراء – : الفتاة الشابة .

ستشرب الروح راح الوقت كارهة

ويذهب الجسم بين الترب والدود

أنشد المنتصر بن بلال الأنصاري :

***

صافِ الصَّديقَ بِوُدِّهِ وإذا دنا شبراً فزدْه

واحلم إذا نطقَ السفيه فَمَن يُرد جهلا يَّجدْه

***

أنشد على محمد البسامى :

إذا كنت بين الحلم والجهل قاعداً

وخيِّرت : أنَّىْ شئت ، فالحلم أفضل

ولكن إذا أنصفت من ليس منصفاً

ولم يرض منك الحلم ، فالجهل أفضل

***

من أبيات للمقنع الكندى :

يعاتبنى فى الدين قومى وإنما ديونى فى أشياء تكسبهم حمدا

أسدُّ به ماقد أخلوا وضيعوا ثغور حقوق ما أطاقوا لها سدَّا

وإن الذى بينى وبين بنى أبى وبين بنى عمى لمختلفٌ جدًّا

فإن أكلوا لحمى وفرتُ لحومهم وإن هدموا مجدى بنيت لهم مجدا

ولا أحمل الحقد القديم عليهم وليس زعيم القوم من يحمل الحقدا

لهم جُلُّ مالى إن تتابع لى غنى وإن قل ما لى لم أكلفهم رفدا

وإنى لعبد الضيف مادام ثاويا وما لى سواها شيمةٌ تشبه العبدا

***

الصبر والإقدام

قرآن كريم (يأيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون . وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ، واصبروا ، إن الله مع الصابرين)(١) .

آيتان جمعتا كل تدابير الحرب عند اللقاء .

***

وصف الحرب (٢)

الحرب رَحىً ثِقالُها (٣) الصبر ،وقطبها المكر ، ومدارها الاجتهاد، وثقافها الأناة ، وزمامها الحذر . ولكل شيء من هذه ثمرة ، فثمرة الصبر التأييد ، وثمرة المكر الظفر ، وثمرة الاجتهاد التوفيق ، وثمرة الأناة اليُمن ، وثمرة الحذر السلامة . ولكل مقام مقال ، ولكل زمان رجال ، والحرب بين الناس سجال ، والرأى فيها أبلغ من القتال .

***

قال أكثم بن صيفى يصف العمل فى الحرب :

أقِلُّوا الخلاف على أُمرائكم ، فلا جماعة لمن اختُلف عليه ، واعلموا أن كثرة الصياح من الفشل ، فتثبَّتوا ، فإنَّ أحزم الفريقين الركين ، ورُبَّ عجلةٍ تُعقب رَيثاً ، وادَّرِعوا الليل ، فإنه أخفى للويل ، وتحفَّظوا من البيات .

---

(١) الأنفال : ٤٥ ، ٤٦ . (٢) العقد الفريد جـ ١ ص ٩٣ .

(٣) الثقال ككتاب : جلد أو نحوه يوضع تحت الرحى يقع عليه الدقيق :

الحرب خدعة

قال ابن الكلبي :

لما فتح عمرو بن العاص قيسارية ، سار حتى نزل غزة ، فبعث إليه عِلْجُها : أن ابعث إليّ رجلا من أصحابك أكلمه . ففكر عمرو وقال : ما لهذا أحدٌ غيرى . قال : فخرج عمرو حتى دخل على العِلْج ، فسمع كلاماً لم يسمع قط مثله . فقال العلج : حدِّثْنى : هل فى أصحابك أحدٌ مثلُك ؟ قال لا تسأل عن هذا ، إنى هَيِّن عليهم إذ بعثوا بى إليك وعرّضونى لما عرَّضونى له ، ولا يدرون ماذا تصنع بى . قال : فأمر له بجائزة وكسوة ، وبعث إلى البواب : إذا مرَّ بك فاضرب عنقه ، وخذ ما معه . فخرج من عنده فمرَّ على رجل من نصارى غسان فعرفه فقال : يا عمرو قد أحسنت الدخول فأحسن الخروج . ففطن عمرو لما أراده ، فرجع ، فقال الملك : ما ردَّك إلينا ؟ قال : نظرتُ فيما أعطيتنى ، فلم أجد ذلك يسع بنى عمِّى ، فأردت أن آتيك بعشرة منهم تعطيهم هذه العطية ، فيكون معروفك عند عشرة خيراً من أن يكون عند واحد . فقال : صدقت ، اعْجِل بهم ، وبعث إلى البواب أن خَلِّ سبيله . فخرج عمرو وهو يلتفت ، حتى إذا أَمِنَ ، قال : لاعُدْتُ لمثلها أبداً .

فلما صالحه عمرو ودخل عليه العلج ، قال له : أنت هو ! قال : نعم ، على ما كان من غَدْرك .

---

(١) بفتح الخاء وضمها مع سكون الدال ، وبضمها مع فتح الدال ، وأصح الروايات بفتح الخاء وسكون الدال ، أى اذا خدع المقاتل خدعة واحدة لم تكن له اقالة ، وينقضى أمر الحرب .

محتويات الكتاب

الموضوع — الصفحة

الموضوع	الصفحة

الباب الثالث

من وصايا حكماء الجاهلية والاسلام

(٧٥ — ٨٥)

الباب الرابع

متفرقات

(٨٧ — ١٨٨)

الموضوع	الصفحة

رقم الايـداع بدار الكتب ٨١/٣٨٦٢
الترقيم الدولى × ـ ٣٠ ـ ٧٣٣٥ ـ ٩٧٧

دار التراث العربى للطباعة
ت ٩٣٦١٤٥